

مراد أمين

سفر الجامعة

جمع وإعداد : دكتور مراد أمين

١٩٨٩

يُطلب من مكتبة كنيسة الأخوة ٣ شارع أنجه هانم ـــ شبرا مصر .

تقــديم

سفر الجامعة يتعرّض لأمور عويصة الفهم . فيه سمح الله لصوت الانسان أن يعبِّر عن نفسه ويطرح مشكلاته ، فيه نسمع الحكمة الإنسانية تطرح كل تساؤلاتها المحيِّرة للعقل البشرى خصوصاً السؤال : ماذا بعد الموت ؟

والغرض من هذا السفر أن يُرينا أن حكمة أعظم الحكماء (سليمان) تعجز عن معرفة حقيقة غير المنظور مالم يُعلنه الله . وكان على هذا الرجل الحكيم أن يعترف بقصور الحكمة البشرية وعجزها عن إدراك سرائر الله .

أمور كثيرة ظلت هكذا ظلاماً تنتظر مجيء مخلصنا يسوع المسيح «الذى أبطل الموت وأنار الحياة (أى كشف النقاب عن حقيقة الحياة) والخلود (عدم الفساد) بواسطة الانجيل» (٢تى ١:١٠)

فى هذا الشرح نجد حلولاً كثيرة لأشياء وكلمات يصعُب فهمها ، والشرح مقتبس من عدة مراجع لرجال الله الموهوبين ، وأهم المراجع :

1 - gàèbèlèin

2 - Synopsis by j.n. Dàrby

3 - Biblè concordàncè

4 - Biblè dictionàry



مقدمة

عنوان السفر «الجامعة» يعنى من يجمع محفلاً (١مل ٨ : ١) ليتحدث اليهم كلام الحكمة التى من الله (جا ١٢ : ٩)

ايضا يُشير سليمان الى نفسه كمن أُعطى أن يجمع فى حياته واختباراته دروساً عملية عن بُطل وفراغ العالم ، ليقدمها للأجيال القادمة . وخلاصتها أنه ضل عن الطريق الحقيقى للشبع والراحة فى الله ذاته ، لكن الله فى غنى نعمته ردّه اليه ، وهكذا فى هذا السفر يقدم أثماراً تليق بالتوبة (مت ٣ : ٨) وإذ قد رجع الى الرب يريد أن يعلّم الأئمة طرقه (طرق الرب) (مز ٥١ : ١٣) ، وكما قال الرب لبطرس «وأنت متى رجعت ثبّت إخوتك» (لو ٢٢ : ٣٢) .

☐ الكاتب :

١ ــ فاتحة السفر «كلام الجامعة بن داود الملك فى أورشليم» فيها التأكيد أن الكاتب هو سليمان .

٢ ــ هناك أقوال فى السفر لاتنطبق إلا عليه . مثلاً «هاأنا قد عظُمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم» (١ : ١٦،٢ : ٤،٧ : ٢٣،١٢ : ٩) . لكن لاننسى أن الكاتب الحقيقى لكل أسفار الوحى المقدس ، هو الروح القدس الذى أوحى بكل أسفاره المعصومة «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢بط ١ : ٢١) .

☐ إتجاه السفر أو الغرض منه :

يسمّى سفر الانسان الطبيعى الذى لايرى إلا ماتحت الشمس ، فهو يناقش مشكلات الحياة بدون واهب الحياة الذى به نحيا ونتحرك ونوجد (أع١٧) وهو تعليق مطوّل على قول الرب الكريم للمرأة السامرية «كل من يشرب من هذا الماء يعطش ايضا» (يو ٤ : ١٣) .

والمشكلة : هل يمكن للعالم بدون الله أن يُشبع القلب ويملأ فراغ النفس ؟

وجدير بسليمان أن يعالج هذا الموضوع ، فقد هيأت له العناية الالهية أن يبلغ من عظمة المُلك والجاه مالم يبلغه ملك سواه ، إذ تجمعت له الثروة والشباب والقوة منذ إرتقائه عرش المملكة ، وتميّز بقدرات ومواهب فذة . وإذ فشل فى مساعيه ، تبدو الفلسفة البشرية عاجزة عن أن تعلل أبسط مشكلات الحياة ، وهكذا نرتمى فى إخلاص على ذاك الذى هو الحكمة الأزلى المجيد أقنوم الكلمة المحبوب مُعلن الله فى كل صفاته «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا من الله حكمة وبراً وقداسة وفداء» (١كو١:٣٠) ، «أنا الحكمة أنا الفهم من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من الرب» (أم٨:١٢، ٣٥) .

☐ طابع السفر :

عبثاً نحاول أن نعثر فى هذا السفر على تعبير واحد من تعبيرات البهجة أو نغمة تسبيح وترنم وهتاف تنطلق من خلال تدريباته واختباراته . وهو بذلك يرفع نظرنا الى ابن الله المبارك الذى وهو مقبل على الصليب استطاع أن يقود أحباءه للتسبيح «قوموا ننطلق من ههنا» ، « ثم سبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون» (يو١٤:٣١،مر١٤:٢٦) .

وهكذا نرى فى هذا السفر المفارقة الكبيرة بين أنات إنسان توفرت له كل مباهج الحياة كالملك سليمان ، وترنيمات وأفراح أصغر مؤمن فى العهد الجديد حتى ولو لم يتوفر له شيء من متاع الدنيا .

☐ تاريخ كتابة السفر :

واضح أنه كُتب فى أخريات أيام سليمان ، بعد أن أضلته نساؤه الوثنيات ، وواضح فيه توبته وندمه وزفرات قلبه المعبرة عن رجوع حقيقى لله ، ذلك لأنه أحد أولاد الله فكان لابد من رجوعه .

☐ تقسيم السفر :

أولاً : موضوع السفر ـــ الكل باطل ص ١:١ـــ٣

ثانياً : التدليل على هذه الحقيقة :ـــ

١ ـــ زوال كل الأشياء ص ١:٤ـــ١١

طُوبَى لِلرَّجُلِ
الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ
وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ
وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ
مزمور ١:١

تطبيقات ومقارنات تمهيدية

○ تحت الشمس

وردت هذه العبارة ثمانى عشرين مرة فى هذا السفر ، بينما لم ترِد ولا مرة واحدة فى بقية أسفار الوحى المقدس بم ترِد عبارة «تحت السماء» ثلاث مرات و «على الأرض» سبع مرات . وكلمة «باطل» سبعاً وثلاثين مرة .
ويشير الروح القدس حوالى أربعين مرة الى الأرض وخوائها ويُبطل كل ماعليها . ولا نصل الى ماهو «فوق الشمس» إلا فى ختام السفر حيث يقول الحكيم «فلنسمع ختام الأمر كله . إتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الانسان كله» (ص ١٢: ١٣)

سليمان الملك وبولس الأسير

ترِد كلمة «منفعة» بضع مرات فى سفر الجامعة ، ويقرر الحكيم عن مجهوداته «الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس» ، بينما يقرر الرسول المغبوط بولس عن مجهوداته «جاهدت الجهاد الحسن .. وأخيراً وُضع لى اكليل البر» (٢تى ٤)

دروس من الأسفار الشعرية

فى سفر ايوب نتعلم أولى الحقائق ، كيف يرفض الانسان نفسه — يرفض فساده كما يرفض مايتوهمه فى نفسه أنه صلاح «أرفض (نفسى ومافاخرت به عن برى) وأندم فى التراب والرماد» (أى ٤٢: ٦) ، وهذا هو درس الكتاب المقدس الأول لكل انسان ، فالأبرص فى لا ١٣ لايحكم بطهارته إلا إذا لم يوجد فيه لحم حى هنا فقط يرش عليه دم العصفور المذبوح وهكذا يعطيه الله لحماً جديداً طاهراً كله وهكذا يُقبل أمام محضر الرب . وهذا الأمر يتم فى النفس بوصول عطية الايمان الحقيقى اليها .

وهذا يقودنا الى السفر التالى أى المزامير حيث نرى حياة الايمان أى الحياة فى قوة الايمان الذى عاش به ربنا المبارك هنا على الأرض «مع المسيح صُلبت فأحيا

لا أنا بل المسيح يحيا فىّ فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الايمان ايمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى» (غل ٢:٢٠) .

وهكذا نرى فى الأسفار الثلاثة التالية ، الأمثال ، الجامعة ،نشيد الأنشاد ، الثلاثة أركان الرئيسية لحياة الايمان الحقيقى المُعطى من رئيس الايمان ربنا يسوع المسيح .

☐ أولاً فى الأمثال تتعلم إخضاع الارادة للمسيح الذى هو حكمةِ الله «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء» (١كو١:٣٠) أى أرفض حكمة ذاتى وحكمة العالم وفلسفاته الباطلة لأتعلم الحكمة الأزلى نفسه الذى أعلن عن ذاته الكريمة فى ص ٨:١٢ «أنا الحكمة أنا الفهم» لذلك نجد ثلاث مرات التحذير من خداع القلب والاتكال على حكمتى الذاتية لئلا أحرم نفسى من نور الحكمة النازلة من فوق التى لايمكن أن نفهمها ونتعلمها إلا فى المسيح كما سبقت الاشارة .

ـــ المرة الأولى : أم ٣:٥،٦ «توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لاتعتمد . فى كل طرقك إعرفه وهو يقوّم سبلك لاتكن حكيماً فى عينى نفسك » .

ـــ المرة الثانية : أم ١٢:٢٦ «أرأيت رجلاً حكيماً فى عينى نفسه الرجاء بالجاهل خير من الرجاء به» .

ـــ المرة الثالثة : أم ١١:٢٨ «الرجل الغنى حكيم فى عينى نفسه والفقير الفهيم يفحصه» ☐ ثانياً فى الجامعة أتعلم الركن الثانى فى حياة الايمان وهو استحالة شبع قلبى بأى شىء فى العالم ويكون لى التصميم المستمر على الفرح فى الرب وحده وأنه هو النصيب الصالح الحقيقى الباقى لى ـــ «لاتحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم .. لأن كل مافى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم» (١يو٢:١٥،١٦) وهذا يقودنى الى الركن الثالث فى حياة الايمان وهو غرض سفر النشيد «أنا لحبيبى وحبيبى لى» هنا الابتهاج بالفرح الغامر الذى لاينطق به ومجيد

الفرق بين استنتاجات سليمان والإعلان الالهي

يجب أن يتحقق الدارس لهذا السفر أن يميز بين استنتاجات سليمان الخاطئة المبنية على مشاهدة الأمور الجارية تحت الشمس بدون استحضارها الى نور محضر الله فى كلمته ، وهذا درس هام وهو أن مشاهدات أعظم حكيم إذا لم تُستحضر فى نور كلمة الله ، تقود الانسان الى الضلال . وعلى سبيل المثال — «الأعوج لايمكن أن يقوّم والناقص لايمكن أن يُجبر» (جا١:١٥) قارن ماأعلنه والد سليمان نفسه فى الوحى «حينئذ أكون كاملاً وأتبرأ من ذنب عظيم» (مز١٩:١٣) ، «قلباً نقياً أخلق فىّ ياالله وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى» (مز٥١:١٠) قِس على ذلك جا٢:٢٤ ، ٣:١٩، ٧:١٦، ٨:١٥، ٩:٢ . وسيأتى بمعونة الرب التوضيح الكامل لهذه الأقوال فى نور الوحى المقدس وهذا لايمس حقيقة وحى هذا السفر كلمة كلمة لكن كما سبقت الاشارة ، أن الروح القدس قد سجل استنتاجات مشاهدات أعظم حكيم للأمور الحادثة تحت الشمس وماهو رأيه الشخصى فإذا به يغرق فى الضلال لكى يعلمنى استحضار كل شيء فى نور الوحى المعصوم وهو المقياس الوحيد لنا .

أنا الله القدير
سر أمامي
وكن كاملاً

الأصحاح الأول

١ كلام الجامعة ابن داود الملك فى أورشليم (ع١)

فى أسفار الوحى المقدس كثيراً مايكون مفتاح السفر معلقاً فوق الباب ، بمعنى أن أول عباراته تتضمن ملخص الكل ، وهذا واضح فى سفرنا هنا ، فالعدد الأول يعرّفنا بالكاتب والعدد الثانى يحدثنا عما انتهى اليه فى كل بحثه وفيهما نرى مفتاح السفر كله أو عنوان السفر ، وغرض الروح القدس هو إعداد ذهن القارىء لما هو متضمن فى السفر .

فالكاتب هو الجامعة ابن داود الرجل الذى رفعه الرب الى أسمى مجد أرضى . فمن خلال الرفض والهروب ومن خلال المعارك والصراع سار الرب بداود حتى أوصله الى هذا السمو من المجد والقوة . ولكن ابنه سليمان وجد نفسه فى هذا كله ، على أتم وأكمل صورة بدون أدنى تعب أو عناء .

والجامعة بمعنى الكارز أو الواعظ تعبير عن ماأعطى لسليمان أن يجمع محفلاً (راجع المقدمة) وهو فى هذا رمز ضئيل جداً لسليمان الحقيقى ربنا يسوع المسيح الذى حوله وحده تجتمع ألوف وربوات الخطاة ليوصل الى قلوبهم بشارة نعمته المخلصة وذلك فى عمله الكريم وحبه العظيم فى الصليب فى كل العصور والأجيال . وهو أيضا مركز ومحور كل اجتماعات القديسين المخلّصين بدمه الكريم ليقدموا له السجود والعبادة وتسكن فى قلوبهم كلمته بغنى فينموا فى النعمة وفى معرفة شخصه المحبوب المعبود .

والجامعة لايرد إلا فى هذا السفر وهو يرد سبع مرات ـــ ص ١:١،٢،١٢، ٧:٢٧، ١٢:٨،٩،١٠ وهو بذلك يكون أحد سباعيات كلمة الله .

«الملك فى أورشليم» المدينة التى وقع عليها اختيار الله «مدينة الملك العظيم فرح كل الأرض» (مز٤٨:٢) ـــ المدينة التى لها الاعتبار الأول فى كلمة الله بالمقارنة مع كل مدن العالم ، وذلك واضح لأن فيها تمم الله مقاصده الأزلية الكريمة فى صنع الفداء والكفارة وقد وطأتها قدما السيد العظيم يهوه الأزلى المعبود فى مجيئه الأول ليصنع لنا

الخلاص . وسوف تكون الموضع الذى فيه يجلس له كل المجد على كرسى مجده فى المُلك الألفى السعيد القادم ، هذا هو سر العظمة الحقيقية ، الارتباط بالمسيا ، مسيح الله المعبود الذى اليه وحده تتجه كل مشورات الله .

٢ باطل الأباطيل قال الجامعة باطل الأباطيل الكل باطل (ع٢)

باطل الأباطيل تعبير مألوف مثل عبد العبيد (تك ٩:٢٥) وقدس الأقداس (خر٢٦:٣٤) وسماء السموات (١مل ٨:٢٧) ونشيد الأنشاد (نش١:١) ، ولذلك فهو تعبير عن الإمعان فى البُطل أو تمامه . أى أن كل مافى العالم تتصور أن فيه سعادة ، ليس إلا سراب خادع وكل كأس يقدمه العالم فيه لذة أو متعة إنما فى آخره «يلسع كالحية ويلدغ كالافعوان» (أم٢٣:٣٢) . واختبار سليمان المرير هنا ، هو ذات اختبار لوط الذى جرى وراء مكاسب العالم «إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة (بأفعالهم) الأثيمة» (٢بط ٢:٨) .

وقد عبّر أولاد الله فى كل العصور عن تقديرهم لحياة الانسان هنا على الأرض إن لم تكن تُقضى لواهبها فما أتفهها وليس لها أقل اعتبار . فيقول يعقوب أبو الأسباط «أيام سنى غربتى مائة وثلاثون سنة قليلة وردية» (تك ٤٧:٩)

ويقول داود «إنما كخيال يتمشى الانسان إنما باطلاً يضجون يذخر ذخائر ولايدرى من يضمها» (مز٣٩:٧) . ويقول موسى «بالغداة كعشب يزول بالغداة يزهر فيزول عند المساء يجز فييبس . أيام سنينا هى سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون وأفخرها تعب وبلية» (مز٩٠:٥،٦،١٠)

٣ ماالفائدة للانسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس (ع٣)

إن الحكيم لايقلل من قيمة العمل لأنه يقرر بالروح القدس «فى كل تعب منفعة» (أم١٤:٢٣) . فالعمل باجتهاد لابد أن يأتى بنتيجة ويعود على صاحبه بمنفعة فى أى وجه من وجوه الحياة ، على سبيل المثال «وتأكل تعب أيدينا» (مز١٢٨:٢) . ولكن مايقصده الحكيم هو أنه ليس تعب فى الأرض يستطيع أن يشبع قلب الانسان ليكون نصيباً أبدياً باقياً له أى لنفسه الخالدة وهنا يأتى سؤال رب سليمان وسيده

الفاحص لكل شيء «لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه» (مت ١٦:٢٦) .

٤ دور يمضى ودور يجىء والأرض قائمة الى الأبد . ٥ والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع الى موضعها حيث تشرق . ٦ الريح تذهب الى الجنوب وتدور الى الشمال تذهب دائرة دوراناً والى مداراتها ترجع الريح . ٧ كل الأنهار تجرى الى البحر والبحر ليس بملآن الى المكان الذى جرت منه الأنهار الى هناك تذهب راجعة . ٨ كل الكلام يقصر لايستطيع الانسان أن يخبر بالكل العين لاتشبع من النظر والأذن لاتمتلىء من السمع . (ع ٤-٨)

يقدم الحكيم خلاصة ماهو تحت الشمس . وفى الواقع هو يقدم فى هذه الأعداد الخمسة خلاصة السفر كله أى خلاصة بحثه وتعبه فى كل مايمكن أن يخطر على بال إنسان تحت الشمس لكى يوفّر علينا تعب الفكر والسعى الباطل..

أولاً : لإثبات أن الخليقة كلها تحمل طابع عدم الاستقرار المطلق لكى يرتفع القلب الى ذاك الذى هو فوق الخليقة كلها وفوق الشمس «الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم والى الأبد» وهو ماقصد أن يعلن به عن ذاته فى قوله المبارك «أهيه الذى أهيه» و«أنا هو» الكائن بذاته غير المتغير ، راجع يع١:١٧ عب ١٣:٨ ، خر٣:١٤ ، اش ٤٣:١٠ ، يو٨:٢٤ وهو المعبر عن ثباته بأنه هو الصخر الثابت منذ الأزل والى الأبد — الثابت فى ذاته وفى صفاته وفى تحقيق كل مشوراته .

ثانياً : يقرر الحكيم هنا ٦ وجوه مختلفة للأمور التى تحت الشمس يمكن أن يخدع بها الانسان نفسه فيضع رجاءه عليها ليكون فيها شبع القلب .

☐ **الأول : دور يمضى ودور يجىء** ، بمعنى جيل يمضى وهكذا يفسح المجال لجيل آخر ، هل جيلنا الحاضر كان أفضل من الجيل الماضى ؟ لاننكر أن هناك اكتشافات رهيبة فائقة التصور قدمت الكثير جداً من اختصار المجهود والوقت ، ووفرت على الانسان الكثير جداً من العناء . فهناك الاتصال الآلى أى الانسان فى بيته يمكن أن يتصل بأى مكان فى العالم تليفونياً وكذلك السفر السريع المريح وقس على ذلك فى

كل مجالات الحياة ، لكن ماهى الحالة الأدبية والاجتماعية لجيلنا الحاضر بالنسبة للجيل الماضى ؟ يقول الباحثون الاجتماعيون على مستوى العالم ، أنه لو قُدّر لآبائنا الذين سبقونا فى الجيل الماضى أن يستفيقوا من قبورهم ساعة ، لأسرعوا فى الحال ووارو أنفسهم تحت التراب من هول المناظر ، حالات الطلاق وتشريد الأطفال أمام المحاكم بلا حصر ولا عدد والاندفاع الإجرامى فى أقدس الارتباطات — أمر مُذهل : أم تقتل زوجها وابنها ، قِس على ذلك الحوادث التى هزت العالم : خطف الطيارات بما فيها من ركاب آمنين وخطف السفن .

وواضح سر الخراب والتدهور المُعلن عنه فى الانجيل من ألفى عام أنهم سيتقدمون الى أردأ (٢تى٤) والسرهو رفض راية محبة الله المعلنة فى انجيل نعمته «ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم» (إر ٨:٧) «وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا مالايليق مملوئين .. مشحونين ..» (رو ١:٢٦) ، «إن لم تؤمنوا إنى أنا هو» هنا سر كل ضياع العالم ، يهوه الخالق أتى الى العالم ورفضه العالم لكن نشكر الله لأجل كل الذين قبلوه .

☐ الثانى : الشمس تشرق والشمس تغرب ..الشمس فى إشراقها تعلن عن مولد يوم جديد وهو يشير الى الغد ! الكلمة التى تداعب ذهن الانسان باستمرار «غداً» — هذه إحدى الرايات التى فى يد عدو النفوس التى يستخدمها كمخدر ليبعد النفس عن التفكير فى إمكانية نهاية الحياة اليوم حيث تذهب الى أبدية لا نهاية لها .

وهنا تبدو المباينة الشاسعة بين محطتى الاذاعة اللتين فى العالم ! هناك المحطة الخادعة العالية الصوت التى تقول للانسان باق وقت طويل لك هنا ، غداً يمكنك أن تعمل المستحيل ، ماعجزت عنه أمس واليوم فالحل هو غداً ، وهكذا يحلق بالذهن فى مخططات غداً «ويكون الغد كهذا اليوم عظيماً بل أزيد جداً» (اش ٥٦:١٢) .

وهناك المحطة الأخرى الصادقة ، كلمة الله الأمينة التى توجه النفوس الى الأبدية وحسم الموقف هو اليوم ، فالأبدية قد تبدأ اليوم بكل رهبتها وخطورتها وهذا هو إتجاه كل رجال الله الأفاضل الذين أُعطوا أن يكونوا معلمين لنا فى كلمة الله .

إسمع مايقوله موسى فى صلاته المؤثرة فى مز ٩٠: ١٢ «إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة» . وماذا يقول داود ايضا فى صلاته مز٣٩: ٤ «عرفنى يارب نهايتى ومقدار أيامى كم هى فأعلم كيف أنا زائل هوذا جعلت أيامى أشباراً وعمرى كلا شىء قدامك إنما نفخة كل انسان قد جُعل انما كخيال يتمشى الانسان» .

واستمع ايضا الى إنذار الرسول يعقوب بخصوص آمال الغد ومشروعاته «هلم الآن أيها القائلون نذهب اليوم أو غداً الى هذه المدينة أو تلك وهناك نصرف سنة واحدة ونتجر ونربح أنتم الذين لاتعرفون أمر الغد لأنه ماهى حياتكم إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يع٤: ١٣) وهى ذات تحذير الحكيم نفسه فى أم ٢٧: ١ «لاتفتخر بالغد لأنك لاتعلم ماذا يلده يوم» .

الى أن أتى التعليم الكامل على فم السيد نفسه فى قوله الكريم «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفى اليوم شره . لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداءً عن نفسه» (مت ٦: ٣٣، ١٦: ٢٦).

وقد أوضح له المجد كيف يداعب العدو ذهن البشر بآمال خادعة فى ذلك الغنى الذى قال «أهدم مخازنى وأبنى أعظم .. وأقول ..... فإذا بالصوت الرهيب : ياغبى هذه الليلة تُطلب نفسك منك وهذه التى أعددتها لمن تكون» (لو١٢: ١٨) .

□ الثالث : الريح تذهب الى الجنوب وتدور الى الشمال تذهب دائرة دوراناً والى مداراتها ترجع الريح .

هنا نرى وجهاً آخر من خداع القلب ألا وهو التجوال لرؤية شعوب العالم ودراسة طباعها وعاداتها . لو أمكن لرحالة له إمكانيات أن يزور كل الشعوب فى كل القارات ، ماهى الخلاصة التى سيخرج بها ؟ الانسان أنانى مُحب لذاته لذلك هو متصلف وقاسى . لن يرى دولة واحدة مهما كان مستواها المادى ، إلا وسجونها مملوءة ومصحاتها العقلية والنفسية مكتظة بمن فيها بسبب إنعدام الحنان والرفق . وهكذا يعود الى وطنه بخيبة أمل ويعلم أن العلاج ليس فى التجوال بين الشعوب لكن فى ذاك الذى

هو وحده مخلص العالم «وليس بأحد غيره الخلاص ، واسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (أع٤:١٢، مت ١:٢١) .

☐ الرابع : كل الأنهار تجرى الى البحر والبحر ليس بملآن ـــ النهر فى الكتاب يشير الى مايمكن أن يروى النفس البشرية المملوءة بالعطش لذلك ليس لشعب الرب فى كل العصور إلا نهر واحد فيه الأرتواء الكامل الثابت الذى هو المسيا موضوع نبوات العهد القديم ، كما نراه بكل وضوح فى العهد الجديد مخلصنا المحبوب المعبود ربنا يسوع المسيح . فنرى فى جنة عدن نهراً واحداً يسقى كل الجنة ثم فى سفر المزامير نسمع «نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلى» (مز٤٦:٤) لذلك يهتف داود عن إرتواء شعب الرب منه «يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك (مسراتك) تسقيهم» (مز٣٦:٨) .

والى نهاية الوحى حيث المشهد الأبدى ومشهد الملك الألفى ليس إلا نهر واحد ليروى العروس السماوية والعروس الأرضية (رؤ٢٢) ، بينما فى الوحى نسمع عن نهرى دمشق أبانة وفرفر ونهرى أورالكلدانيين وأنهار مصر ، لأن العالم له ينابيع متنوعة متعددة لمحاولة الارتواء الكاذب الخادع وكلها أنهار مسممة ، فنسمع عن نهر الملذات والشهوات (يو٤) «كل من يشرب من هذا الماء يعطش ..» ونهر الثروة والمال «من يحب الفضة لايشبع من الفضة ومن يحب الثروة لايشبع من دخل» (جا٥:١٠) ، ونهر العظمة والسلطان كما ظهر فى نبوخذنصر (دا ٤) ونهر الذات وكبريائها كما ظهرت. فى هامان ونهر التدين الكاذب كما ظهر فى الفريسيين .

شكراً للرب لأجل النهر الواحد الذى فيه لذتنا نحن المفديين وفيه عبادتنا وفيه الارتواء الأمين الكامل الثابت «كما يشتاق الأيل الى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى اليك ياالله» (مز٤٢:١) .

☐ الخامس : كل الكلام يقصر لايستطيع الانسان أن يخبر بالكل

العين لاتشبع من النظر ! هنا نرى محاولة أخرى لإشباع القلب البشرى وهى عن طريق مايمكن أن تراه العين من مناظر جذابة زائفة .

كم من مناظر فى الطبيعة بديعة جداً تعبّر عن عظمة الخالق نفسه ، لكن لن يجد القلب شبعه وإرتواءه فيها ، بحيث تمتنع العين عن التأمل فى مناظر أخرى . وهناك المعارض المتنوعة الأغراض فى العالم وروادها بالملايين ولن تجد واحداً منهم وجد كفايته فيها بل هناك السؤال الدائم هل من مزيد ؟ لكن شكراً للرب لأجل المنظر الواحد الذى إذ تنفتح البصيرة الداخلية لكى تراه بالايمان ، فهناك الارتواء بفرح غامر لاينطق به ومجيد ، الذى قال عنه الرسول يوحنا فى آخر أيامه «الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه» (١يو١:١) — أى الذى أطلنا التأمل والتفرّس فيه ، وطوال الأبدية لن يكون للمفديين منظر يُشبع ويروى نفوسهم إلا وجهه الكريم «وهم سينظرون وجهه» (رؤ٢٢:٤) .

كم من الرفعة والسمو الروحى الآن إذ ندرّب أنفسنا ليكون لنا العين المركزة عليه بالايمان «لكى أنظر الى جمال الرب وأتفرّس فيه ..» (مز٢٧:٤) ، «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب ... نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣:١٨) .

كما أننا من الناحية الأخرى ليت لنا الحرص الشديد على نظراتنا حتى لانلتفت الى مناظر العالم التى يريد بها العدو إثارة شهواتنا فيعطل أفراحنا وهذا ماعبّر عنه السيد بالقول «فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك» (مت ٥:٢٩)

والمقصود بالعين اليمنى واليد اليمنى إن أعظم الأشياء التى لها قيمة عظيمة ونافعة لنا لن تعيقنا عن إدانة ذواتنا إدانة كاملة إذا ماوجدنا فى قلوبنا تحولاً عن الرب .

□ **السادس : والأذن لاتمتلىء من السمع** — كم من محطات إذاعة فى العالم لها نشرات إخبارية متعددة طوال اليوم ، بخلاف البرامج الأخرى من أحاديث وتمثيليات ، وهكذا ينتهى اليوم وأذن المستمع لم تجد مافيه كفايتها وشبعها بل هى أكثر فراغاً من بداية اليوم . لكن شكراً لذاك الذى فى صوته الكريم كل الشبع لآذاننا لأنه لايصل الى الأذن الخارجية لكنه يصل الى الأذن الداخلية غير المنظورة — الى القلب والأحشاء . وخرافه لها الحساسية المرهفة أن تميز صوته عن صوت الغريب (يو١٠) لأن صوته كان

هو مصدر الحياة الأبدية لها «الحق الحق أقول لكم تأتي ساعة وهى الآن فيها يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو٥:٢٥) ، لذلك طول الطريق ليس لها شبع ولا راحة إلا فى الجلوس عند قدميه حيث تمتلىء الأذن من أقواله الغالية «تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى» (نش ٢:٣) كما كانت مريم تجلس عند قدميه تسمع كلامه (لو١٠) .

ليت كل انسان يتعقل ويفهم أن الأذن مسئولة أمام خالقها «لأن الأذن تمتحن الأقوال كما أن الحنك يذوق طعاماً . لنمتحن لأنفسنا الحق ونعرف بين أنفسنا ماهو طيب» (أى ٣٤:٣،٤) .

٩ ماكان فهو مايكون والذى صنع فهو الذى يصنع فليس تحت الشمس جديد . ١٠ إن وجد شىء يُقال عنه أنظر هذا جديد فهو منذ زمان كان لى الدهور التى كانت قبلنا (ع٩،١٠)

المقصود بالشيء الجديد الذى يبحث عنه الجامعة ، شىء جديد يمكن أن يشبع النفس ويملأها بالسلام والسعادة الحقيقية .

وهذا يحيى فينا الشعور بالحاجة الى البركات الروحية السماوية الأبدية حيث نجد كل شىء جديداً . فبالايمان بالفداء الذى بربنا يسوع المسيح ، ينشىء الله فينا طبيعة جديدة مقدسة سماوية «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥:١٧) ، وايضا يضع فى أفواهنا ترنيمة جديدة (مز٤٠:٣، رؤ٥:٩) وسيعطى لى الأبدية كل واحد منا اسماً جديداً (رؤ٢:١٧، ٣:١٢) وسيصير كل شىء جديداً ، سماوات جديدة وارضاً جديدة (رؤ٢١:٥) .

١١ ليس ذكر للأولين والآخرون ايضا الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم (ع١١)

ليس ذكر بمعنى ليس اعتبار لتحذيرات وإنذارات ودروس عبر الأجيال السابقة عند الأجيال التى أتت بعدها .

لقد تعثرت قدما رجل الله المبارك داود فى خطية تعدد الزوجات لأنه لم يحكم

على نفسه ويدرب نفسه على الضبط المقدس والقناعة ، الى أن سقط سقطته الرهيبة المُرّة .هل اعتبر سليمان بما حدث لأبيه ، هل دموع داود والذل الذى رآه وهو تحت عصا التأديب ـــ هل كل ذلك كان له وزنه فى حياة سليمان وتصرفه فى هذا الأمر بالذات . كم زاد وزاد إنحراف هذا الملك العظيم الى أن انحنى لبعل زوجاته الوثنيات .

لم يعتبر داود بسقطة شمشمون من جهة ضبط شهوة الجسد فكان سقوطه أعظم ، ولم يعتبر سليمان بسقطة داود فكان الانحراف المُرّ الرهيب .

ليتنا نعى ونتعقل وقد حرص الروح القدس على تسجيل هذه الأمور فى حياة هؤلاء الرجال مع أنها مشينة لهم ، لكن لكى نعتبر نحن «وهذه الأمور حدثت لهم مثالاً وكُتبت لانذارنا نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور» (١كو١٠)

١٢ أنا الجامعة كنت ملكاً على اسرائيل فى أورشليم . ١٣وجهت قلبى للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ماعُمل تحت السموات هو عناء ردىء جعلها الله لبنى البشر ليعنوا فيه (ع١٢، ١٣)

لايريدنا أن ننسى أن اختباراته هذه التى يسجلها لنا ، كان فيها أرفع حاكم على الأرض ، وفى متناوله كل المصادر والينابيع التى من مقتضيات مركزه العالى ، وهكذا يحملنا أن نصغى بأعمق احترام وانتباه .

أى وهو فى كل مجده وحدّ أهدافه واتجه بكلياته «للسؤال والتفتيش» فما من طريق تصوّر أنها تؤدى الى السعادة إلا وسلكها ، ما من متعة تنكّب عنها . ما من جهد رآه ينتهى الى الشبع والراحة إلا وبذله .

ولم يكن سعيه سعى الانسان السطحى لكنه دخل الى أعماق الأمور وبحثها بحثاً دقيقاً شاملاً . ولم يكن سعيه سعى الرجل الجاهل لأنه وجّه قلبه للسؤال والتفتيش بالحكمة ، وماذا كانت النتيجة ؟ وجد أن هذا كله عناء ردىء أى عمل مضن مُنهِك للقوى جداً . «وأعطاه الله لبنى البشر ليعنوا فيه» !!!! عجباً هل كان هذا قصد الله المحب ؟ يقول الفاهمون فى العبرى «ليعنوا به» أى ليتدربوا به ، وهكذا يقودهم الى الاتضاع أمامه وهنا البركة العظمى ، حيث يأتى بهم القديرالى مصدر

الشبع الحقيقى مسيا العهد القديم الذى هو ربنا يسوع المسيح .

١٤ رأيت كل الأعمال التى عُملت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح (ع١٤)

فى ع ٢ يصرِّح الجامعة أن الكل باطل أى بدون قيمة ، بلا نفع حقيقى أو فائدة باقية ، أما هنا فيضيف كلمة «وقبض الريح» أو انقباض الروح وتأتى ٧ مرات فى هذا السفر ص ١٤:١ ، ٢:١١،١٧،٢٦ ، ٤:٤،٥،١٦؛ ٦:٩ — هذه هى الخلاصة التى ينبغى أن تستقر فى أعماق قلوبنا ، **لا فائدة حقيقية باقية فى كل ماأعمله لنفسى تحت الشمس** بل سأخرج بما هو أتعس وهو انقباض الروح . لذلك ليتنا نصغى الى صيحة الرسول العظيم «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا مافوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . اهتموا بما فوق لا بما على الأرض» (كو٣:١،٢) فالتعب الذى له منفعة حقيقية باقية ويملأ القلب بالفرح ، هو التعب لأجل ذاك الذى هو فوق الشمس «مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب» (١كو٥:٥٧)

١٥ الأعوج لايمكن أن يقوّم والنقص لايمكن أن يُجبر (ع١٥)

فضلاً عما وجده الجامعة من خيبة أمل وقبض الروح فى كل ما يُعمل تحت الشمس ، لكنه وجد ايضا كل شيء خاطئاً وناقصاً وأنه لا قوة له على تصحيح الأمور ، لأنه لاتوجد قوة تحت الشمس تستطيع أن تغير الطبيعة الساقطة التى فى الانسان التى هى نبع كل إعوجاج ونقص وتشويش «هل يغيرالكوشى جلده أو النمر رقطه فأنتم ايضا تقدرون أن تصنعوا خيراً أيها المتعلمون الشر» (ار١٣:٢٣) .

لكن شكراً لمن هو فوق الشمس وأتى الى أرضنا وأعلن أنه هو الذى يعطى الولادة من فوق (يو٣:١،٣) .

١٦ أنا ناجيت قلبى قائلاً هاأنا قد عظمت وازددت حكمة أكثر من كل مَنْ كان قبلى على أورشليم وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة (ع ١٦)

هنا نعثر على سر خيبة سليمان ، فقد استصحب فى داخله رفيقاً أو مشيراً

لايؤتمن وهو قلبه . أى أنه كان هو وقلبه وحدهما . إنه لمن الخطر والباطل أن يستشير الانسان أو يناجى قلبه أى ميوله وعواطفه الشخصية بدون الاحتكام الى نور الكلمة الفاحص المحصص والذى يحكم على كل شىء بحسب الموازين الالهية .
إذاً لاتأخذ لكَ ياصديقى مشيراً من قلبك مادامت المحبة الالهية قد وضعت الحكمة والمعرفة المطلقة تحت تصرف الايمان المتواضع وذلك فى الرب يسوع المسيح «الذى صار لنا حكمة من الله» (١كو١:٣٠) . والذى يقول له المجد «أنا الحكمة .. لى المشورة والرأى أنا الفهم» (أم ٨:١٢،١٤) . ويقرر سليمان قائلاً «وازددت حكمة أكثر من كل مَنْ كان قبلى على أورشليم» — يقصد هنا إيثان وهيمان وكلكول ودردع (١مل ٤:٣١) .

١٧ ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل فعرفت أن هذا ايضا قبض الريح (ع١٧)

إتجه الجامعة بكلياته لمعرفة الحكمة ودراسة مبادئها ، لعله يجد فى ذلك راحة ، ومأأعجب التقرير ! قبض الريح أو جرى وراء الريح ! فدراسة الحكمة بدون الشركة وفرح القلب بمن هو فى ذاته الحكمة الأزلى ، لم يحصل سليمان على ماكان يتوقعه . فتحول عنها الى الحماقة والجهل أى الجنون والتهور ، فلم يكن نصيبه من هذه أفضل من سابقتها .

١٨ لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم والذى يزيد علماً يزيد حزناً (ع١٨)

كلما تعمق فى دراسة مبادىء الحكمة ، كلما رأى فى نفسه عجزاً عن السلوك فى هذه المبادىء ، لأن نظره مثبّت على ذاته وإمكانياته الشخصية . وهو ذات اختبار رومية ٧ حيث نسمع «ويحى أنا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت» وهنا ذات الاختبار — كثرة الغم ، وهو ذات القاعدة فى القول التالى «الذى يزيد علماً يزيد حزناً» . كلما تعمّق الانسان فى العلوم بكل فروعها كلما تكشّفت له تفاهة الانسان أمام الطبيعة وهنا الحزن الزائد ، لكن لنسمع هتاف الرسول فى رو٧ إذ يرفع قلب المؤمن من النظر الى ذاته الى ذاك الذى فيه كل الكفاية وكل النصرة «أشكر

الله بيسوع المسيح ربنا» (رو٧: ٢٤،٢٥)

وكذلك فى العلم الكثير بحسب الطبيعة الحزن الزائد كما قرر الحكيم ، لكن هناك علماً آخر وهو علم الكتاب عند قدمى السيد نفسه خالق الكون كله وهو الذى فى كلمته أعطى ماهو لازم من جهة أصول الأشياء وكيف تكونت وأخذت كيانها ، وماهو غرضه من خلقها ولكن فوق الكل أعلن فى كلمته عن قلبه من جهتى وماذخره هذا القلب الكريم لى . لذلك يهتف الرسول قائلاً أن سر انتصار سعيه المقدس هو «بل فى كل شىء تُظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير ... فى طهارة فى علم فى أناة فى لطف فى الروح القدس فى محبة بلا رياء» (٢كو ٦: ٤،٦) .

«القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس مَنْ يعرفه»

(ار١٧: ٩)

الأصحاح الثاني

١ قلت أنا في قلبي هلم أمتحنك بالفرح فترى خيراً وإذ هذا ايضا باطل . ٢ للضحك قلت مجنون وللفرح ماذا يفعل (ع١،٢)

انتهى اختبار الحكيم في نهاية الأصحاح الأول بأن الحكمة جلبت عليه غماً عظيماً ، لأنه كما توضّح رأى عجزه الكامل في السلوك في مبادئها ، فبدلاً من الاتجاه السليم المقرر في نهاية رو٧ الى القوة في ذاك الذي هو الحكيم الأزلي ، نراه هنا يتحول الى الجانب الآخر ، الى تلك المباهج والملذات التي قد يجد فيها الجسد متعته «قلت أنا في قلبي هلم أمتحنك بالفرح» — أي أرى ما إذا كنت أستطيع أن أشبعك بالملذات وإذا هذا ايضا باطل .

اختبر ايضا الضحك وهو المرح في أقصى حدوده ، فإذا هو جنون لأنه يسلب الحكيم وقاره واتزانه . ثم يقرر ماذا يستطيع أن يفعله الفرح بكل ماتحمله الكلمة من معاني الطرب والانغماس في الملذات ، إنها لاتستطيع أن تجلب سعادة حقيقية أو شبعاً أو كفاية ، بل هي في الحقيقة تقود الناس الى البعد عن الله «يحملون الدف والعود ويطربون بصوت المزمار .. ويقولون لله أبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نُسَرّ من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن إلتمسناه» (أى ٢١:١٢)

٣ افتكرت في قلبي أن أعلل جسدي بالخمر وقلبي يلهج بالحكمة وأن آخذ بالحماقة حتى أرى ماهو الخير لبني البشر حتى يفعلوه تحت السموات مدة أيام حياتهم (ع٣)

إذ لم يجد سليمان سعادته في الطرب ، تحوّل الى الخمر ليختبر حظه منه ، رغم أنه حذّر منها بشدة في أمثاله (أم ٢٠:١، ٢٣:٢٠) .

«قلبي يلهج بالحكمة» — هذه جملة معترضة قصد بها الحكيم أنه في حالة شربه الخمر لم يتخل عن حكمته ، حتى لاتفقده الخمر إتزانه ووقاره وتقديره ، بل كان في تصميمه أن يضبط شهواته . لكن الحقيقة أثبتت خلاف ذلك ، ماأبعد الفرق بين تصميم

سليمان الفاشل وبين تصميم دانيال «وأما دانيال فجعل فى قلبه أن لايتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه» (دا ١ :٧)

كانت حكمة دانيال أسمى بكثير من حكمة سليمان ، لأنها كانت مقترنة بالشركة العميقة مع رب الحكمة ، وهكذا أغلق الباب تماماً أمام كل المنافذ التى تعطل شركته لحظة واحدة .
لا فائده من أى تصميم إن لم يكن مقترناً بالفهم الصحيح لحقيقة عجز المؤمن تماماً وأنه بدون الرب يسوع المسيح لانستطيع أن نفعل شيئاً (يو ١٥:٥)

ليتنا نتبع مدرسة دانيال وبولس فى التصميم النابع من سكب القلب والاتضاع عند قدمى ربنا يسوع المسيح مصدر القوة الوحيد . هنا فقط استطاع بولس أن يقرر عن اختبار مكلل بالنجاح «أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى» (فى ٤ :١٣)

٤ فعظمّت عملى بنيت لنفسى بيوتاً غرست لنفسى كروماً . ٥ عملت لنفسى جنات وفراديس وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر . ٦ عملت لنفسى برك مياه لتسقى بها المغارس المنبتة للشجر . ٧ قنيت عبيداً وجوارى وكان لى ولدان البيت وكانت لى ايضا قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا فى أورشليم قبلى . ٨ جمعت لنفسى ايضا فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات . ٩ فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى أورشليم وبقيت ايضا حكمتى معى . ١٠ ومهما اشتهته عيناى لم أمسكه عنهما لم أمنع قلبى من كل فرح لأن قلبى فرح بكل تعبى وهذا كان نصيبى من كل تعبى . ١١ ثم التفت أنا الى كل أعمالى التى عملتها يداى والى التعب الذى تعبته فى عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس . (ع٤ــ١١)

إذ أدرك سليمان أنه من الحماقة أن يُسعد نفسه بالخمر ، عزم على أن يجرب مسرات الملوك والأمراء والعظماء ، فبنى البيوت وغرس الكروم ، وعمل الجنات والفراديس ، وعمل برك المياه ، ويملؤها جميعاً كل ماتستطيع نفس الانسان أن تتمتع به وقد كانت الموارد التى تحت إمرته لا تفرغ . وتصور أنه فى وقت قريب سيلقى نظره على كل العمل الذى عمله ، فيستريح مستمتعاً بجهده الذى بذله . على أنه ما إن

وصل الى نهاية المطاف ، بعد أن امتحن كل لذة ، إذا بفمه يمتلىء شكوى ومرارة وأنات الأسى .

إيه ياذا الجامعة العظيم ، يامن كانت الدنيا بأسرها تحت أمرك يومذاك ، هل مكنتك تلك المشتهيات المنطلقة التي لاتقف عند حد من الراحة والسعادة المنشودة . بعدما ألقيت بالكل فى تلك الهاوية الجائعة إذا بها لاتزال خاوية . ليتنا أمام هذا الاختبار المرّ نسرع الى ذاك الذى وحده يستطيع أن يروى النفس إرتواء كاملاً والى الأبد «إن عطش أحد فليقبل الىّ ويشرب . من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى» (يو٧:٣٧) — مأروعك ياراعى نفوسنا وأسقفها ! فليس فقط تنكسر حدّة العطش ، بل فيض من المياه ينساب الى الآخرين العطاش . ليس فقط أن الفراغ يمتلىء بل هناك فيض من البركة يجرى سلسبيلا .

مفارقة عجيبة حقاً ، صفحة قاتمة يرسمها أعظم وأغنى ملك ، لكن هناك صفحة ناصعة الجمال يرسمها إناء فقير بلا دار تأويه ، إذ امتلأ قلبه بالينبوع الحى ، استطاع أن يقرر «كحزانى ونحن دائماً فرحون كفقراء ونحن نغنى كثيرين كأن لاشىء لنا ونحن نملك كل شىء» (٢كو٦:١٠)
إذاً ماهو الاستنتاج الأمين الصادق الذى نستخلصه من هاتين الصورتين ؟ هو أن الرب يسوع المسيح الانسان السماوى الفريد صاحب الكمالات المطلقة ، وفيه يحل كل ملء اللاهوت ، يسمو بما لايقاس على العالم بأسره فى إشباع قلب الانسان الجائع . **فالمسيح هو الكل فى الكل** للنفس التى ترجو السعادة فى الحياة سواء فى الاختبارات الزمنية كما هو الحال مع سليمان أو فى العبادة وإرضاء الله كما هو اختبار رو٧ .

١٢ ثم التفت لأنظر الحكمة والحماقة والجهل فما الانسان الذى يأتى وراء الملك الذى قد نصبوه من زمان .(ع١٢)

لقد سجل سليمان اختباره المرّ فى نهاية الأصحاح الأول عن تعمقه فى دراسة الحكمة فى مبادئها وخرج من هذه الدراسة بكثرة الغم ، لأنه اكتشف عجزه الكامل فى ذاته عن السلوك فيها . ثم تحوّل الى الحماقة والجهل فوجد فيهما انقباض روحه .

فهو هنا يقول لنا إن كان هذا هو تقريره كالملك سليمان ، فلا داعى إذاً لأى إنسان بعده أن يغرّق نفسه فيما غرق هو أولاً فيه ، وذلك بكل إمكانياته الفائقة .

١٣ فرأيت أن للحكمة منفعة أكثر من الجهل كما أن للنور منفعة أكثر من الظلمة (ع١٣)

إن الحكمة للنفس ، مثل النور للجسد ، تكشف الطريق وتُنير السبيل ، أما الجهل فهو كالظلام الذى يسدل ستاره على الذهن فيظلمه . ولا ننسى أننا نحن المؤمنين كنا قبلاً فى دائرة الجهل والظلمة ، ولكن «شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا الى ملكوت ابن محبته الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا» (كو١ :١٢)

١٤ الحكيم عيناه فى رأسه أما الجاهل فيسلك فى الظلام . وعرفت أنا ايضا أن حادثة واحدة تحدث لكليهما (ع١٤)

نرى هنا انطباع الحكمة فى الحياة العملية للحكيم ، كما الجهل ايضا فى حياة الجاهل . والتعبير «عيناه فى رأسه» بمعنى التعقل ليرى موضعاً لقدميه قبل كل خطوة ومغبوط هو المؤمن ــ المُشار اليه بالحكيم هنا ــ الذى فى شركة عميقة مع الرب يتعقل ليرى عواقب الأمور ، وهكذا يتجنب مواقف صعبة «من قِبلْ الرب تتثبت خطوات الانسان وفى طريقه يُسّر» (مز٣٧ :٢٣) ، «الحكمة عند الفهيم أما عينا الجاهل فى أقصى الأرض»(أم١٧ :٢٤)فهو يعيش بلا هدف ويهيم ببصره هنا وهناك ، لاشيء سوى الفراغ والبُطل فى القلب والذهن «إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم» (أف ٤ :١٧)

١٥ فقلت فى قلبى كما يحدث للجاهل كذلك يحدث لى أنا وإذ ذاك فلماذا أنا أوفر حكمة ؟ فقلت فى قلبى هذا ايضا باطل (ع١٥)

يتساءل الحكيم : إن كنت رغم حكمتى سأصل كغيرى الى الموت فما الفضل فى أنى صرت أكثر حكمة من غيرى ؟ واأسفاه ! هذا هو أحكم انسان إذ انحصر نظره وفكره فى الأمور التى تحت الشمس ، هاهى الموازين ترتبك فيرى الموت كارثة كبرى تنهى كل نشاطه وكل حكمته . ماأبعد الفارق بين هذه النظرة وهذا التقدير ، وبين

نظرة وتقدير قلب شبع بمن هو فوق الشمس «برأيك تهديني وبعد الى مجد تأخذني» ، «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (مز٧٣:٢٤، فى ١:٢١) .

١٦ لأنه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل الى الأبد كما منذ زمان كذا الأيام الآتية الكل ينسى وكيف يموت الحكيم كالجاهل ؟ ١٧ فكرهت الحياة لأنه ردىء عندى العمل الذى عمل تحت الشمس لأن الكل باطل وقبض الريح (ع١٦، ١٧)

إذ ارتسم الموت أمام الحياة التى تحت الشمس وكل التفكير فيما يقال تحت الشمس ، ولو كانت حياة أغنى وأعظم وأحكم إنسان على الأرض ، هاهى النتيجة أنه لايجد لذة فى حياته هنا بل يكرهها ! لكن ماأروع الحياة التى يملؤها ذاك الذى ليس مثله فوق أو تحت الشمس .

كم كانت الحياة هنا على الأرض متعة رائعة جداً بالنسبة لبولس بالرغم من الضربات والسجون والاضطرابات ، فى الشدائد والضرورات والضيقات (٢كو٦:٤) وذلك لأن مسيح الله المبارك المحبوب المعبود ، كان هو الذى يحيا فى بولس «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ . فما أحياه الآن فى الجسد أحياه فى الايمان ايمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى» (غل ٢:٢٠)

سليمان يرى كل ماعمله «ردىء عندى العمل الذى عمل تحت الشمس لأن الكل باطل وقبض الريح» بينما بولس شاكر الله جداً من أجل كل ماعمله هنا على الأرض وفخور به ، ويرسمه أمام المؤمنين فى كل العصور كقدوة . وذلك لأن عمل سليمان كان لنفسه وكل محوره تحت الشمس ، لكن عمل بولس كان لأجل ربنا يسوع المسيح ولمجده فقط وكل محوره أن يتعظم المسيح ويتعالى ويكرم اسمه المجيد المعبود لأنه يستحق .

كان عمل سليمان نابعاً من نفسه لأجل إسعادها ، أما عمل بولس كان نابعاً من المسيح ليرجع للمسيح ويسعد الآخرين «وأما أنا فبكل سرور أُنفِق وأُنفَق لأجل أنفسكم» (٢كو١٢:١٥) .

وكان بولس إناء للكرامة يستمتع بيد السيد وهى تحركه فى مخطط سماوى رائع جميل تظهر فيه كمالات المسيح وأمجاده وفضائله .

١٨ فكرهت كل تعبي الذى تعبت به تحت الشمس حيث أتركه للانسان الذى يكون بعدى . ١٩ ومَنْ يعلم هل يكون حكيماً أو جاهلاً ويستولى على كل تعبي الذى تعبت فيه وأظهرت فيه حكمتي تحت الشمس . هذا ايضا باطل ٢٠ فتحولت لكى أجعل قلبي ييئس من كل التعب الذى تعبت فيه تحت الشمس . ٢١ لأنه قد يكون إنسان تعبه بالحكمة والمعرفة وبالفلاح فيتركه نصيباً لإنسان لم يتعب فيه هذا ايضا باطل وشر عظيم . ٢٢ لأنه ماذا للانسان من كل تعبه ومن كل اجتهاد قلبه الذى تعب فيه تحت الشمس . ٢٣ لأن كل أيامه أحزان وعمله غم ايضا بالليل لايستريح قلبه هذا ايضا باطل هو (ع١٨ــ٢٣)

فى هذه الأعداد ينتقل الحكيم إلى التأمل ، لا فى الأعمال التى عملها كما رأينا فى ع١٨ ، لكن فى التعب والمجهود الذى بذله فى إخراج هذه الأعمال :

أولاً : قلبه يمتلىء باليأس والقنوط لأنه بانتهاء حياته ، سيضع انسان آخر يده على كل ماتعب فيه سليمان ، وقد استخدم كل حكمته وكل معرفته فى هذا التعب ، وتأوهات الأسى هى أن الذى يأتى بعده قد يكون انساناً جاهلاً . وقد حدث فعلاً إذ جاء ابنه رحبعام وأفسد كل شيء ، ولم تمض خمس سنوات من موت سليمان حتى جاء شيشق ملك مصر ووضع يده على كل شيء نتيجة لجهل رحبعام ، هكذا امتدت عليه يد الرب بالتأديب هو وكل المملكة .

ثانياً : هو يتذكر أن تعبه فى إنجاز هذه الأعمال كان مقترناً بالحزن والغم والقلق بالليل والنهار ، بسبب انحصار السعى فى ماهو تحت الشمس الذى طابعه عدم الاستقرار وعدم الثبات ومعرّض للزوال فى أية لحظة .

ــ ماأبعد الفارق بين تعب سليمان وتعب بولس :

أولاً . تعب بولس هو صدى لدين المحبة العظيم ــ محبة المسيح إذ يقول عنه «الذى أحبني وأسلم نفسه لأجلى» «لأن محبة المسيح تحصرنا .. كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام» (٢كو٥:١٥)

ثانياً . تعب بولس سوف لايتركه لنفوس تعبث به وتتلفه ، ولكن لكى تحيا هذه النفوس وتسعد وتتبارك فى المسيح هنا وأبدياً .

ثالثاً . هذه النفوس بدورها تتعب لكى تأتى بنفوس أخرى ، وهذا يعنى أن تعب بولس ممتد فى هذه النفوس الجديدة . وفى الحقيقة تعب بولس والرسل جميعاً وكل المفديين فى تدبير النعمة ليس إلا امتداد للتاعب الحقيقى ، الذى فى لاهوته لايكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص ، لكن إذ جاء الى أرضنا كان هو التاعب الحقيقى لأجل مجد الله ولأجل كنيسة الله . وقد صرّح بولس بهذه الحقيقة قائلاً «وأكمل نقائص شدائد المسيح» (كو١:٢٤) أى أنه له المجد تعب التعب المجيد اللامع الى الأبد ، لكنه ترك نصيباً لكل مؤمن لكى يشترك فى هذا التعب لأجل مجد الله ولأجل إكمال عدد العروس .

رابعاً . تعب بولس بقوة الروح القدس لذلك ليس فى قاموسه إطلاقاً كلمة يأس أو فشل بالرغم من الأهوال التى واجهته فى طريق الخدمة لأجل سيده العظيم المحبوب المعبود . وطابعه باستمرار أن الله «لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢تى ١:٧) والراية الكبيرة التى كان يسير تحتها «شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته فى كل مكان» (٢كو٢:١٤).
ماأعجب الختم الذى يضعه سليمان على تعبه وعمله :

ـــ كرهت كل تعبى ع١٨
ـــ تحولت لكى أجعل قلبى ييئس ع٢٠ ، وذلك مصيبة عظيمة .
ـــ ترك تعبه لانسان يُعد فى موازينه شر عظيم ع٢١
ـــ عمله مقترن بالحزن والغم والقلق ع٢٣

وواضح فيما تقدم أن تعب بولس على النقيض من هذه كلها تماماً .

٢٤ ليس للانسان خير من أن يأكل ويشرب ويُرى نفسه خيراً فى تعبه . رأيت هذا ايضا أنه من يد الله (ع٢٤) .

قصد الحكيم أنه خير للانسان أن يتمتع بما يعطيه له الله من بركات ، وأن يشعر بالرضى عن العمل المعين له من الله ويتذوق لذة التعب فيه . وهكذا يصل الى هذه النتيجة المذلة للكبرياء البشرية وهى أن الانسان فى ذاته عاجز كل العجز أن

يجعل حياته سعيدة ، إن لم يقبل الأمور من يد الله المحب .

٢٥ لأنه من يأكل ومن يلتذ غيرى (ع٢٥)

يقرر سليمان هنا بأنه هو القمة فى الأطعمة والتلذذ بها لكن لم يكن لها أى طعم أو لذة بدون قبولها من يد الله .

٢٦ لأنه يؤتى الانسان الصالح قدامه حكمة ومعرفة وفرحاً أما الخاطىء فيعطيه شغل الجمع والتكويم ليعطى للصالح قدام الله هذا ايضا باطل وقبض الريح (ع٢٥)

فى هذه الأقوال يعود سليمان الى أيام الشركة السعيدة عندما كان متمتعاً بالحكمة والمعرفة والفرح .

وعلى عكس ذلك الخاطىء فإنه لايحصد من وراء كده واجتهاده سوى التعب والعناء والأنين المرّ ، ومايجمعه ويكومه يرثه الصديق «ثروة الخاطىء تذخر للصديق» (أم١٣: ٢٢) . ايضا «تُجمع لمن يرحم الفقراء» (أم٢٨: ٨) وايضا «إن كنز فضة كالتراب وأعد ملابس كالطين فهو يعد والبار يلبسه والبرىء يقسم الفضة» (أى ٢٧: ١٦، ١٧) . ليتنا نسمع نصيحة الرسول بالروح القدس:

«إذاً ياإخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب» (١كو١٥: ٥٨) فما من كأس ماء بارد نقدمه فى اسم ربنا يسوع المسيح إلا وله أجره ونفوز فى الوقت المعين بابتسامة ربنا يسوع المسيح واستحسانه ومديحه عن قريب .

ماأروع المباينة فكل تعب للذات هو باطل وباطل الأباطيل وكل تعب لربنا يسوع المسيح ليس باطلاً على الاطلاق ، شكراً لك يامن غيّرت الحال معنا تماماً .



الأصحاح الثالث

فى الأعداد ١ــ٨ يريد الجامعة أن يبيّن أن عناية الله ترتب وتدبر حياة الانسان بكل دقائقها وهو يستعرض فى ع ١ هذا الترتيب بصفة إجمالية . ثم يوضحه بالتفصيل فى ع ٢ــ٨

١ لكل شىء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت (ع١)

زمان هنا بمعنى موسم ، وهى فرصة معينة محدودة كما يُقال موسم الحصاد . وفى كلمة الله نرى مواسم معينة هامة لها ارتباطها الخطير بأبدية الانسان التى ليس فيها سنين وأيام . وأول زمان مُلفت للنظر جداً هو الزمان الذى جاء فيه الخالق الينا ليصنع بنفسه الفداء والكفارة الالهية ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة» (غل٤:٤) ــ هذا هو الأساس والقاعدة الوحيدة لكل الأزمنة التى فى فكر الله لأنه زمان افتقاد الله بالنعمة لجنسنا المسكين ولذلك يسمى بتدبير نعمة الله (أف ٣)وهذا الزمان سينتهى قريباً باختطاف الكنيسة الحقيقية الى السماء . وحينئذ سيبتدىء زمان رهيب لمدة ٧ سنوات يسمى زمان ضيق (دا ١٢) وزمان انتقام (إر٥) وزمان اثم النهاية (حز٢١) والزمان الردىء (عا٥) . وبانتهاء السبع سنين هذه يأتى زمان الملك الألفى للمسيح على الأرض وبه ستكمل الأزمنة (أف ١) ، وبعد الملك الألفى تبدأ الأبدية التى لا سنين فيها أو أزمنة .

٢ للولادة وقت وللموت وقت للغرس وقت ولقلع المغروس وقت (ع٢)

كلمة وقت تأتى ٢٨ مرة فى ١٤ «ثنائى» وهى تشمل كل ظروف الانسان التى تحت الشمس من مولده الى موته . وقصد الحكيم أن كل ظرف من ظروف الحياة تحت الشمس له وقته ، لكن هناك ظرفاً آخر مضاداً له تماماً . والخلاصة طالما الأمر كذلك فلا منفعة لتعب الانسان تحت الشمس . ولكن شكراً لله لأجل الحكمة الأزلى عندما أخذ صورة إنسان وجاء تحت الشمس ، استخدم الوقت بروعة وجلال لمجد الله ولبركة ملايين النفوس التى اقتربت منه .

ماأروع تقرير انجيل مرقس ــ انجيل الخادم والعبد الكامل ، عن كلمة **للوقت** ٤٢ مرة ، ليوضح كم كان وقته ثميناً وغالياً ولم تكن فى حياته الغالية الكريمة لحظة واحدة إلا بحسب قصد الآب وفكره تماماً .

الثانى الأول

للولادة وقت وللموت وقت ــ هنا نرى بداءة الانسان تحت الشمس ككائن عاقل مفكر ناطق ، يولد فى هذه العائلة البشرية المميزة من الله على كل المخلوقات بل هو تاج الخليقة كلها .

«نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١:٢٦) وهكذا تبدأ كتابة قصة حياة الانسان على الأرض وكل يوم يمر ، يكتب فيه الانسان صفحة من صفحات حياته الى أن تنتهى القصة ، وذلك بالكلمة الخطيرة «وللموت وقت» . وماأتعس الانسان الذى تدور به العجلة ولايفهم قصد الله الذى كوّنه وصوّره فى أحشاء أمه وأنشأه ولاحظه ودبر له كل ظروف حياته . ولذلك نسمع أول حديث للرب يسوع المسيح بعد بدء خدمته فى انجيل يوحنا عن هذا الأمر الخطير ، لقد وضح له المجد للرئيس الدينى للأمة اليهودية ــ نيقوديموس ــ كما أنه بالولادة الحرفية الجسدية يبدأ الانسان كيانه على الأرض طبقاً لرغبات الأرض ، **هناك ولادة روحية من فوق تعطى الانسان طبيعة روحية جديدة فى داخله** ، وهذه يسكن فيها الروح القدس ليحرك الانسان طبقاً لرغبات السماء مع أنه لازال عائشاً على الأرض **«لاتتعجب أنى قلت** لك ينبغى أن تولدوا من فوق . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح» (يو ٣:٦) وهكذا يكشف الحقيقة الخطيرة أن **الولادة الجديدة التى من فوق ، ليست تحسين أو تجديد الطبيعة الساقطة المولود بها الانسان** ، التى ليس لها محور

تدور حوله إلا ذات الانسان وتعظيمها فى تجاهل كامل لحق الله ، وطعامها وشرابها هو رغبات وشهوات الجسد . وكل الفلسفات الدينية التى فى العالم تدور حول تحسين هذا الكيان الساقط الرهيب الموروث إما بالتهذيب وإما بالتعذيب والتقشف . وقد أُغلق

الباب تماماً فى وجه هذه المحاولات الساقطة وذلك بقوله الكريم «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لايولد من فوق لايقدر أن يرى ملكوت السموات» (يو٣:٣) ، كما جاءت إشارات كثيرة فى الكتاب المقدس الى هذه الحقيقة (إر٢٣:١٣، اش ٨:٤٨، أم ٢٢:٢٧،٢٥:٢٦) . وهناك أمثلة عملية واضحة فى الطبيعة ، إذا رأيت إنساناً عبقرياً فذاً فى الرياضيات هذا ليس إلا لأنه مولود بذهن رياضى يجرى نحو الرياضيات منذ طفولته وحداثة سنه . كذلك ايضا الموسيقار والرسام ، لذلك ينبغى أن يحصل الانسان من المسيح السماوى على هذه الطبيعة السماوية لتصبح ميوله وأفكاره كلها سماوية وينطبع هذا على كلامه وتصرفاته وكل نواحى حياته بين الناس هنا ــ راجع قصة خلاص زكا لو١٩ والعشار لو١٨ والسجان أع١٦ والسامرية يو٤ .

أما القول بأن الانسان يولد فى هذا العالم وهو يحمل البذرتين ، البذرة السماوية والبذرة الشريرة ، وبالتدريب والتهذيب تنمو الأولى وتذبل الثانية ، فقد توضح لنا من كلام الرب السابق مع نيقوديموس بطلان وجهل هذا القول بالاضافة الى الشواهد التى تؤكد أن الانسان يولد وبجملته كتلة شريرة مز١٤، ٥٣، رو٣، مز٥:٥١ .

فالولادة من فوق ــ الولادة الثانية ــ الولادة الجديدة ، عملية إلهية بحتة ، وليس على الانسان إلا الارتماء على مصدرها الوحيد وواهبها الوحيد ، المسيح السماوى القدوس المبارك ، والإقرار من القلب بأنه كان لأجلى على الصليب ، وأنه سدد كل مطاليب عدالة الله المطلقة «ايمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى» (غل٢:٢٠)

«قد محا عند الصليب دم ربى اثمى وعن القلب الكئيب زال كل الهم»

بقيت نقطة وهى كما أن الولادة الطبيعية الجسدية يتبعها موت جسدى حرفى كذلك ايضا الولادة الروحية الجديدة السماوية مرتبطة بموت أسمى وأنبل وأشرف وهو موت الذات البشرية الساقطة . ماأروع تقرير الرب له المجد «إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى» (مت ٢٦:١٦ ، مر٨، لو٩)

ماأروع تقرير الرسول «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ» (غل٢: ٢٠) . لاننسى أنه بالولادة الجديدة يخرج الانسان من دائرة الموت الحرفى ملك الأهوال ، بل يصبح الموت خادماً للمؤمن «لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح» (فى ١: ٢١) :

والخلاصة ماأتعس الانسان الذى تدور به عجلة سليمان — للولادة وقت وللموت وقت ، وهكذا يدخل الى الأبدية بلا نهاية بدون مغفرة خطاياه «وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩: ٢٧) .

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

الثنائى الثانى

للغرس وقت ولقلع المغروس وقت — الغرس فى الكتاب المقدس له ٣ معانٍ

الأول : الغرس الحرفى للنباتات تك ٢

الثانى : وضع الشعب اليهودى قديماً فى أرض فلسطين ليسكن فيها «كرمة من مصر نقلت وطردت أمماً وغرستها» (مز ٨٠: ٨)

الثالث : غرس الحق الالهى فى القلب كما يقرر المسيح له المجد (مت ١٥: ١٣)«كل غرس لم يغرسه أبى السماوى يُقلع» وهذا الغرس للحق الذى لايمكن إقتلاعه يأتى كحلقة أخيرة فى تعامل الله مع نفس الانسان :—

★ **الحلقة الأولى** : اجتذاب نفس الانسان الى المسيح كما يقرر له المجد «لايقدر أحد أن يُقبل الىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يو٦: ٤٤)

★ **الحلقة الثانية** : الاعلان الالهى فى القلب — من هو هذا المسيح المبارك كابن الله الحى «طوبى لك ياسمعان بن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات» (مت ١٦: ١٧).

★ **الحلقة الثالثة** : اجتذاب نفس الانسان الى عمل المسيح الكفارى على الصليب «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب الىّ الجميع قال هذا مشيراً الى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت» (يو١٢: ٣٢)

* الحلقة الرابعة : غرس هذا الحق عميقاً فى نفس الانسان بعمل إلهى لايمكن اقتلاعه
* الحلقة الخامسة : مقترناً بهذا الغرس إعطاء الطبيعة الجديدة التى سبقت الاشارة اليها فى الثانى الأول . والروح القدس فى كل هذه الحلقات لايستخدم إلا واسطة واحدة التى هى كلمة الله (عب ٤:١٢، ار٢٣:٢٩، اش٥٥:٨،يو٣:٥ ، لكن فى العالم اخترع العدو فى أذهان البشر أنواعاً أخرى من الغرس :—

□ **أولاً — غرس مايسمى المبادىء النبيلة فى الانسان عن طريق الفلسفة ، أى التفكير المنطقى العميق** ، وقد وضحّ الرسول فساد هذه المدرسة (رو١:٢٢)«وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء لذلك أسلمهم الله فى شهوات قلوبهم الى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم» .

□ ثانياً — غرس أقوال الآباء أى التقليد ، وقد وضحّ الرب للفريسيين بطلان هذه المدرسة وغباوتها فقال له المجد لهم «أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ، يامراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً «يقترب الىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً وباطلاً يعبدوننى وهم يعلّمون تعاليم هى وصايا الناس» (مت ١٥:٦)

□ ثالثاً — غرس المبادىء التقشفية وتعذيب الانسان نفسه ، لكى فى توهم باطل يقمع الشر الكامن فيه ، وذلك بصيامات مفروضة قاسية ، وعدم وضع موسى على جسده ليحلق شعره ، وقد وضحّ الكتاب بطلان هذه المدرسة وحماقتها إر٢:٢٢ **«فإنك وإن اغتسلت بالنطرون وأكثرت لنفسك الأشنان فقد نُقش إثمك أمامى يقول السيد الرب»** .

وكل هذه المدارس تتجاهل خراب الانسان الكامل وعجزه وفساده والسر هو تجاهل كلمة الله «ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم» (إر٨:٩)

لذلك كل هذا الغرس لابد له من النتيجة الحتمية «لقلع المغروس وقت» لأن كل غرس بشرى لايؤثر شعرة واحدة على الشجرة الردية المولود بها الانسان وتحتوى على كل عناصر طبيعة الشيطان لذلك لابد من إقتلاع الانسان بجملته من أمام

الله وطرحه فى مكان الانفصال الأبدى عن الله «هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» ولكن الغرس الالهى فى ربنا يسوع المسيح هو موضوع سرور الله وله هذه الأوصاف الجميلة :ـــ

ـــ أولاً «ويدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد» (اش ٦١:٣) ـــ ذات المعنى فى اش ٦٠:٢١ «وشعبك كلهم أبرار الى الأبد يرثون الأرض غصن غرسى عمل يدىّ لأتمجد» أى أن كل واحد من أولاد الله يُشار اليه بشجرة بر تُظهر كل صلاح الله كما أظهره على الوجه الأكمل ربنا يسوع المسيح فى حياته الغالية هنا على الأرض ، كيف كان يجول يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليس .

لكن الأساس واضح لأنهم غرس الرب أى غرس الهى للتمجيد ، أى أن هذا هو الغرض ليتمجد الله بهذا الغرس الذى تظهر ثماره أمام الناس «بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى» (يو ١٥:٨)

ـــ ثانياً «الصديق ..... مغروسين فى بيت الرب فى ديار الهنا يزهرون» (مز ٩٢:١٢). هنا الوجه الثانى ، فهم كجماعة مغروسين فى بيت الرب للسجود والعبادة والتسبيح

الثنائى الثالث

للقتل وقت وللشفاء وقت ـــ مخترع مدرسة القتل فى العالم هو قايين أول قاتل ، والدافع هو الذات البغيضة التى لم تحتمل أن الله يقبل تقدمة شقيقه هابيل ويرفض تقدمته . وبكل تأكيد كان هابيل رقيقاً وديعاً لأن شهادة المسيح عنه تقرر ذلك (راجع مت ٢٣:٣٥) وبكل يقين لم تصدر منه أية كلمة أو تصرف مثير ، لكن هى الذات التى لاتقبل أى رفعة للآخرين ، ومن عب ١١ نفهم أن الاعلان الالهى كان واضحاً للشقيقين على لسان أبيهما آدم عن كيفية الاقتراب الى الله عن طريق ذبيحة دموية لتكفر عن خطية الانسان . وواضح أن هابيل صدق الاعلان وقايين لم يصدق وقدم تقدمات ليست بحسب فكر الله فرُفضت .

وواضح أن غارس مدرسة القتل فى القلب البشرى هو الشيطان كما قال المسيح

له المجد لليهود «أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك كان قتالاً للناس منذ البدء» (يو٨: ٤٤) وكل الحروب الدامية فى كل التاريخ هو من ورائها. والرسول يوحنا يكشف لنا أمراً رهيباً فيقول «كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس» (١يو٣: ١٥) ـــ فهو يتناول الأمور من أصولها ومن جذورها الدفينة لأن روح الانسان المبغض أخاه هى روح قاتلة من حيث المبدأ شأنه شأن الرجل الذى يصفه المسيح بأنه زان لتركه الشهوة تعمل فى قلبه بدلاً من أن يدينها ويتذلل من أجلها ، ومن هذا نتعلم أن الله يتعامل مع القلب وليس مع الظواهر .

ثم يضيف الرسول «وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه» ، أى أنه لم يتعرّف برئيس الحياة ربنا يسوع المسيح ، وهكذا يصل الرسول الى الخلاصة أن مثل هذا هو ابن ابليس الصانع الحقيقى لكل بغضة والمثير الحقيقى لكل قتل .

وهنا يأتى السؤال هل من شفاء من هذه المدرسة الرهيبة مدرسة البغضة والقتل ؟ شكراً لله هاهو تقرير الحكيم «وللشفاء وقت» ماأدق الوحى الكريم ؛ فكنا ننتظر القول «للانتقام من القاتل وقت» ، ماأروع إعلان الله عن طبيعته ، ليس الانتقام هو سروره لكن بالعكس هو العمل الغريب على طبيعته (اش ٢٨: ٢١) لكن ماتسر به طبيعته هو انتصار النعمة وتغيير المشهد تماماً من بغضة قاتلة الى محبة باذلة «كما ملكت الخطية فى الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو٥: ٢٠) .

وكلمة الله تتكلم باستمرار عن المدرستين ، مدرسة العدو وطابعها وصفاتها وكيفية الخلاص منها وشفاء القلب جذرياً من كل أركانها والإنتقال الى مدرسة الله حيث العَلَمُ المرفوع هو المحبة والبذل ، وعلى سبيل المثال نتذكر ذلك الاناء المختار ـــ الرسول بولس ، ماهو تقرير الروح القدس عنه قبل أن يتقابل مع الرب يسوع ؟ نقرأ فى أع ٩ «وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب» ، أي قمة الأمة اليهودية فى القسوة والقتل وبكل قوته يجرى فى البحث عن تلاميذ المسيح .

ليفتك بهم وفجأة سمع ذلك الصوت الوديع «شاول شاول لماذا تضطهدنى» ، ومن تلك اللحظة تغيَّر ذلك اليهودى العنيد وأصبح فى المسيح خليقة جديدة أى تم شفاؤه تماماً من مدرسة القتل وأصبحت له أحشاء المسيح الفياضة بالمحبة والعطف والرقة والنبل والتضحية لأجل اسم ربنا يسوع المسيح .

ولا ننسى أن كلفة هذا الشفاء هى آلام حمل الله القدوس المبارك على الصليب ماأروع تقرير إشعياء «كلنا كغنم ضللنا مِلنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا .. مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا» (اش ٥٣:٥، ٦) ايضا ذات تقرير الرسول بطرس «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة .. الذى بجلدته (آلامه) شفيتم» (١بط ٢:٢١) وكما قال هو بفمه الكريم «روح السيد الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب» (لو٤،اش ٦١) .

٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩

الثانى الرابع

للهدم وقت وللبناء وقت ـــ فى الكتاب المقدس نرى ، للهدم ،أولاً المعنى الحرفى هدم البيوت وهدم المدن : لكن ايضا له المعنى التصويرى إذ يصور عمل الشيطان الذى بكل جهده يهدم نفس الانسان لكى يخور ويستسلم تماماً لأفكاره وهكذا ينتهى به الى ذات مصيره الذى هو الهلاك الأبدى . كم ظل يحوم حول أفكار يهوذا الخائن ويلمّع له بريق الفضة حتى باع سيده وهكذا استلمه فى يأس قاتل حت هدمه الى الأبد .

كم ظل يحوم حول أفكار هامان ويلمّع له منظر تعظيم ذاته جداً فى إبادة الجنس اليهودى انتقاماً لكرامته حتى إنتهى به المطاف الى رفعه على الخشبة . وهذا يصل بنا الى الخلاصة : **إن وقت الهدم الذى يقول عنه سليمان هنا هو فى الحقيقة وقت البُعد عن الله عندما تكون أفكار الانسان وميوله وكل كيانه فريسة للشيطان للهدم** «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم

حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية» (أف ٢:١،٢)

لكن شكراً لله فى لحظة التقاء النفس مع محرر النفوس الوحيد ربنا يسوع المسيح يتغير اتجاه القلب فيرجع فى ندم وتوبة وإيمان بفدائه العظيم على الصليب . من هذه اللحظة يبدأ البناء للنفس وهو ذات مايقرره الكتاب «إن رجعت الى القدير تُبنى» (أى ٢٢:٢٣) فلا بناء للنفس إلابالرجوع للقدير ، وبعيداً عنه لايوجد إلا الهدم والتحطيم كما كان المجنون يجرّح نفسه ليلاً ونهاراً بالحجارة (مرقس ٥) وكل نفس رجعت الى الله محتمية فى ذبيحة ربنايسوع المسيح اختبرت بناء الله لها وكل قدرة القدير وكل وسائط نعمته تعمل لهذا الغرض ، وفى كلمة الله نرى هذه الوسائط المباركة لبنيان المؤمن :ــ

أولاً : ذات كلمة الله ودراستها والتأمل فيها (أع ٢٠:٣٢) لأنها كما وضّحت لى كفاية ذبيحة المسيح وأقنعتنى بالاحتماء فيها ، هى ذات الكلمة التى تعلمنى الكمالات الالهية كما ظهرت فى حياة ربنا يسوع المسيح ، وبقوة الروح القدس أتعلم كيف أسير عملياً فى سلوكى فى ذات خطواته له المجد (١يو٢:٦) .

ثانياً : الصلاة وسكب القلب طويلاً عند قدمى الرب «وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على ايمانكم الأقدس مصلين فى الروح القدس» (يه ٢٠) ، إذ فى فرص الصلاة يخرج المؤمن من ذاته ويتجه بكل قلبه الى عرش نعمة المسيح لكى يطلب للآخرين ــ يصلى لأجل إخوته فى ظروفهم ومشاكلهم لاسيما المتعطلة شركتهم ، ويصلى لأجل الخطاة الذين لازالوا فى قبضة الشيطان ، ويصلى لأجل كلمة الله لكى تُجرَى لكى يكمل العدد ، ويصلى لأجل السلطات المرتبة من الله ...الخ

ثالثاً : الالتفاف حول الرب لتقديم السجود والتسبيح له «كونوا أنتم ايضا مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح ربنا» (١بط ٢:٥) ــ «فما هو إذاً أيها الأخوة متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور له تعليم ..... فليكن كل شىء للبنيان» (١كو١٤:٢٦) .



الثانى الخامس

للبكاء وقت وللضحك وقت ــ أول مرة يأتى ذكر البكاء فى الكتاب فى تك ٢٣ عند موت سارة ، هناك بكى ابراهيم أبو المؤمنين على شريكته فى حياة الايمان . من هنا يتضح أن **البكاء يرتبط بالموت** ، وواضح أنه **مرتبط بالسقوط** «من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو ٥:١٢) .

وعندما نتقدم فى سفر التكوين نجد البكاء فى مشهد لقاء يوسف مع اخوته ومعهم شقيقهم الأصغر بنيامين ، عندئذ لم يستطع أن يضبط أحشاءه ، وطلب مكاناً ليبكى فدخل الى المخدع وبكى . ثم مرة أخرى فى مشهد إعلان نفسه لاخوته (تك ٤٥،٤٣) ــ وواضح أننا نرى فى المشهد نتيجة أخرى للخطية وهو تمزيق ذات الأسرة الواحدة والقسوة بين أبناء الأب الواحد .

فالخطية بالموت جلبت البكاء وبالتمزيق جلبت ايضا البكاء ، وإذا رجعنا الى كل ينابيع البكاء المرير الذى يملأ العالم فى كل مجالاته ، نجدها جميعاً تنبع من هذه الكلمة الخطيرة ــ الخطية ــ أى إنحراف القلب عن الله ، الذى فيه وحده الفرح الأزلى الأبدى الثابت .

وهنا يأتى السؤال الهام : بما أن سقوط الانسان فى الخطية كان بسماح من الله ، هل إذاً قصد الله البكاء للجنس البشرى هنا على الأرض ثم البكاء الذى لاينتهى فى الأبدية ؟ حاشا ، لكن قصد الله باستمرار أن يُظهر غنى نعمته وعظمة محبته وأنه فى قدرته العجيبة أن يُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة . ففى ذات مشهد السقوط وتعدى الانسان على الله نسمع أول وعد بمجىء ربنا يسوع المسيح متجسداً كنسل المرأة بدون رجل ، لكى يسحق الشيطان ويُبطل الخطية بذبيحة نفسه . وهكذا تغيّر المشهد تماماً بالنسبة للانسان كابن آدم الترابى الذى ليس له إلا الأرض ، الى إنسان مُعَد له مكان فى السماء .

ومأروع كلمات الرب يسوع وهو مُقبل الى الصليب «فى بيت أبى منازل

كثيرة .. أنا أمضى لأعد لكم مكانا وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى ايضا وآخذكم الىّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم ايضا معى» (يو١٤: ١، ٣) .

وفى سفر الرؤيا آخر أسفار الوحى ، نرى المؤمنين بالمسيح ، فى منظر شيوخ ــ أى كمال الادراك والفهم ــ ولهم ثياب بيض ــ أى أنهم فى مقام كهنة ، ولهم أكاليل من ذهب ــ أى أنهم ملوك . ولذلك نسمع فى أول السفر تلك الترنيمة الحلوة «يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه ، له المجد والسلطان الى أبد الآبدين أمين» (رؤ١: ٥، ٤: ٢، ٣)

«يالعمق غنى الله وحكمته مأبعد أفكاره عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد الى أبد الآبدين آمين» (رو١١: ٣٣ــ٣٦)..

ثم،من البكاء المرير من لحظة الولادة فى هذا العالم الى قصد الله العجيب فى المسيح. الذى هو الضحك الوفير الذى هو من صنع الله القدير ، لذلك هو فرح حقيقى وغامر للقلب وهذا هو الطابع المميز لبشارة نعمة الله ، فنقرأ فى لو١٥ عن الأقانيم الثلاثة ، كل فى دوره يبحث عن الانسان الخاطىء المفقود فى الخطية . وإذ يوجد ، مأروع التعبير الذى يملأ كل المشهد ، **هكذا يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب** لذلك نرى الفرح يغمر كل الفصل ، وتتكرر كلمة فرح ٩ مرات ، هذا هو قلب الله . الانسان بالسقوط **أدخل البكاء** ــ للبكاء وقت ــ **لكن الله بالفداء أدخل فرحا من صنع الله** يثبت ثبات الله «**وللضحك وقت**» .

سؤال أخير قد يسأله الانسان غير المولود من الله : كيف أنتقل من دائرة البكاء الى دائرة الضحك الحقيقى الذى أعده الله للانسان فى المسيح ؟ لايوجد إلا طريق واحد وهو المجىء بهذا البكاء الى قدمى المسيح شخصياً وهناك يكون البكاء على شىء واحد وهو خطاياى التى أهانت شخصه المعبود والتى من أجلها علق هو على الصليب ، وهذه هى دموع التوبة والندم . كم ظهر هذا فى تلك المرأة الخاطئة التى جاءت من

وراء الرب وعند قدميه كانت تبلل قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها ولم تكف عن تقبيل قدميه ، ومأروع الاستجابة الفورية : اذهبى بسلام ايمانك قد خلصك وهكذا تم فيها القول للبكاء وقت وللضحك وقت .

الثانى السادس

للنوح وقت وللرقص وقت — ماأروع الترتيب الدقيق الحكيم لكلمة الله فى معانيها العميقة وانسجامها الكامل مع الاختبار العملى لأولاد الله فى كل العصور والأجيال من بدء التاريخ الى النهاية ، فحصول النفس على الفرح بالخلاص الأبدى على حساب دم المسيح يُدخلها الى مدرسة الله وتتعلم أحشاء الله وقلبه الرقيق من جهة البشر وهم مطروحون صرعى الخطية «طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء» (أم٧:٢٦) . لذلك تبدأ النفس تتعلم كيف تقف بجانب الله وبهذا يبدأ شىء جديد لم تعرفه من قبل ، وهو الخروج من الذات تماماً والمشغولية بالآخرين . وتتقدم أكثر فى مدرسة الله فتمتلىء بالحزن العميق على حالة النفوس المحرومة من نعمة المسيح والتى يدوسها ويسحقها الشيطان وهكذا يأتى النوح المقدس «للنوح وقت» .

ماأروع صليب المسيح ! ماأعجب دم المسيح ، ليس فقط المطهر من كل خطية لكن ايضا المحرر من الذات والاتجاه بكل الأحشاء الى الآخرين : والنوح والدموع أمام الله لأجلهم . هنا نعمة الله ، هنا قلب الله ، هنا مسيح الله الذى جعل قلب الانسان الذى كان يعبد ذاته هكذا يطرح الذات تماماً ، ويمتلىء من قلب الله .

ماأروع ماعمله ربنا يسوع المسيح فى ذلك الطرسوسى العنيد ، يهودى متعصب ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ المسيح ، وإذابه أمام صليب المسيح وقوة قيامة المسيح يلبس ذات قلب المسيح فيقرر له الروح القدس فى رو٩ :«أقول الصدق فى المسيح لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس أن لى حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبى لاينقطع لأجل اخوتى أنسبائى حسب الجسد» .

بمالروع العينات التى يسجلها الوحى عن الذين امتلأوا بهذا النوح المقدس .
إسمع مايقرره ارميا «ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكى نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبى» «أحشائى أحشائى توجعنى جدران قلبى . يئن فىّ قلبى لاأستطيع السكوت» (ار٩:١، ١٩.٤) ، وايضا دانيال يقول «كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل فى فمى لحم» (دا ١٠:٢) ، وايضا عزرا «فلما سمعت هذا الأمر مزقت ثيابى وردائى ونتفت شعر رأسى وذقنى» (عز٣.٩) ، وكذلك نحميا وكل رجال الله ، موسى ويسوع ، وعلى رأس الكل النموذج الكامل — الرب يسوع المسيح — لما جاء الى أرضنا نظر الى أورشليم الرافضه شخصه الكريم وبكى عليها وقال «ياأورشليم ياأورسليم» (مت ٢٣) هذا هو النوح المقدس لأجل النفوس الشاردة والبيوت الممزقة والأطفال المشردين الذين يتربون في جو خصام وكلمات قاسيه ، لكن شكراً لله ما من نوح مقدس إلا وله رقص مقدس *. ماأجمل التعبير «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج ، الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مبذر الزرع مجيئاً يجيء بالترنم حاملاً حزمه» (مز١٢٦:٥،٦) — قريباً جداً سوف ينتهى وقت نوح القديسين الذين صارت لهم أحشاء ربنا يسوع المسيح من جهة صرعى الخطية ،وهكذا يأتى وقت الرقص وهو تعبير فى الكتاب يعبر عن الفرح الغامر الناتج بصفة خاصة عن الانتصار ، وهذا نفهمه من مشهد خروج النساء وراء مريم بدفوف ورقص قائلات «الفرس وراكبه طرحهما فى البحر» (خر١٥)وهذا هو أول رقص يُذكر فى الكتاب المقدس .
فالمشهد الآن كان الحق مغلوب والجولة للشيطان الذى يهدم كل فضيلة ويحاول بكل جهده أن يُبعد الله والأبدية عن مخيلة الناس ويجعلهم غارقين فى ملذات الحياة ومطاليب أمور الزمان الحاضر ، لكن سوف تأتى اللحظة المجيدة عندما يُقيّد الشيطان ويُطرح فى الهاوية ويظهر المسيح بهيئته الانسانية الممجدة وله كل جلال الله ومجده وكرامته ، ويتم القول «ويخرج حجرالزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة له»(زك٤:٧)، كم

* يرمز الرقص الى الفرح الغامر فى نفوس المؤمنين بعمل الروح القدس ، ولايعبّر عنه بحركات جسدية كما فى العهد القديم .

سيكون الهتاف جليلاً طويلاً بلا نهاية ، كم سكون عالياً ، كم سترتفع الهلليا لشخصه الكريم .

الآن هو الوقت للنوح ولكن الأبدية بفضل دم المسيح ستكون الأفراح بلا نهاية .

الثانى السابع

لتفريق الحجارة وقت ولجمع الححاره وقت .

من الأمور الرائعة فى كلمة الله وصف الكتاب لعمل من أعمال الزمان الحاضر وإذا بهذا العمل ينطبق بكيفية مجيدة على أمر روحى من أمور الله الأبدية .

من المعروف فى بناء المنشآت من الأحجار أن يُقطع الحجر من المحجر وتسوّى كل واجهاته فيُزال كل نتوء أو خشونة أو إعوجاج فيستقيم من كل جهة وتحدد كل زواياه وأطرافه لكى يتوافق تماماً مع باقى الأحجار التى سبقته هذا هو وقت تفريق الحجارة ، فكل حجر يكون على حده حتى يُعالج تماماً فى كل واجهاته وأحرفه وزواياه ويصبح فى مخطط الاستقامة والانسجام وإذ تتم هذه الخطوة يأتى وقت جمع الحجارة فى مكان البناء . وقبل هذه العملية كان المحجر كله قطعة واحدة بلا شكل ولا منظر ولايمكن استخدامه ، لكن بقطع الحجر أصبح له كيانه الشخصى لكن مهيأ للانسجام الكامل مع سابقيه .

هذا بالضبط مايعمله البناء الأعظم المعبود الذى قال «وعلى هذه الصخره أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦:١٦) ، وهو يتعامل بالروح القدس وبالكلمة الالهية مع النفوس الغارقة والتائهة والضائعة والتى بلا كيان فى محجر هذا العالم وإذ تقتنع النفس بحتمية التوبة والاحتماء فى دم المسيح للحصول على الغفران الالهى الأبدى لكل الخطايا ، توجد فى سلام مع الله ، فى الحال يبدأ الروح القدس بإحياء هذه النفس بخلق طبيعة جديدة مقدسة مستقيمة هى ذات طبيعة الله الأدبية ، إذ تحتوى على كل عناصر الاستقامة والكمال الذى فى الله «لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية» (٢بط ١:٤) ، وإذ تصبح هذه النفس خليقة جديدة فى المسيح ، هكذا يجمعها الرب الى أحبائه «وكان الرب يضم الى الكنيسة كل يوم الذين يخلصون»

(أع٢) . لكن هناك معنى آخر هاماً وهو بدخول خلاص الله فى المسيح الى فرد فى أى عائلة ، فهذا الفرد المخلّص يكشف حالة الأسرة كلها كمن هى ف قبضة الشيطان . وهنا يحدث الانقسام وتثور العائلة كلها عليه «لتفريق الحجارة وقت» ، وتفريق الأسرة بسبب خلاص المسيح ، أشار هو له المجد اليه فى مت ١٠:٣٤ «لاتظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ماجئت لألقى سلاماً بل سيفاً ، فإنى جئت لأفرّق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الانسان أهل بيته» ، لكن كما لم يؤمن أقرباء الرب يسوع به أولاً (مر٣:٢١) نعلم أن منهم إن لم يكن جميعهم آمنوا به بعد ذلك ، وكما أثار أهل مدينة جدعون عليه لكى يقتلوه ، لكن لما ضرب بالبوق كانوا هم أول المجتمعين وراءه للحرب معه (قض ٦:٣٠،٣٤) — وهكذا لجمع الحجارة وقت

وتصوير المؤمنين بحجارة جمعها البانى الأعظم ، جاء فى رسالة الرسول بطرس الأولى ص ٢:٥ «كونوا أنتم أيضا مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» .

الثنائى الثامن

للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت .

المعانقة والتقبيل فى كلمة الله لها هذه المعانى :

أولاً : المصالحة وهى دليل وبرهان الصفح الكامل . وفى قصة رجوع الابن الضال (لوقا ١٥) بمجرد رجوعه ركض أبوه **ووقع على عنقه وقبّله** ، وفى هذا توضيح مدى استعداد الآب السماوى لقبولنا وترحيب قلبه بنا وغمرنا بمحبته فى حالة التوبة .

ايضا فى مز٢ نداء داود الى ملوك الأرض لكى يتعقلوا ويتصالحوا مع الله فيوجه نظرهم بالذات الى أقنوم الابن لأنه فى تدبير الله المثلث الأقانيم فى الأزل أن يكون أقنوم الابن هو المختص بهذا الأمر — أى المصالحة ، لأنه الأقنوم الذى كان مزمعاً أن ينزل ويتجسد ويصنع بنفسه الفداء والكفارة ، لذلك نقرأ فى ١تى٢:٥ «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» ،

وايضا فى ٢كو١٩:٥ «أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم» ، وفى رو١١:٥ «وليس ذلك فقط بل نفتخر بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة» .

وفى المصالحة نلاحظ باستمرار الكلمة الخطيرة «الآن» فى مزمور ١٠:٢ «فالآن ياأيها الملوك تعقلوا .. قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه/. طوبى لجميع المتكلين عليه» ، وفى أع٣٠:١٧ نقرأ «فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا» ، وفى ٢كو١:٦ «هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص» ـــ فلماذا دائماً «الآن» لأن فرصة المصالحة محدودة وقد تنتهى فى أية لحظة بانتهاء حياة الانسان ، وهكذا يدخل الى الدائرة الرهيبة دائرة غضب الله الى الأبد . فإذا كان الآن هو وقت المعانقة مع الله ، فإن الأبدية التى لا نهاية لها هىَ وقت الانفصال عن الله .

وفى قصة رجوع الابن الضال المُشار اليه نجد بعد المعانقة أن الآب يأمر بأن يلبسوه الحلة الأولى وذبح العجل المسمّن لعمل وليمة فرح ، وهذا ظل الحقيقة ، ففى ذبيحة المسيح وجد الله كل كفايته ومطاليب عدله وقداسته وفيّت ، لذلك أمكنه أن يعانق الانسان التائب ويُلبسه الحلة الأولى التى هى ربنا يسوع المسيح نفسه .

ثانياً:المعانقة تعنى الترحيب وشركة المحبة ، لكن على أساس السلوك فى النور حسب الحق ، وهذا أمر هام فى العلاقة بين المؤمنين . فإذا أخطأ أخ فلابد من علاجه أولاً وتعريفه خطأه بكل وداعة وهذه هى مرحلة الانفصال عن المعانقة وإذ يقبل العلاج ويعترف بخطئه حينئذ يأتى دور المعانقة . لقد أخطأ داود النبى العظيم إذ تسرّع بعاطفته وعانق ابنه أبشالوم قبل أن يتوب ويندم ولذلك فقده الى الأبد إذ استمر فى تخطيطه القاتل حتى قُتل . ليتنا نفهم قصد الكتاب فلا نسكت على الشر فى إخوتنا لكن بكل تواضع نتقدم لعلاجهم حتى يمكن أن نعانقهم بضمير صالح .

ثالثاً : المعانقة تعنى المحبة الفائضة . وهذا ماعبّرت عنه المرأة الخاطئة فى لو٧ إذ لم

تكف عن تقبيل قدميه وكانت هذه قبلات الامتنان والحب الخالص ، وشهد لها الرب أنها أحبت كثيراً .

الثانى التاسع

للكسب وقت وللخسارة وقت :

المعنى الحرفى قائم وهو أنه فى معاملات الله مع الانسان هناك وقت للمكاسب والأرباح ، والمقصود هنا هو بلا شك المكاسب التى تأتى من طريق مستقيم وليس فيها خداع أو غش أو اغتصاب ، ولكن هناك وقتاً يسمح الرب بالخسارة رغم حرص الانسان ومهارته وخبرته وذكائه ، وفى كلتا الحالتين يتعامل الله مع الانسان لعله يلتفت ويستفيق ويفهم يد القدير التى أعطت ويد القدير التى أخذت كما قال رجل الله أيوب «الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً» . لكن الكسب والخسارة لهما معانٍ أعمق وأجمل فى مدرسة ربنا يسوع المسيح : على سبيل المثال ، كان فى حياة شاول الطرسوسى وقت تحصيل وربح امتيازات عالية فى اليهودية كما يقرر فى غلاطية ١٤:١ «كنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى» — لكنه إذ تقابل مع المسيح فى طريقه الى دمشق إنكشفت الحقيقة وهى أن كل ماحصّله كان خسارة لأن هذه الامتيازات كانت تبعده عن المسيح وتحرمه من خلاصه المجيد وفدائه العظيم وتعطيه دعائم غاشة خادعة يتكل عليها أمام الله فى عمى وجهل ، لذلك نسمعه فى فيلبى ٧:٣ يقول «لكن ماكان لى ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة بل إنى أحسب كل شيء أيضا خسارة من أجل فضل المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه . وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بايمان المسيح البر الذى من الله بالايمان» — وهكذا بنعمة الله دخل هذا الاناء الى مدرسة حساب المسيح الذى أعلن «لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (مت ٢٦:١٦) أى لو ربح العالم بكل مباهجه أو تدينه وانتهت حياته بدون الاحتماء فى دم

المسيح الذى فيه الفداء الحقيقى المعين من الله كما أعلن هو له المجد بعدها مباشرة «أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه» .

فكل ربح أو مكسب بدون معرفة المسيح هو فى الحقيقة كسب وقتى لأن هذا هو وقته المحدود ، ولكن بإنهاء الحياة يخسر الانسان كل ماتعب فيه وهكذا يدخل الى الأبدية ومأتعسه رقت ـــ «الخسارة الأبدية»

ولكن بمعرفة المسيح فقد ربحت نفسى الى الأبد يلى ذلك السعى لربح نفوس آخرين للمسيح وكذلك السعى لخدمة المؤمنين

الثانى العاشر

للصيانة وقت وللطرح وقت .

الله فى نعمته وصلاحه ومحبه الكثيرة جعل الانسان موضوع عنايته وصيانته «دعوتك باسمك لقبّتك وأنت لست تعرفنى أنا الرب وليس آخر لا إله سواى نطقتك وأنت لم تعرفنى» (اش ٤٥:٥) ، «المحمّلين علىّ من البطن المحمولين من الرحم والى الشيخوخة أنا هو والى الشيبة أنا أحمل» (اش ٤٦:٣) ، وهذه الصيانة من وجوه متنوعة : أولاً حياته **الحرفية هنا على الأرض** ولكن لوقت محدود بحسب حكمة الله المنزهة عن الخطأ.وكم من أخطار تكاد تدمرحياة الانسان سواء حوادث أو أمراض خطيرة والله فى نعمته يتدخل ويصون حياة الانسان «ليمنع نفسه عن الحفرة وحياته من الزوال بحربة الموت» (أى٣٣) «الله الذى بيده نسمتك وله طرقك فلم تمجده» (دا٥) ـــ «لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع١٧) ـــ هذا هو وقت صيانة الانسان من جهة حياته هنا على الأرض ، لكن لابد أن ينتهى ويأتى وقت طرح الانسان «هذه الليلة تُطلب نفسك منك» (لو١٢) كل من يستمر فى رفضه لنعمة المسيح .

ثانياً : **من جهة أمواله ومقتنياته** وحتى عمله الزمنى ، وكم من لحظات تعرّض فيها الكل للضياع ويفقد الانسان كل شيء والله يتدخل ويصون ويحفظ .

ثالثاً : **من جهة الشرور البشعة** ، فالانسان بحسب طبيعته يعيش فى الخطية والشر

لكن هناك شروراً ومفاسد قاضية على سمعته بل وحتى حياته والله يتدخل ويصون كما قال الله فى حلم للملك أبيمالك «وأنا ايضا أمسكتك عن أن تخطىء الىّ لذلك لم أدعك تمسها» (تك ٢٠) . لكن إذ يتهور الانسان يأتى وقت الطرح وتظهر فيه أنواع المفاسد والشرور كما هو مكتوب فى رو١:٢٨ «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا مالايليق .

ولاننسى أن الانسان الطبيعى :

أولاً ـــ مطروح أمام الشيطان والخطية «طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء» (أم٧) .

ثانياً ـــ سوف يُطرح فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ، أما المولودون من الله فلهم هذه المعانى من جهة الصيانة : الحياة الأبدية التى وصلت اليهم بالايمان بربنا يسوع فهى مضمونة ضماناً إلهياً «وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ولايخطفها أحد من يدى» (يو١٠:٢٧) .

ـــ هو الحافظ لنا من الشرير «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» ، وذلك بطريقين رئيسيين ، بقوة الروح القدس فى قمع رغبات وميول الطبيعة الساقطة أو بتدبير خدمته برفع الشر نفسه من أمامنا فلا نتعرض للشر (مز١٢٥:٣) لكن لاننسى أن نصحب النداء الذى علينا وهو الصلاة باستمرار لئلا نعرّض أنفسنا للتجارب «اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة» (مت ٢٦:٤١) ، وقراءة الكلمة باستمرار «لاتتركها فتحفظك احببها فتصونك» (أم٤:٦) ، «طوبى للكاملين طريقاً السالكين فى شريعة الرب طوبى لحافظى شهاداته ؛ من كل قلوبهم يطلبونه . ايضا لايرتكبون اثماً ، فى طرقه يسلكون» (مز١١٩:١،٢) .

ـــ هو الحافظ لأجسادنا وكل مالنا «وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (مت ١٠:٢٨) . وعندما تسمح حكمته السامية لأى أمر يحدث لأجسادنا أو مقتنياتنا فهو بترتيب العناية الالهية وبحدود مرسومة (أى١،٢) ولابد لها مقاصد مجيدة فينا نجده . والمؤمن الملتصق بالرب فى شركة عميقة يستطيع أن يلاحظ يد الرب الحافظة وعينه الساهرة على كل ماللمؤمن «للصيانة رقت» ولكن عندما يسمح الرب

بطرح أى شيء مما يملكه المؤمن «وللطرح وقت» حينئذ تنفتح بصيرته ويفهم قصد الرب .

الثانى الحادى عشر

للتمزيق وقت وللتخييط وقت .

المعنى الحرفى ينطبق على الملابس لكنه ينطبق ايضا على العائلة والمملكة والصداقة .

أول مشهد لتمزيق الملابس فى تك ٣٧ حيث مزق رأوبين ملابسه عندما علم ببيع يوسف ، ويعقوب عندما علم بفقده وواضح أنه صورة خارجية لِما فعلته الخطية إذ مزقت العائلة .

المشهد الثانى فى لا١٣ — الأبرص ثيابه مشقوقة — صورة أخرى لِما فعلته الخطية ، إذ جعلت الانسان نجساً ممزق الصورة أمام الله .

المشهد الثالث فى سفر العدد ص ١٤ عندما تذمر الشعب وقالوا نقيم لنا رئيساً ونرجع الى مصر بسبب أخبار الجواسيس العشرة الذين أرعبوهم . فمزق يشوع وكالب ثيابهما فهو مشهد الحزن بإزاء تمرد القلب على الرب ، فالخطية مزقت العائلة ومزقت صورة الانسان أمام الله وجعلت قلبه متمرداً على الله فليس وقت فى الخطية إلا وينطبق عليه القول «وللتمزيق وقت» ، لقد مزقت الخطية العلاقة بين الشعب وإلهه ، لكن شكراً لله نرى فى مشهد سقوط الانسان الملامح الجميلة لِما أعدته محبة الله ونعمته من جهة ستر الانسان أمام الله إذ نسمع القول : وصنع الرب الاله أقمصة من جلد وألبس أبوينا الأولين ، هذا هو أول تخييط على الأرض . وماأروعه ! إنه من صنع الرب الاله مباشرة فلا نسمع عن تكليف ملاك ليقوم به ، شكراً له من كل القلب لأنه صورة لِما هو فى قصده الأزلى أن يكون ابن محبته هو بذاته الحُلة الأولى للخاطىء الراجع اليه .

لكن لاننسى أن قبل تخييط الأقمصة من جلد كان هناك ذبح للحمل ، هكذا ربنا يسوع المسيح لكى يكون الحُلة الأولى لنا كان ينبغى أن يُذبح على الصليب

لأجلنا ، لذلك للتمزيق وقت — هو وقت الخطية — وقت البعد عن الله ، وبالنسبة للمؤمن هو وقت انقطاع الشركة . كم تكون الأفكار ممزقة والعواطف ممزقة ، كم تكون الكلمات قاسية وممزقة لأقرب وأقدس العلاقات (للتمزيق وقت) لكن إذ توجد النفس عند قدمى راعى الخراف العظيم ، راعى نفوسنا وأسقفها ، وفى شركة عميقة معه كم تكون القلوب موّحدة والكلمات رقيقة وكل ثغرة حدثت من كلمات ممزقة ، هكذا تأتى أحشاء الرأفات كالبلسان ويتم تخييط كل الثغرات بتفاح من ذهب فى مصوغ من فضة — كلمات نابعة من قلب مملوء بالمسيح (وللتخييط وقت) .

ليتنا نفهم ونعى جيداً أن كل لحظة فيها الشركة مقطوعة ، ليس لدينا إلا للتمزيق وقت ، ليتنا نحرص على إدانة الذات تماماً واسترداد شركتنا معه حينئذ تكون كل حياتنا للتخييط وقت .

ولاننسى أيضا أن كل نفس لبست الحُلة الأولى أمام الله تبدأ فى الحال تتعلم كيف تخيط أعمال البر العملى أمام الناس لمجد فاديها «بزاً نقياً بهياً لأن البز هو تبررات القديسين» (رؤ١٩) كما هو مكتوب عن المرأة الفاضلة فى أم٣١ التى هى صورة حلوة للكنيسة أنها «تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين» — الصوف للدفء وقت الشتاء والكتان الناعم وقت الحر . فهناك مَنْ هو محروم من أحشاء الرأفات كمن يعيش بمفرده ، هذا يحتاج الى دفء المحبة . وهناك من يتعرّض للتجارب والضيقات — هذا يحتاج الى الكتان الناعم — الكلمات المشجعة المعزية .

ولاننسى أيضا أن قبل التخييط لابد من التفصيل وهذا بالضبط مايعمله الروح القدس ، والخادم الأمين المملوء بالروح القدس يعرف جيداً كيف يفصل كلمة الحق بالاستقامة لكى تناسب الخطاة فيقتنعون فى الداخل بأنهم لا ملاذ لهم من الأبدية الرهيبة إلا عمل ربنا يسوع المسيح ، وتناسب المؤمن المتعثر فيستفيق ويحكم على نفسه وهكذا تُرّد شركته (٢تى ٢:١٥، ٢كو٥:٩) .

ولاننسى أن هناك محاولتين من جانب الانسان لكى يخيّط لنفسه رداء أمام الله الأولى مصوّرة بالمآزر من أوراق التين التى لاتثبت لحظة أمام أشعة الشمس ، صورة

للتدين والتعبد الصورى الأجوف بدون توبة عن الخطية والاحتماء فى دم الحمل . هذا التعبد الفارغ لايثبت لحظة أمام قداسة الله ونور محضره لذلك صرخ آدم «سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت» (تك ٣).
الثانية فى اش ٥٩ نسمع القول «فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت .... خيوطهم لاتصير ثوباً ولايكتسون بأعمالهم» إشارة الى الحياة الفاسدة فى الداخل مع التشدق بأعمال البر .

الشابئ الثانى عشر

للسكوت وقت وللتكلم وقت .

لانجد كتاباً آخر يوضح أهمية ضبط اللسان سوى كتاب الله ، وقد تكلم الحكيم كثيراً فى سفر الأمثال عن هذا الموضوع ، وفى العهد الجديد رسالة يعقوب بجملتها لانجد فصلاً منها إلا .ويندر على ضبط اللسان بل يربط الكمال فى حياة الايمان بهذه الفضيلة الهامة «إن كان أحد لايعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد ايضا» (يع٣:٢) وهذا له معناه الخطير وهو التدريب السرى على قمع الطبيعة الساقطة فى شهواتها واندفاعاتها ، له هذه العلامة الخارجية وهى عدم خروج كلمة واحدة غير لائقة . ويصل الرسول فى التعبير الى حد القول بأن التأنى والتعقل فى الكلام هو علامة الولادة الثانية «شاء فولدنا بكلمة الحق .. إذاً ياإخوتى الأحباء ليكن كل انسان مسرعاً فى الاستماع مبطئاً فى الغضب» (يع١:١٨،١٩) لذلك نرى فى كلمة الله أن هناك خطورة كبيرة جداً إذا اندفعنا بالكلام فى وقت ينبغى أن نصمت فيه أو إذا سكتنا بينما ينبغى أن نتكلم .

ـــ وقت الاهانة الى حد الشتائم «غير مجازين عن شر بشر ولا عن شتيمة بشتيمة .. الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً .. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تُساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها» (رو١٢، ١بط٢ ، اش ٥٣) بل يصل بنا الرسول الى مستوى الرب فيقول «نُشتم فنبارك» وهذا مافعله السيد إذ طلب المغفرة والبركة

لشاتميه وصالبيه .

ـــ وقت سماع كلمة الله فى الاجتماع .

ـــ سكوت النساء طوال فترة الاجتماع .

أما السكوت فهو محزن جداً فى حالات :

ـــ الزلل (مز٣٢) «لما سكت بليت عظامى»

ـــ فى دائرة الصلاة الفردية والعائلية والجماعية «ياذاكرى الرب لاتسكتوا ولاتدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبحة فى الأرض» (اش ٦٢ :٧) ، «ينبغى أن يُصلى كل حين ولايُمل» (لو١٨ :١)

ـــ محزن جداً فى دائرة الكرازة «هذا اليوم يوم بشارة ونحن ساكتون إن انتظرنا الى ضوء الصباح يصادفنا شر» (٢مل ٧ :٩) .

أجرة الخطية هى موت

وأما

هبة الله

فهى حيوة أبدية

بالمسيح يسوع ربنا

الثنائى الثالث عشر

للحب وقت وللبغضة وقت

المعنى الحرفى قائم على مشاهدات الحكيم تحت الشمس . هناك وقت تجرى فيه المحبة بينهم والطابع والدافع لها هو المنفعة المتبادلة (للحب وقت) ولكن إذ تظهر الذات بأنانيتها ذات الرائحة الكريهة أو تصدر كلمات جارحة ، هنا يتغير الموقف وتتولد البغضة القاتلة (وللبغضة وقت) .

لكن تعالوا بنا الى جو أفضل ورائحة عطرة تأتى من فوق الشمس ، فالمحبة هى طبيعته تبارك اسمه . وكلمة محبة ومشتقاتها تأتى ٥٠٠ مرة فى الكتاب المقدس منها ٣٠٠ مرة جاءت بصيغة الفعل أى الله يحب أو أحب ، وكل مشورات الله من جهة الانسان قائمة على اتجاه هذه المحبة الكائنة بين أقانيم اللاهوت الى الجنس البشرى . وفى المخطط الالهى الأزلى أن يكون التجسد والفداء هو التعبير العملى المجيد الرائع عن هذه المحبة كما أعلن بفمه الكريم عندما جاء الى أرضنا «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣:١٦) وهذا يتغنى الرسول يوحنا «بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد الى العالم لكى نحيا به فى هذا هى المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١يو٤:٩،١٠) .

ولأن هذا النوع من المحبة الباذلة المضحية المعبّرة عن ذات الله فى طبيعته لاتوجد إلا فى قلب الله ، لذلك لكى يراها فى أولاده أى المؤمنين بالمسيح لم يكن هناك وسيلة إلا أن يسكبها فى قلوبهم بواسطة الأقنوم الالهى الروح القدس «لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القس المُعطى لنا» (رو٥:٥).

لكن من المهم جداً أن نلتفت الى الاعلان الالهى التالى المرتبط بهذه المحبة التى فى قلب الله لنا كبشر وهى أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة ،وعينيه أطهر من أن تنظرا الشر ويبغض الاثم فى كل صوره وشبه الشر لايَحتمل أمامه ·(١تس ٥:٢١)

فكيف إذاً يمكن للانسان الشارب الاثم كالماء ، أن يتمتع بهذا الحب الذى فى قلب الله ؟ ليس إلا أن يرجع الى الله تائباً ونادماً وباكياً على حياة الشر التى عاشها متجنباً عن خالقه الذى بيده نسمة حياته . وهكذا يُفتح الباب أمامه فيحتمى تحت ستر ذبيحة المسيح التى وجدت فيها قداسة الله كل كفايتها لتغطية كل إثم الانسان وشره . وماأكثر الاعلانات فى كلمة الله عن هذه الحماية للانسان أمام عدالة الله وقداسته «ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم» (خر١٢) ، «اجمعوا الىّ أتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحة» (مز٥٠) ، وهكذا تبدأ النفس فى التمتع بهذه المحبة الالهية ، ولكن لاننسى الاعلان الخطير «للحب وقت» أى أن وقت بدء تمتع النفس بهذا الحب الالهى له زمنه المعين المحدود ، الذى هو زمن هذه الحياة المحدودة بحيث إذا انتهت حياة الانسان وهو مهمل دعوة هذا الحب الذى من جانب الله ، فلن يتذوق الانسان هذا الحب الى الأبد وستظل البغضة مالئة قلبه الى الأبد — البغضة لأخيه الانسان والبغضة لله طوال الأبدية بلا نهاية (للبغضة وقت) . ونيران الجحيم الأبدى لن تقلل منها ذرة واحدة ، وستمتزج تلك البغضة بالحسرة المرّة على تجاهل كل فرص المحبة التى قدمها الله للانسان فى فرصة حياته هنا على الأرض .

ولاننسى أن القانون الذى رآه سليمان بين البشر للحب وقت وللبغضة وقت ، ولكن ماأظهره رب سليمان عندما جاء الينا من فوق الشمس «للحب كل الوقت وليس للبغضة وقت» ماأروع كلماته الغالية «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويضطهدونكم» (مت ٥:٤٤) . وواضح أنه هو الأول باستمرار وهو الذى سلك هذا الطريق وترك مثال المحبة المطلقة فأحب أعداءه وقدم نفسه فدية لأجلهم وعلى الصليب صلى طالباً المغفرة لهم من الآب المبارك «ياأبتاه إغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤) .



الثانى الرابع عشر

للحرب وقت وللصلح وقت .

منذ بداءة التاريخ مبكراً جداً أى بعد الطوفان مباشرة نسمع عن نمرود المتمرد ، وكان جباراً فى الصيد ، وكوّن مملكة من ٤ مدن بالقوة والجبروت أى الحرب ثم فى تك ١٤ نسمع عن أول حرب إذ قام كدرلعومر ملك عيلام بالاتفاق مع ٣ ملوك ونظموا حرباً ضد ملكى سدوم وعمورة وانتصر كدرلعومر وسبى سكان سدوم ومنهم لوط فقام رجل الله ابراهيم ومعه ٣١٨ من ولدان بيته وحارب كدرلعومر وكسره واسترد السبى وذلك لأجل لوط ابن أخيه . وهكذا الى يومنا هذا الحروب قائمة وإن كان يتخللها وقت للصلح . ولاننسى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ـــ ١٩١٨ والثانية ١٩٣٩ ـــ ١٩٤٥وكم من المآسى المرّة نتجت عنهما . والكتاب يكشف الدوافع المحركة لهذه الحروب «من أين الحروب والخصومات أليست من هنا من لذاتكم المحاربة فى أعضائكم» (يع٤:١) فالحرب بين أفراد العائلة الواحدة وبين العائلات وبين الدول كلها نابعة من اللذات المحاربة داخل نفس الانسان والرغبة فى تعظيم ذاته على الآخرين أو تمتع نفس الانسان بكل ماهو منظور هذه هى الراية الرهيبة تحت الشمس «للحرب وقت» .

وواضح أن الأمر المرّ جداً فى هذه الراية أن نفس الانسان قبل كل شىء فى حرب مُرّة مع الخالق القدير المحب «حماقة الرجل تعوّج طريقه وعلى الربّ يحنق قلبه» (أم١٩:٣) وهذا هو السر الدفين الكامن تحت هذه الراية وداخل هذه الدائرة (للحرب وقت) .

ولكن إذ تتجاوب النفس مع عمل الروح القدس وتقتنع بحاجتها الى مُصالح مع الله ، تنفتح البصيرة ليرى فى شخص المسيح المعلّق على الصليب ، المُصالح الوحيد الذى فيه الكفاءة فى ذاته أن يُصالح الانسان مع الله لأنه هو الذى اشتهاه أيوب قبل التجسد بألفى عام حين قال «ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا» (أى ٩:٣٠)

وهذا هو تقرير الروح القدس «الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم» (٢كو٥:١٩) ، «لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١تى ٢:٥) وهكذا إذ تقبل النفس ربنا يسوع المسيح مخلصاً شخصياً لها وتحتمى تماماً فى عمله الكريم على الصليب ، فإن الله فى نعمته الغنية ينقلها الى الراية المجيدة «وللصلح وقت» وتحت هذه الراية العظيمة تتمتع النفس بالسلام من كل وجه :

أولاً ـ مع الله «فإذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به قد صار لنا الدخول بالايمان الى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون» (رو٥:١)

ثانياً ـ من جهة نفسه إذ تنتهى الصراعات المريرة للانسان مع نفسه «وليملك فى قلوبكم سلام الله الذى اليه دُعيتم وكونوا شاكرين» (كو٣:١٥)، «سلاماً أترك لكم سلامى أعطيكم» (يو١٤:٢٧)

ثالثاً ـ من جهة الآخرين «حاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام» (أف ٦:١٥) ،

«ورب السلام نفسه يعطيكم السلام دائماً من كل وجه» (٢تس ٣:١٦) ولكى يوضح الروح القدس أن السلام الممنوح للمفديين مرتبط ومؤسس على أقنوم الابن متجسداً وعلى عمله الكفارى على الصليب وحده ، لذلك نجد :

أولاً فى النبوات عن شخصه الكريم أنه هو «رئيس السلام» بمعنى مُبدىء السلام ومنشئه وذلك فى اش ٩ . وذات السفر يُعلن عن الكلفة والثمن فيقرر فى اش ٥٣ «وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا» .

ثانياً : عند تجسده نزل فريق عظيم من الملائكة من السماء وهتف «المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لو٢:١٤)

ثالثاً : فى حياته الكريمة بين الناس أعطى فعلاً السلام لكل من ارتمى عند قدميه مؤمناً به محتمياً فيه ، وكانت تخرج من فمه العبارة الغالية «إذهب بسلام ايمانك قد خلصك» (مر٥:٣٤ ، لو٧:٥٠ ، لو٨:٤٨ .

رابعاً : عطيته أو هديته الشخصية لرسله الأمناء بعد خروج يهوذا فى ليلة الصليب «سلاماً أترك لكم سلاماً أعطيكم» (يو١٤:٢٧) .

خامساً : تقرير الرسل سواء فى كرازتهم أو فى كل رسائل العهد الجديد إنه لا سلام إلا فيه وفى عمله الغالى على الصليب «لأنه هو سلامنا» (أف ٢:١٤) .

لذلك فى لحظة التوبة والحصول على الحياة الجديدة من ربنا يسوع المسيح يبدأ المولود فى الحال فى البحث عن السلام مع كل الأطراف التى كان له معها نزاع أو خصام لأنه بالاتحاد والارتباط بربنا يسوع المسيح أصبح ابن السلام ويتم فيه القول «مجد الرجل أن يبتعد عن الخصام وكل أحمق ينازع» (أم٢٠:٣، تك ١٣:٨).

٩ فأى منفعة لمن يتعب مما يتعب به (جا ٣:٩) .

هذه هى الخلاصة التى يصل اليها الحكيم بعد البحث الدقيق العميق لكل الظروف والأحوال والأعمال التى يجتاز فيها الانسان مبتدئاً من ولادة الانسان الى موته حيث تنتهى كل أفكاره وأنشطته هنا على الأرض . والنتيجة النهائية أنه لا ثبات ولا استقرار ، لا شبع واكتفاء ، وهنا يفتح الروح القدس بصيرتنا فنرى الثبات فيمن هو فوق الشمس «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع١:١٧) . ونرى الشبع فيه هو وحده له كل المجد «من يُقبل الىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً» (يو٦:٣٥ ، اش ٥٥:٢) ونرى الاكتفاء والقناعة (مز٧٣:٢٥ ، حب ٣:١٨ ، فى ٤:١١)

١٠ قد رأيت الشغل الذى أعطاه الله بنى البشر ليشغلوا به (ع ١٠)

العمل الزمنى الذى به يقوت الانسان نفسه وعائلته ، هو فى الحقيقة عطية من الله . وهنا ينبغى أن نتأمل فى العطايا التى أعطاها الله للانسان كابن آدم :

أولاً ــ الحياة العاقلة المفكرة التى بها يمكن أن يفكر فى الخالق ويلمس تماماً وجوده الحى العظيم وكمالاته الفائقة الظاهرة تماماً فى كل جوانب الخليقة ، وهذا مايقصده بقوله المبارك «نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١:٢٦) وهذا ماأشار اليه الرسول فى رو ١:٢٠، ٢١ «لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر لأنهم لمّا عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله» وقد أشار اليه فى خطابه الى أثينا «وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مساكنهم لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه» (أع١٧:٢٦ــ٢٨) .

ثانياً : الخير الذى يلزم هذه الحياة هنا على الأرض «وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع١٤:١٧) ــ وهذا ماقرره ربنا يسوع المسيح فى قوله المبارك «لذلك أقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس» (مت ٧:٢٥) .

أى أن الله فى محبته أعطانا هذه الحياة العظيمة هنا على الأرض وميّزنا بها عن كل المخلوقات ، هل سيبخل علينا بطعام هذه الحياة ، والذى أعطانا هذا الجسد بأجهزته الرائعة المذهلة هل سيبخل علينا بلباس هذا الجسد ؟

ثالثاً : العمل الذى به يحصل الانسان على هذا الخير بطريقة كريمة تتوافق مع الانسان كمخلوق مبارك من الله وهذا ماينبر عليه سليمان هنا .

رابعاً : صوت الضمير الذى يثور عندما يعمل الانسان أى شىء لايتوافق مع

الاستقامة الموجودة فى خالقه وهو ماأشار اليه الرسول فى رو٢: ١٤ «لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ماهو فى الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً ايضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب انجيلى بيسوع المسيح» . وقد أشار الحكيم الى هذا الصوت فى ع١١
خامساً : فرصة التوبة فى هذه الحياة حتى يمكن أن يرجع لله فيتحقق القصد الذى من أجله أوجده الله على الأرض .

وكل هذه العطايا العجيبة لكى تقود القلب البشرى ليطلب الله «لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً» (أع١٧: ٢٦) وفى اللحظة التى يشتاق قلبه أن يوجد فى سلام مع الله ويعرف الله تنفتح البصيرة الى العطية العظمى ــ العطية الأبدية التى قال عنها بفمه الكريم «لو كنتِ تعلمين **عطية الله** ومَنْ هو الذى يقول لكِ أعطينى لأشرب لطلبتِ أنت منه فأعطاك ماءً حياً» (يو٤: ١٠) . وبها يهتف الرسول المغبوط «شكراً لله على **عطيته** التى لايعبّر عنها» (٢كو٩: ١٤)، وبها يهتف اشعياء النبى (٧٠٠ ق.م) «يولد لنا ولد ونُعطَى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» (اش ٩: ٦) .

١١ صنع الكل حسناً فى وقته وايضا جعل الأبدية فى قلبهم التى بلاها لايدرك الانسان العمل الذى يعمله الله من البداية الى النهاية (ع١١)

الأبدية المقصودة هنا هى الخلود للنفس البشرية فى وعى كامل وإدراك حقيقى وواضح من أسفار كثيرة فى الكتاب أنها إما فى المجد والنعيم وإما فى العذاب والجحيم . ولكى تصل النفس الى المصير المبارك الأبدى أى المجد والنعيم لابد من حصولها هنا فى وقت الحياة الحاضرة على طبيعة مقدسة سماوية تعيش بها هنا على الأرض ، وهكذا إذ تصل الى مسكن الله يمكنها أن تسكن معه فى فرح وانسجام كامل الى الأبد .
الأبدية فى القلب ، بدون هذا الحق المجيد :
أولاً : لايستطيع الانسان أن يفهم قصد الله من خلقه لكى يكون ممثلاً لله هنا على

الأرض ، ثم يساكن الله الى الأبد هذا هو القصد فى هذا التعبير الجميل «العمل الذى يعمله الله من البداية الى النهاية» . وفى البداية وضحت ملامح هذا القصد الالهى النبيل فى القول المبارك «نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١:٢٦) وظهر هذا عملياً بالعقل المفكر الواعى الذى به يستطيع الانسان أن يدرك ويفهم أنه مخلوق عاقل أمام خالق عظيم كلىّ الحكمة والمحبة . كما أنه يستطيع أن يسمع صوت الله سواء فى عظمة الخليقة الفائقة أو فى المعاملات وكلها تقوده لكى يصغى الى الصوت الكريم فى الوحى المقدس أى كلمة الله الحية الباقية الى الأبد .

وبإطاعة هذا الصوت المحب والاحتماء فى دم الحمل الكريم ، يحصل الانسان على طبيعة مقدسة من الله أى يصبح الانسان «خليقة جديدة» فى المسيح (٢كو٥:١٧) و«شريكاً فى الطبيعة الالهية» (٢بط ١:٥) . وهكذا يصبح مؤهلاً تأهيلاً الهياً لكى يساكن الله الى الأبد ، وبدون عمل اعتبار لهذا الحق العظيم «الأبدية فى القلب» فهذه هى الخسارة الأولى والعظمى .

ثانياً : ينزل بمستوى حياته الى البهائم التى ليس لها قصد فى حياتها إلا إشباع رغائبها «الانسان فى كرامة لايبيت يشبه البهائم التى تباد» (مز٤٩:١٢)

ثالثاً : ينزل بمستوى اعترافه بالفضل والمعروف الى أقل من البهائم «الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما شعبى فلا يعرف ولايفهم» (اش ١:٣)

رابعاً : يحرم نفسه من كل البركات التى فى قلب الله من نحوه وأهمها الخلاص الأبدى والرعاية الحكيمة والحفظ من كل جهة والفرح الحقيقى والسلام الحقيقى .

١٢ عرفت أنه ليس لهم خير إلا أن يفرحوا ويفعلوا خيراً فى حياتهم (ع١٢)

الفرح وفعل الخير توأم جميل لكن بالسقوط أصبح الانسان كتلة شريرة مضادة لله «ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز١٤، ٥٣، رو٣) وحتى القدرة على فعل الخير معدومة «هل يغيّر الكوشى جلده أو النمر رقطه فأنتم ايضا تقدرون أن تصنعوا خيراً أيها المتعلمون الشر» (إر١٣:٢٣) فأين نجد المفتاح لأمنية سليمان هذه ؟ ليس إلا فى خلاص الله «بالنعمة أنتم مخلصون» «لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع

لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها» (أف ٢: ٨، ١٠)

١٣ وايضا أن يأكل كل انسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه فهو عطية الله (ع١٣)

هذه إحدى عطايا الله أنه فى نعمته يبارك فى تعب الانسان فيفرح بثمار تعبه «طوبى لكل من يتقى الرب ويسلك فى طرقه لأنك تأكل تعب يديك طوباك وخير لك» (مز١٢٨: ١، ٢) لكن بكل أسف نتيجة تجاهل الرب يتم هذا التوبيخ «اجعلوا قلبكم على طرقكم زرعتم كثيراً ودّخلتم قليلاً والآخذ أجرة يأخذ أجرة لكيس منقوب» (حجى ١: ٥، ٦) .

١٤ قد عرفت أن كل مايعمله الله أنه يكون الى الأبد لاشىء يُزاد عليه ولا شىء ينقص منه وأن الله عمله حتى يخافوا أمامه . ١٥ ماكان فمن القدم هو ، ومايكون فمن القدم قد كان والله يطلب ماقد مضى (ع١٤، ١٥)

ماهو هذا العمل الكاملَ الذى يعمله الله ، الثابت **ثبات الله ؟** هناك عمل الله فى **الخليقة** وهو رائع وكتاب جميل وإذاعة قوية «السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه» (مز١٩: ١) ولكن الوحى نفسه يُعلن أن هذا العمل سوف ينتهى «كلها تبيد ولكن أنت تبقى» (مز١٠٢) .

وهناك عمل الله **فى التاريخ** فقد أقام الله دولاً وممالك تحكم العالم كما أوضح دانيال النبى للملك نبوخذنصر رأس الدولة البابلية ، وحدث تماماً كما تنبأ إذ قامت بعد ذلك الدولة الفارسية ثم اليونانية ثم الرومانية حتى أن التاريخ يسمّى تاريخ القدير . لكن هذه الممالك كلها قد انتهت كما الممالك القائمة الآن . إذاً ماهو العمل الذى يعمله الله وله هذه الراية المثلثة .

أولاً الثابت ثبات الله .

ثانياً : الكامل كمال الله لاشىء يُزاد عليه ولا شىء ينقص منه .

ثالثاً : المنشىء الحقيقى لمخافة الله .

الأجابة نراها واضحة تماماً فى تجسد أقنوم الكلمة الأزلى ليصنع الفداء :

أولاً : الفداء ثابت ثبات الله فهو مقرر فى الأزل «دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١بط ١٩:١) «المسيح بروح أزلى قدم نفسه لله»(عب ٩ — بدرج الكتاب — أى الأزل «مكتوب عنى أن أفعل مشيئتك ياالهى سررت» (مز٤٠) ثم فى أول مشهد لرد الانسان الى الله «وصنع الرب الاله أقمصة من جلد وألبسهما» (تك ٣) فى اقتراب الآباء من هابيل فنازلاً لم يكن إلا ذلك الأساس الواحد وهو الفداء بدم الحمل الى أن تجسد الأبن فتصاعد الهتاف من أعظم الأنبياء «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو٢٩:١) الى أن نصل الى الأبدية التى لا نهاية لها ونترنم الترنيمة الجديدة «لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل شعب وقبيلة ولسان وأمة» (رؤ٩:٥)

ثانياً : الكامل كمال الله لاشيء يُزاد عليه ولاشيء ينقص منه ، فمن ذا الذى له الكفاءة أن يقف أمام عدل الله بكل مطاليبه ، ليس إلا أقنوم الابن متجسداً «فى طريق العدل أتمشى فى وسط سبل الحق» (أم٢٠:٨) لذلك باستمرار التنبير على الكفاية المطلقة لدم الحمل سواء فى الرموز فى العهد القديم أم فى الدم الحقيقى دم المسيح فى العهد الجديد

ماكان أروع المشهد فى تلك الليلة ، ليلة فداء اسرائيل فى أرض مصر «ويكون لكم الدم — دم الحمل — علامة على البيوت فأرى الدم وأعبر عنكم» لاشيء يُزاد عليه ولاشيء ينقص منه . ثم جاء مشهد الفداء من ضربة الوباء القاتل ، فكان نصف شاقل الفضة (فضة الفداء) هو الأمر الوحيد المعيَّن من الله للفداء «الغنى لايكثر والفقير لايقلل» (خر٣٠: ١٥، عد٣: ٥١) .

وهكذا يأتى العهد الجديد بالفيض الغامر من الاعلان الالهى عن خطورة إضافة شيء الى عمل المسيح وفدائه العظيم «لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا» (أف ٧:١) . «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله الى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر الهنا ومخلصنا يسوع المسيح» (٢بط١:١) فالايمان ثمين لأنه مؤسس على الفداء العظيم ويتساوى فيه الرسل مع كل المفديين . ولهذا السبب ينبّر الرسول بولس فى رسالة العبرانيين على قيمة الذبيحة الواحدة وتقديم يسوع المسيح جسده الكريم مرة واحدة ،

فتتكرر فى هذه الرسالة كلمة «مرة واحدة» برهان كفاية ذبيحته وإذ هو ابن الله لايمكن أن يُضاف الى عمله أى شىء . وقد وردت كلمة «مرة» فى هذه الرسالة ٨ مرات (عب ٢٧:٧،١٢:٩،٢٦،٢٨، ١٠:١٠) كما يؤكده الرسول بطرس ١بط١٨:٣ .

ثالثاً : المنشىء الحقيقى الوحيد لمخافة الله ، وهنا نرى الرسول المغبوط بولس ينبرّ على هذه الحقيقة المجيدة فى ١تى١٦:٣ وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد

وهنا يأتى السؤال : لماذا انحصرت التقوى أى مخافة الله فى القلب ، فى ظهور المسيح الهنا فى صورة إنسانية حقيقية ؟

ــ لأنه فى حياته أعلن ذات الله فى طبيعته المجيدة وصفاته وكمالاته واستقاماته الأزلية ، العصمة ، الحكمة ، الطهارة ، القداسة ، الصراحة ، المحبة ، الرحمة والعدل والقوة التى لايقف أمامها أى شىء حتى الموت كما وصفه الوحى أنه «صورة الله غير المنظورة»(كو١:١٥)

ــ أعلن ماهو الانسان فى حقيقته أمام هذا المقياس المطلق وأنه ليس إلا كتلة من الشر والأنانية والقسوة والنجاسة والاعوجاج .

ــ أعلن فى موته الفدائى كيف يمكن أن يغفر الله كل خطايا الانسان ويضع يده عليه ويخلقه من جديد انساناً مقدساً يحب الله ويخافه مخافة المحبة .

وماأروع إيضاحه للقاعدة والأساس فى أول الرسالة للتقوى الحقيقية التى ميّز الله بها كنيسته الحقيقية التى هى بيته هنا على الأرض والراية العظيمة التى ترفرف على هذا البيت هى مخافة الله فى القلب فنقرأ فى ١تى١:١٥ «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء الى العالم ليخلّص الخطاة الذين أولهم أنا» ــ أى أنه لا تقوى بدون هذا المخلص الالهى العظيم الذى أتى من السماء . ونقرأ فى ١تى٢:٥ «لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» ــ أى أنه لاتوجد تقوى حقيقية بدون مصالحة الهية بهذا الوسيط والمصالح الالهى الوحيد الذى بذل حياته لأجل الجميع .

١٥ ماكان فمن القدم هو ومايكون فمن القدم قد كان والله يطلب ماقد مضى (ج١٥)

ماهو كائن الآن وماسوف يكون فمن القدم موجود كما هو ، هذا هو تقرير الروح القدس عن الانسان فى ذاته ، فى الماضى والحاضر والمستقبل — من بدء التاريخ الى نهاية البشرية ، ليس هناك تحسين أقل ذرة فى طبيعته الساقطة لا التقدم العلمى ولا الرقى الاجتماعى ولا الفلسفة ولا الاكتشافات المذهلة التى كان لها التأثير الفعال على الحياة العملية للانسان وحتى مايمكن أن يستحدثه ذهن الانسان ، لايغير الحقيقة الراسخة فى كل الوحى المقدس ، إن الانسان من جهة مصير نفسه الخالدة ومن جهة موقفه من الاعلانات الالهية — الآن كما هو فى القديم «أما الرجل ففارغ عديم الفهم وكجحش الفرا يولد الانسان» (أى١١:١٢) «لم تسمع ولم تعرف ومنذ زمان لم تنفتح أذنك فإنى علمت أنك تغدر غدراً ومن البطن سُميت عاصياً» (اش ٤٨:٤) .

وبدون الاتضاع أمام الفداء الالهى واستحضار الانسان نفسه أمام الله المحب فى رغبة صادقة للمصالحة معه على حساب الدم الكريم ، يظل الانسان فى الجهل والعمى الروحى ويتم فيه قول الرب «ولست تعلم أنك أنت الشقى والبئس وفقير وأعمى وعريان» (رؤ٣:١٧) .

والله يطلب ماقد مضى ! هنا الخطورة الرهيبة إذ فى الذهن البشرى محاولة مستمرة لكى يزيح بعيداً الأمور المحزنة التى سقط فيها فى الماضى ، وبكل الوسائل الخادعة يحاول تبرير نفسه بعلل واهية ، وانتقال الانسان فى مراحل حياته من شباب الى رجولة الى شيخوخة لايمحو صفحة واحدة أو سطراً واحداً مما كتبه الانسان فى حياته وتبقى الكلمة الرهيبة : الله يطلب ماقد مضى !!

لكن شكراً لالهنا المحب الذى على أساس تجسده وعمله الكفارى استطاع أن يقرر «أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لاأذكرها» (اش ٤٣:٢٥،٤٤:٢٢، مز٥١:١ ، أع٣:١٩).

١٥ وايضا رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم وموضع العدل هناك الجور (ع١٦)

فى ع١٥ الانسان كما هو منذ السقوط يعبد ذاته ويعبد الشيطان لأنه منفصل عن الله ، وهنا فى ع١٦ النتيجة الحتمية وهى استبدال حق الله بالكذب وعدل

الموازين الالهية بظلم وجور أنانية نفس الانسان لذلك فى لحظة الاحتماء فى دم الفادى الرب يسوع تحدث المعجزة «إن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف» (لو١٩:٨) . «إن رجعت الى القدير تُبنى إن أبعدت ظلماً من خيمتك وألقيت التبر على التراب وذهب أوفير بين حصا الأودية يكون القدير تبرك وفضة أتعاب لك» (أى٢٢:٢٣)

١٧ فقلت فى قلبى الله يدين الصديق والشرير لأن لكل أمر ولكل عمل وقتاً هناك (ع١٧)

الله هو القاضى للصديق والشرير : فى مشهد الغش والظلم لابد أن الله يُظهر ذاته الكريمة ويقضى بالعدل فينصف الأول ويدين الثانى ولكن لكل أمر وقت معين من الله «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم ..» (لو١٨:٧) ، «تواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم فى حينه» (١بط ٥:٦) «انتظر الرب واصبر له فيخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة» (مز٣٧:٦) .

١٨ قلت فى قلبى من جهة أمور بنى البشر أن الله يمتحنهم ليريهم أنهم كما البهيمة هكذا هم .
١٩ لأن مايحدث لبنى البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم ، موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للانسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل .
٢٠ يذهب كلاهما الى مكان واحد كان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما . ٢١ من يعلم روح بنى البشر هل هى تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هى تنزل الى أسفل الى الأرض؟
٢٢ فرأيت أنه لاشىء خير من أن يفرح الانسان بأعماله لأن ذلك نصيبه لأنه من يأتى به ليرى ماسيكون بعده .

طالما كانت هذه الأقوال مثار جدل كثير إذ وجد فيها الفنائيون مجالاً متسعاً لتبرير نظريتهم بفناء الانسان واتخذها المدعوون شهود يهوه والسبتيون — حجة لتبرير مبادئهم الخبيثة بأن هذه الأقوال تنطبق على من لايتبعون تعاليمهم المدمرة للنفوس . لكن مفتاح الفصل كما يخبرنا سليمان نفسه «ماقاله هو فى قلبه» فليس إذاً إعلاناً الهياً لكن تساؤل عقل الانسان بالاستقلال عن كلمة الله .

فإن كان هذا حال أحكم انسان بدون الكلمة ، فقصد الروح القدس واضح

لكي يوضح أهمية قياس كل شيء على الكلمة وفي نورها . ورجوع مخلص الى أول صفحة في الوحي يوضح ضلال فكر سليمان في هذه اللحظة ، إذ نسمع عن خلق البهائم «لتُخرِج الأرض ذوات أنفس حية» ـ هذه هي البهائم وكيف خُلقت . لكن عندما خُلق الانسان نسمع القول «قال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا .. فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه» (تك ١: ٢٤،٢٦،٢٧) . ثم التفصيل والتوضيح المبارك ص ٢: ٧ «وجبل الرب الاله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة «فصار آدم نفساً حية» .

وهنا نفهم قصد الروح القدس من سفر الجامعة ليرينا أن **حكمة أعظم الحكماء تعجز عن معرفة حقيقة غير المنظور إن لم يحكّمه الله بالكلمة** . كما أن الغرض من سفر أيوب ليرينا أن بر أعظم الأُبرار يعجز عن تبريره أمام الله مالم يبرره الله ببر الهي في الكلمة ، وكان على كل منهما أن يعترف في سفره بما يخصه . فأيوب الكامل والمستقيم الذى ليس مثله في الأرض كان عليه أن يرفض نفسه وبره ويندم في التراب والرماد (أى ٤٢،٩) كما أن أحكم الحكماء سليمان كان عليه أن يعترف بقصور حكمته البشرية وعجزها عن إدراك سرائر الله وهكذا تُرد نفسه بالاعلان الالهى الحاسم «فيرجع التراب الى الأرض .. وترجع الروح الى الله الذىّ أعطاها» (جا١٢: ٧)

كم نشكر الله لأنه هوذا أعظم من سليمان في كل شيء ، ففي هذا الأمر يوضح الرب يسوع «مات لعازر المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم .. ومات الغنى ورفع عينيه في العذاب ..» (لو١٦) . أى أن الموت لن يعطل فرح المفديين بمخلصهم لحظة واحدة ولن يسكت أغانيهم له دقيقة واحدة «من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة .. أم ضيق أم سيف ؟ لكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا» (رو٨) .



الاصحاح الرابع

١ ثم رجعت ورأيت كل المظالم التى تجرى تحت الشمس فهوذا دموع المظلومين ولا معز لهم ومن يد ظالميهم قهر أما هم فلا معز لهم (ع١)

العناوين الكبيرة التى تصف الأنسان كابن آدم ، بدون نعمة الله ، تراها واضحة فى نبوة يعقوب فى تك ٤٩ فنسمع عن رأوبين أنه مندفع فى شهوته كالماء الفائر بلا ضابط وهكذا دنس مضجع أبيه ، ثم عن شمعون ولاوى بدورهما إندفعا الى الظلم والقسوة والقتل ، أى أن الانسان بالطبيعة تحت رايتين كبيرتين : الفساد والظلم ، وواضح جداً أن هذه هى مدرسة العدو ، كما قال الرب يسوع بفمه الكريم لليهود «أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا» (يو٨:٤٤) .

ماأبعد الفارق بين المدرستين : مدرسة الله التى أظهرها ابن محبته ربنا يسوع المسيح هنا على الأرض ومدرسة العدو التى تظهر منذ السقوط فى حياة البشر فى كل مكان ، الى أن يتقابل الانسان مع الله فى صليب ابنه فيُعطى من الله طبيعة جديدة مقدسة طاهرة باذلة مضحية لأنها ذات طبيعة المسيح «إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو٥:١٧) . فكل مارآه سليمان فى مشهد ظلم الطبيعة البشرية الأنانية الساقطة هو دموع المظلومين بكاءً على أنفسهم ، لكن هلم بنا الى رب سليمان عندما كان هنا على الأرض فنرى ماهو أعظم وأروع فنرى دموعه هو له المجد بكاءً على الظالمين أنفسهم . كم ظُلم هو له المجد من شعب أورشليم وكان يعلم تماماً ماكُتب عنه «ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه» لكنه ماأعجبه وهو ينظر الى أورشليم ويبكى عليها ويرثى مصيرها المُحزن (لو١٩) وشكراً له من كل القلب لأنه استطاع أن يوجد هنا على الأرض دموعاً أخرى مجيدة ، وهى دموع الامتنان والشكر القلبى العميق ، دموع الولاء والتعبد له فى أولئك الذين انفتحت بصيرتهم فرأوا فيه الفادى المحب الغافر الوحيد لكل خطاياهم (لو٧) .

الأمر الثانى أن سليمان لم يرَ المعزى لدموع المظلومين ، لكن والده داود تدرب أكثر عند قدمى الرب ، رأى المعزى العظيم لدموع المظلومين . إسمعه وهو يقرر «إجعل أنت دموعى فى زقك أما هى فى سفرك» (مز٥٦:٨) لكن هناك الرجاء المبارك

لأولاد الله إذ لهم هذا الوعد «ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه» (اش٢٥:٨، رؤ٧:١٧، ٢١:٤) .

٢ فغبّطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان أكثر من الأحياء الذين هم عائشون بعد (ع٢).

ماأتعس انحصار النظر فى الأمور التى تجرى تحت الشمس ، وهذه النظرة السطحية جعلت سليمان يسقط فى أمرين رهيبين :

الأول : نهاية الحياة بالموت خير من الحياة مع الظلم ! يالها من هزيمة وفيها رائحة الذات الكريهة . لكن ماأسمى موازين بولس «لست أحتسب لشىء (ظلم ، ضرب ، سجن ، لكم) ولا نفسى ثمينة عندى حتى اتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع» (أع٢٠:٢٤) .

الثانى : رأى موت البشر كفريق واحد ! ماأغبى هذه النظرة ! ألا يعلن الكتاب من البداءة أن البشر عائلتان منفصلتان ؟ والذى فصل بينهما هو الايمان بدم الحمل .

٣ وخير من كليهما الذى لم يولد بعد الذى لم يرّ العمل الردىء الذى عُمل تحت الشمس (ع٣)

أى أن الذى لم يولد بعد خيرٌ من الذى ولد ولازال على قيد الحياة فى دائرة ظلم الناس . كما سبقت الاشارة ، إن الحياة هنا على الأرض إذا لم يملأها المسيح ليكون هو الغرض الوحيد لها ، حينئذ فعلاً الذى لم يولد خير من الذى ولد ، ليس فقط لمرارة الحياة نفسها لكن ماهو أتعس ـــ المصير الأبدى الرهيب للانسان بدون المسيح .

٤ ورأيت كل التعب وكل فلاح عمل أنه حسد الانسان من قريبه . وهذا ايضا باطل وقبض الريح (ع٤) .

هذا هو تقرير سليمان بالروح القدس عن أحد عناصر اجتهاد الانسان العالمى واحتماله كل مشقة وكل تعب ، لكى بنجاحه فى هذه الحياة يتفوق على الآخرين الذين سبقوه فى النجاح والتفوق ، وهذا هو الحسد أو الغيرة الرديئة . وهنا نسمع تحذير الكتاب فى مز٣٧:١ـــ ٥ «لاتغر من الأشرار ولاتحسد عمال الاثم فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطعون .. اتكل على الرب وافعل الخير اسكن الأرض وارعَ الأمانة تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجرى» .

٥ الكسلان يأكل لحمه وهو طاوٍ يديه (ع٥) .

هنا يتأمل فى الجانب العكسى ، أى البطالة ـــ هل هى أفضل من العمل المضنى الناجح ؟ كلا . لأن الكسلان المتعطل إنسان جاهل يأكل لحمه بمعنى أنه لابد أن يجلب الخراب لنفسه وهكذا تتجه الحكمة البشرية الى المتوسط المعتدل وذلك فى القول :

٦ حفنة راحة خير من حفنتى تعب وقبض الريح (ع٦)

أى حفنة رزق براحة خير من حفنتى رزق بتعب باطل ، وهذه قضية لا غبار عليها ، أن الجمع والتكويم لايجلب معه سوى خيبة الأمل والهم الناتج من إنفاق صحة الانسان التى لاتعوض لكن ماأسمى حكمة الانسان المتعلم من الكتاب المقدس «التقوى مع القناعة تجارة عظيمة» (١تى ٦:٦) وايضا «القليل الذى للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين» (مز٣٧:١٦) .

٧ ثم عدت ورأيت باطلاً تحت الشمس . ٨ يوجد واحد ولا ثانى له وليس له ابن ولا أخ ، ولا نهاية لكل تعبه ولا تشبع عينه من الغنى . فلمن أتعب أنا وأحرم نفسى الخير ؟ هذا ايضا باطل وأمر ردىءٌ هو (ع٧،٨) .

فى الأعداد السابقة بحث الحكيم ضربة مُرّة ضُرب بها القلب البشرى وهى العمل المضنى لكى يتفوق على الذين سبقوه وتفوّقوا عليه وهذا هو الحسد . وبحث ايضا ضربة الكسل التى تجلب الخراب على الانسان . أما هنا موضوع تأمله ضربة أرهب وأقسى وهى متعة جمع المال فى ذاك البخيل الذى ليس له أقارب يعتمدون عليه ، أو يطلبون العون منه . ومع ذلك يكافح ويتعب ويحرم نفسه الخير والتمتع بالثروة التى يتوهم أن فى جمعها متعة وغبطة لأنه يرى فى المال الهاً محركاً للعالم يفتح الأبواب المغلقة ويعوّج القضاء . لكن ماأرهب تقرير الكتاب «لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١تى ٦:١٠) .

وواضح أن هذه المتعة لها هذه الجوانب المدمرة ·

أولاً : يعبد هذا الصنم ويصير كل تفكيره عنه (مت ٦ : ٢٤)

ثانياً : يحرم نفسه الخير الذى وضعه الله بين يديه ! ماأسمى تعليم الكتاب «طوبى لكل من يتقى الرب ويسلك فى طرقه لأنك تأكل تعب يديك» (مز ١٢٨)

ثالثاً : يتدرب القلب على القسوة أكثر بالنسبة للمحتاجين بسبب البخل .

٩ اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة . ١٠ لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثانٍ يقيمه (٩، ١٠) .

يتناول الحكيم هنا ضربة أخرى للقلب البشرى ، وهى متعة الوحدة ، أى أن الانسان يعيش بمفرده ظناً منه إن شاركه أحد فى حياته فسوف يكدّر تفكيره وتمتعه بما بين يديه ، ونرى الحكيم يوضح غباوة هذا الفكر :

أولاً ـــ اثنان خير من واحد لأن هذا مارسمه الرب منذ البداءة للانسان ، لأنه مخلوق ضعيف تحت الآلام ، ومحتاج باستمرار الى معونة ، لذلك قال الرب «ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره» (تك٢) .

ثانياً ـــ لهما أجرة صالحة لتعبهما أى أن المحصول الناتج من الخدمة يكون أوفر ، ولهذا تكون الأجرة مضاعفة . لو كان أكيلا بمفرده لمَا استطاع أن يستضيف الرسول العظيم بولس ويقدم له خدمة الضيافة الكاملة المريحة المباركة لمدة عام ونصف وهى فترة إقامة الرسول فى مدينة كورنثوس حيث تأسست الكنيسة هناك .

ثالثاً ـــ ع١٠ ينير الحكيم على أمر آخر وهو المعونة المتبادلة فى كل ظروف الحياة ومفاجآتها المتنوعة التى بسبب ضعف الانسان فى ذاته قد يتعرض للسقوط ، فيجد فى الحال من يمسك بيده ليقيمه . ومغبوط هذا البيت الذى يوقّر بحق اسم الرب ، حتى إذا زلت قدم طرف ، يبادر الطرف الآخر لعلاجه بمحبة ووداعة وتواضع .

١١ ايضا إن اضطجع إثنان يكون لهما دفء أما الواحد فكيف يدفأ (ع١١)

الدفء فى الكتاب المقدس يشير الى التعزية الناتجة من الأحشاء المملوءة بالرب فى حنانه وعطفه . كم كانت سارة سبب تعزية لابراهيم فى تغربه فى أرض كنعان وكم كانت رفقة سبب تعزية لاسحق بعد وفاة أمه المحبوبة سارة .

١٢ وإن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان والخيط المثلوث لاينقطع سريعاً (ع١٢)

ماأجمل المنظر فى اتحاد قلبين معاً فى المعركة مع العدو ، هنا القوة والانتصار . لهذا كانت ارسالية الرب للسبعين فى لوقا ١٠:١ حيث أرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه المبارك الى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتى . ولهذا ايضا لنا منه هذا الوعد «إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات » (مت ١٨:١٩) ولهذا نجد تحذير الرسول بطرس للرجال والنساء فى كل بيت «لكى لاتُعاق صلواتكم» (١بط ٣:٨) .

١٣ ولد فقير حكيم خيرٌ من ملك شيخ جاهل الذى لايعرف أن يحذر بعد . ١٤ لأنه من السجن خرج الى المُلك والمولود ملكاً قد يفتقر (ع١٣،١٤) .

فى أسى عميق يقرر هذا الحكيم العظيم أنه لم يعرف ولم يتعلم كيف يتحذر بما بين لديه من حكمة . فهو الذى يكتب عن أهمية الاثنين والارتباط القلبى الصادق بينهما وأهمية هذا فى المعركة مع العدو ، لم يسلك هو فيه فلم يكن له زوجة أمينة واحدة تعرف الرب وتؤازره فى سكب القلب أمام الرب ولهذا كانت له الهزيمة المُرّة وهاهو يقرر عن نفسه أنه ملك شيخ جاهل . أما الولد الفقير الحكيم فهو يربعام الذى فى حكمه عرف أنه ليس هو الوقت المناسب ليهز عرش سليمان فهرب الى مصر ، التى كانت له كسجن ، وبقلم النبوة يكتب سليمان ماحدث تماماً بعد وفاته إذ خرج يربعام من مصر وأتى ليقود عشرة أسباط فى ثورة ضد رحبعام ابن سليمان . وفعلاً تكوّنت المملكة الشمالية وجلس على عرشها يربعام . والمولود ملكاً وهو رحبعام فعلاً افتقر بسبب عدم مخافة الرب إذ فقد العشرة أسباط ولم يبق له إلا سبطا يهوذا وبنيامين ، ولم تمض خمس سنوات حتى جاء شيشق ملك مصر وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ أتراس الذهب (٢أى ١٢:٩).

١٥ رأيت كل الأحياء السائرين تحت الشمس مع الولد الثانى الذى يقوم عوضاً عنه .

١٦ لا نهاية لكل الشعب لكل الذين كان أمامهم ايضا المتأخرون لايفرحون به فهذا ايضا باطل

وقبض الريح (ع١٥، ١٦) .

بقية القصة حيث كل الأحياء أي العشرة الأسباط جمهور شعب اسرائيل مع الولد يربعام عوضاً عن رحبعام . ايضا المتأخرون لايفرحون به ، نبوة عن عدم ابتهاج العشرة أسباط بمُلك يربعام بعد أن ملكوه عليهم ملكاً . وسواء مملكة رحبعام أو يربعام فالكل باطل وقبض الريح لأن في كليهما لم توجد مخافة الرب .



أَنَا هُوَ القِيَامَةُ وَالحَيوةُ

مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا

وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي

فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدْ

(يو ١١ : ٢٥)



الأصحاح الخامس

١ إحفظ قدمك حين تذهب الى بيت الله فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال لأنهم لايبالون بفعل الشر (ع١)

رأينا فى نهاية الفصل السابق المفتاح الجميل للخروج من دوامة النفس وغرقها فيما هو تحت الشمس ، وذلك فى إقرار ذلك الحكيم العظيم إنه أصبح فى مستوى الجهال بسبب جريه وراء نفسه وماتريده تحت الشمس ، وماأروع وصفه لنفسه : ملك شيخ جاهل . هنا يبدأ النور يسطع والظلمات والغيوم تنقشع وهاهو يتجه الى فوق الى الله الذى هو فوق كل شيء . وهى لحة حلوة تعبّر عن التوبة وهى الإقرار بالوضع المحزن الذى أوجدتْ نفسى فيه بسبب إنحرافى عن الرب ثم أُبغض هذا الوضع وأُبغض نفسى التى هى السبب الأول والأخير وأتجه بكل قلبى الى فوق «أخطأت الى السماء وقدامك» (لو١٥:١٨) .

وسليمان هنا يرسم الطريقة العملية للتقابل مع الله الذى هو فوق الشمس ، كيف وأين أتقابل معه وأنا هنا على الأرض ؟
كان فى العهد القديم مكان واحد فقط ينبغي أن أذهب اليه لكى أقدم ذبيحة عن خطيتى وأقربها أمام الله وذلك عند مذبح النحاس عند باب الهيكل . لكن بظهور الله فى الجسد وإكمال الفداء وصعوده الى السماء وإرسال الروح القدس تغير الموقف تماماً من جهة تقابل النفس فردياً شخصياً مع الرب «أدخل الى مخدعك وأغلق بابك» (مت ٦:٦) ومن جهة الاجتماع الى اسم الرب «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم» (مت ١٨:٢٠)

ومايننبّر عليه سليمان هنا هو الاستماع أولاً الى صوت الرب أى كلمته لئلا أقدم ذبيحة الجهال . ولانستطيع أن نحصى الشواهد التى تنبّر على خطورة هذا الأمر . على سبيل المثال «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب . هوذا

الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش لأن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم» (١صم١٥: ٢٢) وايضا «من يحوّل أذنيه عن سماع الشريعة فصلاته ايضا مكرهة» (أم٢٨: ٩) .
ــ «فالإستماع أقرب» قُرئت فى أدق المخطوطات «اقترب لتسمع لئلا تقدم ذبيحة الجهال» . ماأجمل النتائج التى يرددها الكتاب للاقتراب القلبى الصادق للرب :
أولاً ــ كما رأينا هنا الانتشال من فريق الجهال عن طريق سماع صوت الرب .
ثانياً ــ النجاة من الهلاك الأبدى والزمنى «هوذا البعداء عنك يبيدون تهلك كل من يزنى عنك أما أنا فالاقتراب الى الله حسن لى» (مز٧٣: ٢٧، ٢٨)
ثالثاً ــ نقاوة الحياة وطهارة القلب والفكر من العرج بين الفريقين «اقتربوا الى الله يقترب اليكم نقوا أيديكم ياأيها الخطاة وطهروا قلوبكم ياذوى الرأيين» (يع٤: ٨) .

لكن لاننسى الأساس والقاعدة الوحيدة التى يمكن لله أن يقبلنا عليها وهى دم الحمل ــ الدم المطهر من كل خطية «إذ الناموس ــ بكل ذبائحه ــ لم يكمل شيئاً ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب الى الله» (عب ٧: ١٩) . كم من ملايين يتجاهلون ذبيحة ربنا يسوع المسيح ويقتربون الى الله فى مدرسة قايين ــ مدرسة الأعمال ، لكن «ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين» (يه١١)

٢ لاتستعجل فمك ولايسرع قلبك الى نطق كلام قدام الله لأن الله فى السموات وأنت على الأرض فلذلك لتكن كلماتك قليلة (ع٢)

التحريض الجوهرى هنا هو الهدوء والتأنى فى محضر الرب وبكل وقار يليق به ، نراجع الاحسانات التى غمرنا بها ، فيفيض القلب أولاً بالشكر له ثم بكل إخلاص واتضاع أمامه نراجع أنفسنا أمامه لكى نحكم على كل أمر لايمجده فى سلوكنا . ثم فى بساطة الأطفال نسكب قلوبنا من جهة مانحتاجه ومايزعجنا به العدو «وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكّن قلوبنا قدامه» (١يو٣: ٢٠) .
«لأن الله فى السموات من فوق» ــ تعبير يفيد جلال وعظمة الهنا كالخالق العظيم القادر على كل شيء «ساكناً فى نور لايدنى منه الذى لم يره أحدٌ من الناس ولايقدر أن

يراه» (١تى٦:١٦)

وليس من الحق أو بحسب المكتوب أن الفرح فى محضر الرب يجعلنا ننسى الوقار الحتمى الملازم لهذه الحضرة ، وليس من الحق أن تجسده له المجد يجعلنا ننسى جلال ووقار عظمته فنخاطبه باسمه مجرداً «يايسوع» . وكل قديسيه فى كل العصور هذه هى لغتهم «أيها الرب يسوع» (أع٧:٥٩) أو «ياربنا يسوع المسيح» (أف ٥:٢٠، كو٣:١٧) . وإن كان هذا الاعلان يفيد ضرورة الخشوع والورع أمام جلال وعظمة المنا ، لكن فى ذات الوقت فهم القديسون فى كل العصور أنه قريب جداً منهم ، لذلك كانت حياتهم حياة التصاق قلبى به كما هتف داود فى مز١٤٥:١٨ «الرب قريب لكل الذين يدعونه الذين يدعونه بالحق ، يعمل رضى خائفيه يسمع تضرعهم فيخلصهم» .

«لتكن كلماتك قليلة» ــ المقصود هنا عدم تكرار الكلام باطلاً كما عبر له المجد عن ذلك فى مت ٦:٧ «لأنهم (الأمم الوثنية) يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم» . فما هو إذاً معنى اللجاجة ؟ هى الصراخ من أعماق القلب فى إلحاح الايمان والكلمات خارجة وصاعدة للرب كقرعات شديدة على باب محبة الرب ونعمته فى ثقة كاملة أن قلبه المحب يريد أن يعطى . ماأروع تقرير الكتاب عن رئيس الايمان نفسه وهو «يصلى بأشد لجاجة» فى جثسيمانى ، وماأجمل تقرير الكتاب «وسُمع له من أجل تقواه» راجع لو٢٢: ٤٤ ، عب ٥:٧
ثم ماجاء عن حنة أم صموئيل «إذ أكثرت الصلاة أمام الرب وعالى يلاحظ فاها» (١صم١:١٢) .

ليتنا نتعلم درس اللجاجة «أقول لكم وإن كان لايقوم ويعطيه لكونه صديقه فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر مايحتاج» (لو١١:٨)

٣ لأن الحلم يأتى من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام (ع٣)

الحلم يكشف عن حقيقة الحالم أنه كان مرهقاً فى ساعات اليقظة ، إذ أن ارتباكات الحياة فى ساعات النهار تتحول أثناء النوم الى خيالات وأوهام بلا تفكير أو

ترتيب ، هكذا ايضا كثرة الكلام بلا فهم ولا وعى لابد أن تقود الانسان الى كلمات جهل كثيرة . ليتنا نتعلم التأنى والتفكير فى كل كلمة قبل أن ننطق بها أمام الهنا وأمام الناس .

٤ إذا نذرت نذراً لله فلا تتأخر عن الوفاء به لأنه لايُسّر بالجهال فأوف بما نذرته . ٥ أن لاتنذر خير من أن تنذر ولا تفى (ع٤،٥) .

النذر فى تدبير الناموس وهو يتعارض مع روح التدبير المسيحى الذى تملك فيه النعمة .

أولاً : تحت الناموس كان الانسان مسئولاً أن يعمل جميع ماهو مكتوب فى الناموس لئلا يقع تحت لعنة ، لكن النعمة كشفت عجز الانسان المطلق ، وهكذا تملك النعمة على القلب بالبر فى ربنا يسوع المسيح حينئذ يتم القول «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (فى ٢:١٣) ، «لأنكم بدونى لاتقدرون أن تعملوا شيئاً .. كما أن الغصن لايقدر أن يأتى بثمر من ذاته» (يو١٥:٤،٦) .

ثانياً : تحت الناموس كان الانسان مسئولاً أن يقدم مايُرضى الله من ذبائح وتقدمات لكن النعمة كشفت ماهو القربان الوحيد المقبول أمام الله والمُشبع لقلبه والذى به فقط ينبغى أن نتقدم الى الله الذى هو ربنا يسوع المسيح فى ذبيحته على الصليب . وكل عمل يمجد الله يقودنا فيه الروح القدس ، نعمله ونقدمه لله فى استحقاقات ربنا يسوع المسيح .

أما النذر الذى كان على أكيلا فقد أُبطل فى كنخريا.(أع١٨:١٨) وهنا نرى كم ينبغى أن يستجيب المولود من الله لإعلان النور الالهى .·فهذا اليهودى المتمسك بالناموس ، أُعطيت له الفرصة أن يرافق الرسول بولس ، لذلك استنار وأنهى النذر فى كنخريا .

٦ لاتدع فمك يجعل جسدك يخطىء ولاتقُل قدام الملاك أنه سهوٌ لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك . ٧ لأن ذلك من كثرة الأحلام والأباطيل وكثرة الكلام ولكن إخش الله (ع٦،٧) .

المقصود بالخطأ هنا هو تسرع الفم بالنذر والرجوع فيه والقول أنه سهو . وقد توضح موقف المؤمن من النذر فى تدبير النعمة الآن لكن ذات المبدأ وهو الحرص على أعضائنا لكى لاتتحرك فى أى اتجاه يجعل كيانى كله فى وضع المخطىء فى حق الله . وأهم عضو هو اللسان ، وماأكثر تحذيرات الكتاب عن أهمية ضبط اللسان حتى لاتخرج كلمة واحدة غير مضبوطة (أف ٤:٣٠) . ومن يتدرب على ضبط لسانه فذاك رجل كامل قادر أن يُلجم (يضبط) كل الجسد ايضا (يع٣:٢) .

لكن فى كلام الرب فى مت ١٨،٥ توضيحاً كاملاً أنه إذا لم نسهر على كل أعضائنا فقد يستخدمها العدو ضد مشيئة الرب وهكذا تأتى العثرات ، فيقول له المجد «فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولايُلقى جسدك كله فى جهنم» (مت ٥:٢٩،١٨:٦) والمقصود هنا بقطع اليد أو قلع العين هو إماتة الشهوة الفاسدة فى القلب ونافذتها هى العين ، وإماتة التصرفات غير الأمينة للرب ومفتاحها هو اليد ـــ وهذه الإماتة لاتأتى إلا بقوة الروح القدس (رو٨:١٣) .

«لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك»

ماأبعد الفارق بين نظرة المؤمن الى معاملات الله فى العهدين القديم والجديد ، عموماً كانت النظرة الخاطئة * الى التأديب كغضب من الله القدوس ، لكن الآن أُعلن عن الآب المحب العطوف الذى إذ يؤدب فهو برهان محبته لكى نشترك فى قداسته (عب ١٢:١٠) فيعطى الذين يتدربون بالتأديب ثمر بر للسلام كما قال أليهو لأيوب «يتراءف عليه ويقول إطلقه عن الهبوط الى الحفرة قد وجدت فدية .. يصلى الى الله فيرضى عنه ويعاين وجهه بهتاف» (أى ٣٣:٢٤،٢٦) .

---

* ولو أن أليفاز التيمانى قال لأيوب «هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله فلا ترفض تأديب القدير» (أى٥:١٧) .

ويفسد عمل يديه : هذا ماعمله الرب مع يهوشافاط ملك يهوذا الذى كان يعمل المستقيم فى عينى الرب لكنه اتحد مع أخزيا ملك اسرائيل الشرير فأرسل اليه الله نبياً يقول له :«لأنك اتحدت مع أخزيا قد اقتحم الرب أعمالك فتكسرت السفن ولم تستطع السير الى ترشيش» (٢أخ ٢٠:٣٧) .

ليتنا نتأكد من كل عمل أنه فعلاً بحسب فكر الرب ولمجده وإلا ماأكثر المجهود الضائع والوقت المفقود ، ماأجمل تقرير المرنم فى المزمور «طوبى لكل من يتقى الرب ويسلك فى طرقه لأنك تأكل تعب يديك طوباك وخير لك» (مز١٢٨:١،٢)

٨ إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل فى البلاد فلا ترتع من الأمر لأن فوق العالى عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما (ع٨) .

الظلم هو مدرسة العدو الذى غرس طبيعته الساقطة فى أبوينا الأولين فى لحظة السقوط ، ومنذ بدء التاريخ نرى ظلم قايين لشقيقه هابيل البار ، وظلم إخوة يوسف له وظلم آخاب لنابوت اليزرعيلى (تك ٤، ٣٧، ١مل٢١) لذلك فإن رفض الظلم عنصر أساسى فى التوبة أى بغضة مطلقة للظلم «إن رجعت الى القدير تُبنى إن أبعدت ظلماً من خيمتك» (أى٢٢:٢٣) . والطبيعة الجديدة التى تُخلق فى الانسان فى لحظة التوبة ـــ الولادة من فوق ـــ لاتحتمل ظل الظلم ، لذلك نرى زكا إذ تقابل مع الرب يسوع وأصبح فى لحظة خليقة جديدة ، فى الحال لايطيق الظلم فيصرخ «.. إن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف» (لو١٩:٨).

«ونزع الحق والعدل فى البلاد» :

هذا هو طابع العالم كله لأن الموازين كلها يقلبها رئيس هذا العالم ويسمم كل الينابيع ، إنه يعمل الآن فى أبناء المعصية ، لكن شكراً لله سوف ينتهى يوم الانسان ويأتى يوم يملك فيه الرب يسوع على كل المسكونة بالحق والعدل .

«فلا ترتع من الأمر لأن فوق العالى عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما» :

هذه هى سياسة الله جعل رتباً ورياسات حتى فى الدائرة غير المنظورة ، أى الملائكة القديسين الذين يخدمون العرش (أف ٣:١٠) والملائكة الذين سقطوا ايضا

لهم رتبهم (أف ٦ : ١١) .

وكل رتبة فى هذا العالم مسئولة أمام الخالق العظيم ، لذلك كان تحريض الرسول «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله» (رو١٣ : ١، ٢) ـــ هذا هو المقصود بفوق العالى عالياً يلاحظ . لكن شكراً لله لأنه هو الأعلى فوقهما أى فوق الجميع ، وفى الأصل تأتى بصيغة الجمع «والعالون فوقهما» ـــ وهنا روعة الاعلان عن الله الجمع فى مفرد (يو٣ : ١١، دا ٤ : ١٣، ١٧) .

والعلو الفائق مرتبط بالجلالة الالهية كما نقرأ فى أى١١ : ٧، ٨ «أإلى عمق الله تتصل أم الى نهاية القدير تنتهى . هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل» وذات التعبير نراه فى وصف الرب يسوع بعد أن تجسد وصنع الفداء وصعد «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات» (عب ٧ : ٢٦) .

٩ ومنفعة الأرض للكل . الملك مخدوم من الحقل (أويعتمد على الحقل) (ع٩) .

إن كان الانسان قد أفسد ترتيب الله فى وضعه رياسات ورتب بين الناس لكى تتعاون فى أعمال الحياة ، وكل رتبة نافعة للأعلى منها والأقل منها . وإن كان المشهد قد تشوه لكن لازالت ملامح القصد الالهى ظاهرة وتوضح صلاح الله ، وهاهو أعلى رتبة فى البلاد أى الملك يعتمد تماماً على خدمة الفلاح فى الحقل . وهذه هى التعزية أن ننظر الى صلاح الله فى ترتيبه الأمور حتى وإن كان الانسان قد أفسد المنظر تماماً بالظلم واستخدم الرتب استخداماً سيئاً . لكن نحن المفديين لنا تعزية أعظم إذ نتأمل فى أبشع مشهد ظلم تم فى تاريخ المسكونة فى ذاك الذى «ظُلم فتذلل ولم يفتح فاه» (إش ٥٣) لكن كان وراء هذا الظلم ، العمل العظيم الذى عليه تقوم كل حياتنا أمام الله وتستقر عليه كل أبديتنا . وهنا نرى أمرين :

الأول ـــ الله وحده الذى يستطيع أن يُخرج من الآكل أكلاً فمن مشهد ظلم ربنا يسوع المسيح كإنسان فى يد البشر أخرج لنا الفداء من يد العدل الالهى .

الثانى ـــ الله وحده الذى يستطيع أن يكافىء كل احتمال للظلم من أجل اسمه «لذلك رفعه الله ـــ كانسان ـــ ايضا وأعطاه اسماً فوق كل اسم» (فى ٢:٩) وفى التعبير «الملك مخدوم من الحقل» لنا نحن المفديين تحريض جميل ، إذ أن الملك الحقيقى يعتمد علينا فى خدمة اسمه الكريم فى فترة تغربنا وماأمجد الخدمة فى هذا الحقل المبارك .

١٠ من يحب الفضة لايشبع من الفضة ومن يحب الثروة لايشبع من دخل . هذا ايضا باطل (ع١٠) .

المعنى المقصود واضح من أول السفر ، لايوجد شىء تحت الشمس يستطيع أن يشبع النفس لأنها من الله ، لذلك الشبع الحقيقى لها كامن فى ذاك الذى قال «أنا هو خبز الحياة من يُقبل الىَّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً» (يو٦:٣٥) . طوبى للنفس التى تستفيق وتُنتشل من الغرق فى الفضة الفانية لكى تقتنى الفضة الحقيقية الباقية التى هى الفداء .

«من يحب الثروة لايشبع من دخل» : «إجعلوا قلبكم على طرقكم زرعتم كثيراً ودّخلتم قليلاً تأكلون وليس الى الشبع تشربون ولاتروون تكتسون ولاتدفأون والآخذ أجرة يأخذ أجرة لكيس منقوب» (حجى ١:٥،٦) .

ليتنا نصحو ونعلم أولاً أن «القليل الذى للصديق خيرٌ من ثروة أشرار كثيرين» (مز٣٧:١٦) وذلك «لأن بركة الرب هى تُغنى ولايزيد معها تعباً» (أم١٠:٢٢)
ثانياً ـــ «القليل مع مخافة الرب خيرٌ من كنز عظيم مع هم» (أم ١٥:١٦) وذلك «لأن التقوى مع القناعة تجارة عظيمة» (١تى ٦) .
ثالثاً ـــ «القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق» (أم١٦:٨) لأن سياسة الله لابد أن تتدخل فينهار جزء كبير من هذا الدخل بغير الحق .
رابعاً ـــ «الذين يريدون أن يكونوا أغنياء يسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة وغبية تغرّق الناس فى العطب والهلاك» (١تى٦) .

ليتنا نستفيق الى صوت ذاك الذى قال «عندى الغنى والكرامة قنية فاخرة وحظ» (أم٨) .

١١ إذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها وأى منفعة بصاحبها إلا رؤيتها بعينيه (ع١١) .

فى ع١٠ التقرير الذى يملأ كل الكتاب أن الفضة الكثيرة والثروة العظيمة والدخل الهائل ، لايمكن أن يشبع النفس ، ويكتشف الانسان أخيراً أن كل تعبه كان فى الباطل .

لكن هنا ع١١ يتحدث عن نتيجة وخيمة أخرى ، قد ينجح الانسان فى جريه وراء الفضة وتتكون لديه ثروة ضخمة ، هناك ماهو أكثر مرارة ، سيكتشف إزدياد عدد الآكلين لهذه الثروة التى تعب فيها وماهو إلا متفرج عليها . والمقصود بالآكلين لهذه الثروة ــ المنافذ التى يفاجأ بها الانسان فتفسدها .

وهنا يأتى السؤال : هل من حماية لكل مقتنىَ الانسان ؟ الاجابة الصحيحة هى أن يدخل الانسان بجملته تحت جناحى القدير «ماأكرم رحمتك ياالله فبنو البشر تحت جناحيك يحتمون» (مز٣٦:٨) ، «الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت» (مز٩١:١) حينئذ تستقيم حياة الانسان ويحترم أقداس الرب. وهكذا يتم القول «هاتوا جميع العشور ... وجربونى .. أفتح لكم كوى السموات .. وأنتهر من أجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض» (ملا٣:١٠)

١٢ نوم المشتغل حلو إن أكل قليلاً أو كثيراً ووفر الغنى لايريحه حتى ينام (ع١٢) .

المجهود البدنى من أعظم العوامل على جلب النوم الحلو المريح ، والعجيب أن الأطعمة الكثيرة والثروة العظيمة كلها تفشل فيما يحققه نوم المشتغل . إن كان هذا ثمر التعب فى العمل الزمنى ، فكم هو أعظم مانحصل عليه إن كنا نتعب أكثر لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ولمجد الله . تأمله له المجد إذ لم يكن له فرصة لأكل خبز من كثرة الجماهير والخدمة الباذلة لأجل النفوس التى بلا عدد التى كانت ترتمى عليه بكل أسقامها لذلك عندما دخل السفينة كانت هناك وسادة فأعطاه الآب نوماً هادئاً جميلاً

ليتنا نتعلمه ونختبر مكافآت الآب لنا طول الطريق «وحيث أكون أنا هناك ايضا يكون خادمى إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب» (يو١٢:٢٦) .

١٣ يوجد شرّ خبيث رأيته تحت الشمس ، ثروة مصونة لصاحبها لضرره . ١٤ فهلكت تلك

الثروة بأمر سيء ثم ولد ابناً ومابيده شيء . ١٥ كما خرج من بطن أمه عرياناً يرجع ذاهباً كما جاء ولا يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به فى يده . ١٦ وهذا ايضا مصيبة رديئة فى كل شيء كما جاء هكذا يذهب فأية منفعة له للذى تعب للريح . ١٧ ايضا يأكل كل أيامه فى الظلام ويغتم كثيراً مع حزن وغيظ (ع١٣—١٧) .

ع١٣ فى الأصل فى صيغة الجمع «ثروات مصونة لأصحابها لضررهم» — ثروة ضارة ! عجباً ! هذا هو تقرير الحكيم :
أولاً : المال إذا كثر بين يدى الانسان يصبح موضوع الاتكال ، لذلك يقول الرب «دخول جمل من ثقب ابرة أيسر من دخول غنى الى ملكوت الله» (مت ١٩:٢٢)
فكم هو ضرر رهيب للنفس البشرية الخالدة أن تنتهى بها الحياة بدون عطية الايمان .
ماأروع كلمة السيد له المجد «لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (مت ١٦:٢٦) .
ثانياً : فى كثرة الثروة تحول القلب اليها كسيد مخدوم ومعبود «لايقدر أحد أن يخدم سيدين . لاتقدرون أن تخدموا الله والمال» (مت٦:٢٤)
ثالثاً : أما الضرر الثالث فهو أن طريق المال محفوف بالمخاطر «وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ و شهوات كثيرة غبية ومضرة تغرّق الناس فى العطب والهلاك لأن محبة المال أصل لكل الشرور» (١تى ٦:٩) وهناك الأمثلة الرهيبة : بلعام — من قمة رؤىء تقدير الى مُفسد لشعب الله وتوقع عليه القضاء . عخان بن كرمى من وارث مع شعب الله الى مرجوم بالحجارة مع كل بيته . جيحزى .. يهوذا .. طابع الناس فى الأيام الأخيرة (٢تى ٣:٢) .

ع١٤ فى الأصل «... وإذا كان له ابن ليس له شيء بيده» عجباً ! بغتة تهلك تلك الثروة التى أنفق فيها صاحبها كل عمره ، حتى إذا كان له ابن أو بنين يتركهم بلا شيء فى يدهم . ربما كان الجهد كله لكي يوفر لهم ثروة فإذا بهذا الجهد ضاع مع الريح ولكن ماهو مؤلم أنه لم يترك لأولاده الطريق السليم — طريق الايمان والاتكال على الرب . ماأروع إعلان الكتاب «فى مخافة الرب ثقة شديدة ويكون لبنيه ملجأ»

(أم١٤:٢٦) ــ راجع مز٣٧:٢٥، ٢مل ٤ بخصوص عناية الرب بأولاد المؤمنن .

ع١٥، ١٦ الدرسْ الرهيب وهو دخول الانسان الى العالم عرياناً وخروجه عرياناً . فى الدقيقة الواحدة ٥٠٠ وفى الساعة ٣٠,٠٠٠ وفى اليوم الواحد ٧٢٠,٠٠٠ يرحلون الى الأبدية ويرن الصوت المحب فى أعماق القلب «ماذا يعطى الانسان فداءً عن نفسه» (مت ١٦:٢٦) . لكن إذا تقابل الانسان مع الفادى المخلص وارتمى عند قدميه ففى الحال تُغفر كل خطاياه ويلبس الحُلة الأولى التى هى الرب يسوع «وإن كنا لابسين ــ المسيح ــ لانوجد عراة» (٢كو٥:٣) .

ع١٧ بعدما هلكت الثروة التى كانت تتكله ومعبوده يقضى الانسان باقى أيام حياته فى حزن وغيظ لدرجة أن طعامه يأكله فى ظلام الحزن على الثروة الضائعة حتى تنتهى حياته . بينما المؤمنون «يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب» (أع٢:٤٦) لأنهم يقدمون الشكر للآب المحب المنعم الجواد قبل تناولهم الطعام . وماأروع المثال الذى تركه لنا الرب ، يتسلم الخبز فيشكر الآب ثم يكسر ويوزع بالبركة ، فإن الطعام «يقدس بكلمة الله والصلاة» (١تى٤) .

١٨ هوذا الذى رأيته أنا خيراً الذى هو حسن أن يأكل الانسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذى يتعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التى أعطاه الله اياها لأنه نصيبه . ١٩ ايضا كل انسان أعطاه الله غنى ومالاً وسلطه عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله . ٢٠ لأنه لايذكر أيام حياته كثيراً لأن الله ملهيه بفرح قلبه (ع١٨ــ٢٠) .

سليمان يقرر اختباراته من جهة المال والطعام الذى بين يدى الانسان :

أولاً هو عطية من الله وهذا حق جميل ينبغى أن يتقرر فى القلب عن صلاح الله «وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع١٤:١٧) .

ثانياً ــ إذا تأمل الانسان بتعقل وإخلاص أن كل مابين يديه هو فعلاً عطية من الله له مجاناً فالنتيجة الحتمية أنه لن يذكر كثيراً أيام حياته أو تعبه الذى تعبه ، وسيحسب الحساب الحقيقى أن التعب أمر حقيقى للانسان هنا على الأرض «بالتعب

تأكل منها كل أيام حياتك» (تك ٣:١٧) . إذا وصل الانسان الى هذه النتيجة فى ع٢٠ God answers الله يجيبه بفرح فى قلبه . وكم هو أعلى وأثبت ، الفرح الناتج من امتلاك الخبز الحقيقى «خبز الله النازل من السماء الواهب الحياة الأبدية للانسان» (يو٦:٥١) . .

هكذا أحبّ
الله
العالم
حتى بذل
إبنه الوحيد
لكى لا
يهلك كلّ
من يؤمن به

الأصحاح السادس

١ يوجد شر قد رأيته تحت الشمس وهو كثير بين الناس . ٢ رجل أعطاه الله غنى ومالاً وكرامة وليس لنفسه عوز من كل مايشتهيه ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه بل يأكله انسان غريب . هذا باطل ومصيبة رديئة (ع١، ٢)

المعنى الحرفى قائم وكما يقول الحكيم أنه كثير بين الناس وخاصة فى هذه الأيام ، فهناك من يكنزون الثروات الضخمة ويعيشون كفقراء يحرمون أنفسهم من التمتع بهذا الخير .

سبب آخر هو الافراط فى الأكل ينتج عنه أمراض فى الجسم تحرم الانسان من التمتع بهذه الخيرات ، فهو يرى كل الخير بعينيه وملكه ولكنه لايستطيع أن يتذوقه أو يتمتع به .

المعنى النبوى : نراه داخل دائرة المسيحية وقد تم فى اليهودية قبلها ــ الشعب الذى يُدعى عليه اسم الرب والمفروض أن يحمل لواء الشهادة للرب ، أودعه الله كل الغنى الحقيقى كما يقرر الرسول «إذاً ماهو فضل اليهودى وماهو نفع الختان ؟ كثيرٌ على كل وجه أما أولاً فلأنهم إستئمنوا على أقوال الله» (رو٣: ١، ٢) ، وهو ذات تقرير موسى فى تث ٤: ٦ «لأن ذلك ــ أى كلمة الله ــ حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن .. لأنه أى شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التى أنا واضع أمامكم اليوم» .

لكن بكل أسف غالبية الأمة فى كل أجيالها لم تقدّر هذا الغنى العجيب وهذه الجواهر المجيدة ، فاحتقروا كلمة الله وتم فيهم القول «هلك شعبى من عدم المعرفة» (هو٤: ٦) . لكن ماأروع النبوة ، كان هناك فى كل الأجيال أناس من خارج الأمة انكسرت قلوبهم أمام هذه الكلمة وهكذا قبلهم الله فى نعمته وتمتعوا بهذا الغنى الحقيقى .

وهو ذات تقرير إشعياء عن «أبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه ويحبوا اسم الرب» (اش٥٦:٦) وقد تم هذا القول في العهد القديم فى نعمان السرياني (٢مل٥) ، وأرملة صرفة صيداء (١مل١٧) . كما قرر الرب أمام اليهود فى مجمع الناصرة (لو٤) . لكنه سيتم مستقبلاً فى أسبوع الضيقة فى الشعوب الوثنية التى ستؤمن بالرب يسوع المسيح وترتبط به مع البقية التائبة من الأمة اليهودية .

وهذا بالضبط مايحدث فى داخل دائرة المسيحية حتى من الرياسات الدينية التى تحتقر كلمة الله ، فى الوقت الذى فيه يأتى الغريب من خارج دائرة المسيحية ويرتبطون بالرب ويحتملون الأهوال من أجل اسم المسيح الغالى .

بقيت كلمة «ولم يعطه الله استطاعة أن يأكل منه» — لماذا لم يعط الله الكثيرين من شعبه القديم وفى المسيحية الأسمية الآن ، إستطاعة على أن يأكلوا من ثروته الغنية فى كلمته ؟ السبب واحد هو عدم الانكسار أمام الرب والاتكال على طريق الأعمال الذى هو طريق قايين المرفوض والملعون .

ماأروع قائد المئة الأممى فى إتضاعه أمام الرب «ياسيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى لكن قُل كلمة فقط فيبرأ غلامى» (مت ٨:٨) ، وماأروع تلك المرأة الكنعانية الغريبة «نعم ياسيد والكلاب ايضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها» وماأمجد الإجابة من فم الرب نفسه «ياإمرأة عظيم إيمانك» (مت ١٥:٢٧،٢٨) .

٣ إن ولد إنسان مئة وعاش سنين كثيرة حتى تصير أيام سنيه كثيرة ولم تشبع نفسه من الخير وليس له ايضا دفن فأقول أن السقط خيرٌ منه . ٤ لأنه فى الباطل يجيء وفى الظلام يذهب واسمه يُغطى بالظلام . ٥ وايضا لم يرَ الشمس ولم يعلم فهذا له راحة أكثر من ذاك . ٦ وإن عاش ألف سنة مضاعفة ولم يرَ خيراً أليس الى موضع واحد يذهب الجميع (ع٣—٦) .

يفترض الحكيم كل ينابيع القوة البشرية تحت الشمس .

أولاً — عدداً خيالياً من البنين وهؤلاء كما قرر هو فى مزموره ١٢٧:٤ «كسهام بيد جبار هكذا أبناء الشبيبة . طوبى لمن ملأ جعبته منهم لايخزون بل يكلمون الأعداء فى

الباب» .

ثانياً — صحة وقوة جسدية تنتصر على الأمراض وهكذا يعيش سنين كثيرة حتى أنه ينسى أنه له يوم يُدفن فيه .مع توفر كل ذلك ولم تشبع نفسه من الخير فالسقط خير منه .

ماهو المقصود بالقول «لم تشبع نفسه من الخير فالسقط خير منه»؟ المقصود أن كل ينابيع الخير الزمنى مهما تهاطلت فهناك الصرخة : هل من مزيد لأن العين لاتشبع من النظر ومن يحب الثروة لايشبع من دخل . فأين إذاً الشبع الحقيقى والارتواء الحقيقى ؟ . «كل من يشرب من هذا الماء يعطش ايضا ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ينبع الى حياة أبدية» (يو ٤:١٣) . إذاً الخلاصة أن السقط الذى لم يرَ الشمس .. وليس له اسم هو خير من ذلك الجبار ! عجباً ، لأن السقط لم يُعطَ روحاً ونفساً خالدة فانتهى كيانه تماماً أما الذى اختبر كل مراحم القدير فى حياته ولم يتعرف به كالفادى والمخلص مأتعس أبديته بلا رجاء .

ع٦ له الوجه النبوى العجيب «وإن عاش إنسان ألف سنة مضاعفة» — أصل الأمة اليهودية هو ابراهيم وقد بقيت هذه الأمة فى ارتباط اسمى بالرب ٢٠٠٠ عام أى ألف سنة مضاعفة لأن من ابراهيم الى تجسد الرب ٢٠٠٠ عام .

والملحوظة المذهلة التى يختم بها هذا العدد «أليس الى موضع واحد يذهب الجميع» عجباً ! مَنْ هم الذين سينضمون الى الأمة اليهودية ليشتركوا معها فى مصيرها التعس الأبدى ؟ إنها المسيحية الأسمية . وهذا مانراه واضحاً فى نبوة زكريا ص ٥ حيث نجد إمرأتين جالستين فى وسط الأيفة أى غارقتين فى المكاسب الزمنية والتجارة ، وأخيراً رفعتا الأيفة وطارتا الى أرض شنعار مقر الوثنية لأن المسيحيين بالاسم واليهود الرافضين التوبة جميعاً سيغرقون فى عبادة الوحش ويسجدون لسمته .

٧ كل تعب الانسان لفمه ومع ذلك فالنفس لاتمتلىء . ٨ لأنه ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل ماذا للفقير العارف السلوك أمام الأحياء (ع٧،٨) .

بسقوط الانسان أصبحت الرغبات الجسدية هى المحرك لكل تعبه ، وشهوة الأكل هى واحدة منها . لكن التقرير الذى يملأ الكتاب كله ، أن نفس الانسان لا شبع لها .

لقد وصف الرسول غير التائبين فى (فى٣) أن «إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم» والمعلمين الكذبة فى رو١٦:١٧ «لايخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم» . لذلك تحذير الرب لأحبائه «لذلك أقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس» (مت ٦:٢٥) . ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل ماذا للفقير (المصاب بصدمات) العارف السلوك أمام الأحياء (الذى يستخدم حكمته البشرية وكأنه صامد أمام الصدمات ويعرف كيف يشق طريقه أمام الناس الأحياء غير المصابين نظيره .

الكتاب المقدس لاينكر أن هناك فى العالم حكماء لهم حكمتهم البشرية التى لها وزنها فى نظر البشر بل وحتى أمام ملوك العالم ولكن أمام أمور الله ظهرت غباوتهم «حكماء مشيرى فرعون مشورتهم بهيمية» (إش ١٩:١٢) وهنا سليمان يقرر أنه أمام هذا الأمر المحزن «كل تعب الانسان لفمه» ليس هناك فضل للحكيم على الجاهل إطلاقاً وحتى الظاهر أمام الناس أنه صامد أمام التجارب وكأنه عارف السلوك أى مملوء حكمة ، لكنه ايضا غارق فى هذا الأمر المحزن ـ كل تعب الانسان لفمه .

٩ رؤية العيون خيرٌ من شهوة النفس هذا ايضا باطل وقبض الريح (ع٩) .

رؤية العيون أى استمرار الانسان هنا فى الحياة أفضل من رحيل النفس (حسب أدق المخطوطات) ـــ أى أن مغادرة هذه الحياة هو خسارة مرعبة جداً لاتدانيها أية خسارة ؛ والموت يسمى ملك الأهوال (أى١٨) لأن الانسان يفقد كل مايمتع به نفسه هنا ويذهب الى الحرمان والعذاب الرهيب كما صرخ ذلك الغنى «لأنى معذب فى هذا اللهيب» . وكما قرر الرب فى ٧ مناسبات «هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» ـــ ماأبعد الفرق بين الانسان كابن آدم تحت الشمس وبين المغسول بدم الحمل الذى حصل على الولادة من فوق ، فرحيل نفسه من هذا العالم خسارة لمن حوله لكن بالنسبة له فهو ربح

عظيم «لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح . لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (فى ١:٢١،٢٣)

١٠ الذى كان فقد دُعى منذ زمان وهو معروف أنه إنسان (آدم) ولايستطيع أن يخاصم من هو أقوى منه (ع١٠) .

أمام القصة المحزنة التى تدمى القلب وهى رحيل نفس من هذا العالم بلا رجاء .يعود الحكيم الى الأصل لتلك القصة المؤسفة وهو آدم وكيف سقط فى الخصام مع خالقه وكانت النتيجة حكم الموت (رو٥:١٢) ومن تلك اللحظة بدأت معاملات النعمة من جديد لرد آدم وكل نسله ، كل من يقبل المصالحة مع الأقوى منه الذى هو الخالق المبارك ـــ «الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم» (٢كو٥:١٩) .

١١ لأنه توجد أمور كثيرة تزيد الباطل فأى فضل للانسان (ع١١) .

إذ تأمل الحكيم فى الموقف المحزن أن آدم ومن ورائه كل نسله سقطوا فى الوضع المحزن وهو مخاصمة من هو أقوى منه أى القدير ، وإذ تنتهى الحياة على هذا الوضع ماأرهب الكارثة أبدياً . فهل اتضع الانسان أمام الله وارتمى عليه فى انسحاق قلبى صادق ؟ بكل أسف زاد الباطل بسبب اختراع القلب البشرى لأمور كثيرة يقصد بها أن يرضى الله وكلها تدور حول مدرسة قايين ـــ مدرسة الأعمال .

الله يقدم (الروشتة) الالهية الوحيدة المجيدة لشفاء الانسان فى الحال والى الأبد ، وهى دم حمل الله المطهر من كل خطية والذى فيه لنا الفداء وغفران خطايانا الى الأبد فإذا بالمعلمين الكذبة يرفضونها ويقدمون أموراً كثيرة تزيد الباطل «كم عقاباً أشر تظنون يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قُدس به دنساً وازدرى بروح النعمة» (عب ١٠:٢٨)

١٢ لأنه من يعرف ماهو خيرٌ للانسان فى الحياة مدة أيام حياة باطله التى يقضيها كالظل لأنه من يخبر الانسان بما يكون بعده تحت الشمس (ع١٢) .

يختم الحكيم بحثه بهذين السؤالين :

ـــ مَنْ يعرّفنا الخير للانسان فى أيام حياته ؟

ـــ مَنْ يخبرنا بمستقبل الأرض بعد انتهاء يوم الانسان ؟

ولايوجد مرجع أمين صادق إلا مستودع الحق الوحيد فى العالم الذى هو كلمة الله «الى الأبد يارب كلمتك مثبتة فى السموات» (مز١١٩ :٨٩) . أين الخير للانسان فى الحياة مدة أيام باطله ؟ إسمع مايقوله الكتاب «تعرّف به ـــ صالح نفسك معه الآن ـــ واسلم (وكن فى سلام) بذلك يأتيك خير» (أى ٢٢:٢٢)

وهتاف المؤمن فى مزمور راعى الخراف العظيم (مز٢٣) «الرب راعىّ فلا يعوزنى شىء ... إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتى» . وذلك بعد مزمور الراعى الصالح الذى بذل نفسه لأجل الخراف ، فيقول فى مز٢٢ :١٦ «ثقبوا يدىّ ورجلىّ» .

ماأبعد الفارق بين حياة فيها دم الحَمَل وتحت راية مخافة اسمه وتوقيره قبل كل كلمة وكل تصرف . هنا وهنا فقط الخير وكل الخير ، وهنا فقط الخروج من تحت الراية الرهيبة «أيام حياة باطله» . ماأروع التقرير المقدم من ابن الله عن إرساليته المجيدة «وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لم أفضل» (يو١٠ :١٠) ـــ أفضل أى حياة متزايدة نامية فى كل كمالات الله ومثمرة لمجد الله ، ولاننسى الوصف الآخر لحياة الانسان الباطلة فى كلام سليمان «كالظل» فما أقصرها ، وتوصف بالظل وبالبخار(يع٤) وبالغبار (مز٩٠) وبأنها أشبار (مز٣٩) .

ليت كل نفس تتعقل وتصرخ من الأعماق «عرّفنى يارب نهايتى ومقدار أيامى كم هى فأعلم كيف أنا زائل» (مز٣٩ :٤) .

ـــ نأتى الى السؤال الثانى : «لأنه من يخبر الانسان بما يكون بعده تحت الشمس ـــ فعلاً هو أمر يستحق التأمل والتفكير العميق لأن يوم الانسان لابد أن ينتهى وتاريخ الكرة الأرضية المملوء بالظلام والقسوة والأنانية سوف ينتهى ، لكن حاشا للقدير أن ينهى تاريخ كوكبنا هذا بهذا المشهد الردىء ، لأنه لايمكن أن يخيب قصد واحد من مقاصده الكريمة ، فقد كان فى قصده أنه بإنسان يملك هو على الخليقة وتظهر كل

كمالاته واستقاماته الأزلية فهل فشل آدم الأول يُرجع الله عن قصده ؟ حاشا . هوذا آدم الأخير ، الانسان الثانى ، الرب من السماء يحقق ذلك القصد وقد تيقنت قلوب المفديين من بدء التاريخ أن ذاك الأزلى القدير سيأتى كنسل المرأة ويسحق الشيطان تماماً ويملك على الأرض .

ماأروع تقرير أيوب منذ ٤٠٠٠ سنة «أما أنا فقد علمت أن وليى حى والآخر على الأرض يقوم» (أى١٩ :٢٥) أى هو الحى الأزلى الأبدى هو فادىّ وهو بذاته سوف يقوم على الأرض أى يملك عليها . «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض . فى ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده» (زك ١٤ :٩)

الأصحاح السابع

١ الصيت خير من الدهن الطيب ويوم الممات خيرٌ من يوم الولادة (ع١)

بين هذا الفصل والفصول السابقة مسافة كبيرة وكأنها وقفة طويلة هادئة فى تفكير الحكيم . فى هذه المرة يبحث عن الخير فى الحياة عن طريق السلوك بحسب الحكمة ، متحولاً عن الولائم وحياة التنعم الى ماهو عكس ذلك ، ومع أنه لم يكن لسليمان نور العهد الجديد المبارك غير أن هناك فى ذهنه كانت سبع مفارقات ، استطاع بنور إلهى سطع فى ذهنه أن يميز الأفضل بينها :

١ ــ الصيت خير من الدهن الطيب (ع١)
٢ ــ يوم الممات خيرٌ من يوم الولادة (ع١)
٣ ــ الذهاب الى بيت النوح خيرٌ من الذهاب الى بيت الوليمة (ع٢)
٤ ــ الحزن خيرٌ من الضحك (ع٣)
٥ ــ سمع الانتهار من الحكيم خيرٌ من سمع غناء الجهال (ع٥)
٦ ــ نهاية أمر خيرٌ من بدايته (ع٨)
٧ ــ طول الروح خيرٌ من تكبر الروح (ع٨)

«الصيت خير من الدهن الطيّب» :

الدهن الطيّب نوع من التنعمات عند الأغنياء كما نسمع فى تقرير عاموس «الشاربون كؤوس الخمر والذين يدّهنون بأفضل الأطياب» (عا٦:٦) . والجامعة يقرر هنا أن الصيت أو الأسم الحسن أو الذكرى العطرة فى حياة الانسان أفضل من أعلى تنعمات الغنى ، كما يقرر ايضا فى أمثاله «الصيت أفضل من الغنى العظيم» (أم٢٢:١)

وعندما نرجع للكتاب نجد أن واحداً فقط هو الذى يقف فريداً فى كل الوحى هو الذى كل حياته فى كل تفصيلاتها تم فيه القول «لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى» (نش ١:٣) لذلك لاتوجد حياة حقيقية عطرة إلا بالارتباط العميق به .

إن كان التعلق بداود والتكريس له كمسيح الرب هو الذى جعل لأبطاله أمثال أبيشاى وبناياهو اسماً عظيماً ، فبالأولى كثيراً التكريس للمسيح الحقيقى ابن داود ورب داود . ماالذى جعل صيتاً حسناً وذكراً أبدياً للكثيرين ، ممن كان يمكن أن يطويهم النسيان الى الأبد ؟ .

فهل كنا نسمع شيئاً عن الأثنى عشر رسولاً لولا أنهم تركوا كل شيء وتبعوا يسوع ؟ وأى فخر أو مجد كان يمكن أن يتصل باسم شاول المضطهد اليهودى الطرسوسى بالقياس الى إسم بولس رسول ربنا يسوع المسيح الى الأمم . والمؤمن حصل فى شخص المسيح على كتابة إسمه فى سفر حياة الخروف قبل تأسيس العالم ، لكنه ايضا قد وجد فى المسيح ، الحياة الجديدة العطرة ، الصيت الحقيقى الحسن . وعلى قدر ماتزداد شركتنا معه يزداد تمتعنا بهذه الحياة العطرة عملياً «ونحن ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف .. نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣:١٨) . وواضح المباينة بين المدرستين ، الصيت الحسن حياة المسيح فى البذل والتضحية فى تواضع ووداعة وإنكار ذات لإسعاد الآخرين ، ومدرسة الدهن الطيّب — مدرسة التنعم والتمتع وتعظيم الذات .

«يوم الممات خير من يوم الولادة»

ماأروع كتاب الله . لو جاء هذا التقرير بمفرده كأنه عام لكل البشر لكان

لغزاً غامضاً ، لكن شكراً لله لأجل دقة الوحى وكماله المطلق وروعة ترتيب أفكاره ، إذ قبل هذا النص الخاص بيوم الممات ، يأتى الاعلان عن المدرستين ، مدرسة البذل والتضحية بكل شيء لأجل إسعاد الآخرين ، ومدرسة الأنانية والتمتع بكل شيء ولا حساب للآخرين . طوبى للنفس التى انتقلت بالايمان بدم المسيح الى مدرسة الصيت الحسن ــ مدرسة حياة المسيح بالحصول على فداء المسيح وطبيعته أى الخليقة الجديدة وهكذا إذ يأتى يوم الممات يكون التقرير الصادق «لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (فى١:٢٣)

٢ الذهاب الى بيت النوح خير من الذهاب الى بيت الوليمة لأن ذاك نهاية كل انسان والحى يضعه فى قلبه (ع٢)

المعنى الحرفى قائم إذ أن الولائم والأفراح التى من إنشاء العالم وبحسب مبادئه ، تعمل فى القلب البشرى عمل الخمر ــ حتى وإن كانت خالية من الخمر ، فيزداد غرور الانسان بمباهج العالم ويتعمق أكثر فى حلم هذا الزمان القصير ، وينسى ويتجاهل أكثر نهايته وأنه ضيف على الأرض . وحياته على الأرض ظل وبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل . وهذا هو قصد العدو وقد فطن رجل الله المبارك أيوب الى هذه الحقيقة وأدرك أن ولائم أولاده السبعة ربما تكون فعلت فعلها الشرير فى إبعاد قلوبهم عن الله وعن الأبدية لذلك كان يبكر فى الصباح ويقدم محرقة لأجل كل واحد منهم لتقديسهم لذلك يقرر سليمان هنا أن الذهاب الى بيت النوح خير من الذهاب الى بيت الوليمة لأن بيت النوح سيذكّر الانسان بنهايته المباغتة والحى هو الذى يستفيق ويضع هذه الحقيقة فى قلبه لذلك ماأروع طلبة موسى «إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة» (مز٩٠:١٢) وماأروع طلبة داود «عرّفنى يارب نهايتى ومقدار أيامى كم هى فأعلم كيف أنا زائل . هوذا جعلت أيامى أشباراً وعمري كلا شيء قدامك إنما نفخة كل انسان قد جعل» (مز٣٩:٤) . لكن هناك المعنى الروحى العميق .

بيت الوليمة هو العالم فى أغانيه وطربه وملذاته وتمتعاته كما ابتدأه قايين ، أما بيت النوح هو مايبدو ظاهرياً فى حياة أولاد الله «كحزانى ونحن دائماً فرحون»

(٢كو٦:١٠) ففى انفصال القديسين عن ملاهى هذا العالم من سينما وأغان ..الخ كأن بيتهم بيت النوح لكن فى الحقيقة لهم فى القلب الفرح الذى لاينطق به ومجيد (١بط ١:٨)

٣ الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يُصلح القلب (ع٣)

أى أنه لا علاج للقلب إن لم يكن هناك حزن حقيقى على حالتى كإنسان تجاهلت خالقى واحتقرت محبته ، إذ أتذكر ذلك وأندم عليه من القلب ، حينئذ تبدأ التوبة تدخل الى قلبى وهذا هو معنى تطويب الرب للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، وتطويبه للحزانى لأنهم يتعزون ، وفى كل مشهد توبة نجد حزناً عميقاً (راجع مشهد الابن الضال — لو١٥ ، والمرأة الخاطئة — لو٧ ، وإخوة يوسف — تك ٤٢—٤٤) .

وماأجمل التعبير «يُصلح القلب» أى يطيب القلب ويذهب عنه الهم .

قد محا عند الصليب دم ربى إثمى　　وعن القلب الكئيب زال كل الهم

إذ تتبدد الشكوك والمخاوف من المستقبل القريب والمستقبل الأبدى ، إذ تتيقن النفس أنها بإلتصاقها بيسوع الرب المخلص تصبح فى صحبة يسوع عمانوئيل — الله معنا .

فهو معى كل الطريق نعم وأعطانى سلام

ينقذنى من كل ضيق مخلصاً الى التمام

٤ قلب الحكماء فى بيت النوح وقلب الجهال فى بيت الفرح (ع٤)

هنا نرى نتيجة مباركة أخرى للتوبة إذ بها ينتقل الانسان الى فريق الحكماء «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء» (١كو١:٣٠) ولهذا نرى خمس عذارى حكيمات يمثلن دائرة التائبين المؤمنين الحقيقيين ، وخمس عذارى جاهلات يمثلن الارتباط الأسمى بالمسيح بدون توبة . أما التعبير بأن قلب الحكماء أى المؤمنين فى بيت النوح أى فى دائرة البكاء المقدس على حالة غير التائبين المحيطين بهم الذين فى جهل يندفعون الى ملذات العالم (بيت الفرح)

٥ سمع الانتهار من الحكيم خير للانسان من سمع غناء الجهال (ع٥)

وهذه نتيجة مباركة ثالثة ، إذ أن النفس التى حصلت على التوبة تُسرع الى ماينقى القلب والفكر لكى تستقيم الخطوات وتسير فى ذات خطوات الرب المجيدة (١بط ٢:٢١) . ولن تجد النفس من ينتهر الاعوجاج فيها بإخلاص وإستقامة إلا الكتاب المقدس ، هذا هو الحكيم الحقيقى لأنه كتاب الله — الحكمة الأزلى . صحيح أنه كتاب مكتوب على ورق لكن ماأبعد الفارق بينه وبين كل كتب العالم .

ماأروع تسجيل الروح القدس عن الكتاب كما لو كان شخصاً **يقول ويرى ويغلق** .

أولاً : الكتاب **يقول** أو «ماذا يقول الكتاب» فهو كتاب يُقرأ لكن ماأروع صوته (عب ٤:١٢، ار٢٣:٢٣، إش ٥٥:٨) هل يوجد كتاب له هذا الصوت عبر آلاف السنين والآن مترجم الى ١٨٠٠ لغة .

وهذا التعبير يأتى ١٤ مرة فى العهد الجديد * . وبهذا الخصوص ماأعجب القول «يقول الكتاب لفرعون إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أُظهر فيك قوتى» (رو٩:١٧، خر٩:١٦) . هذا قبل كتابة الكتاب المقدس وقد دين لأنه لم ينتبه ، فكم بالحرى بعد كتابة الكتاب ، هل يوجد كتاب يتكلم قبل أن يُكتب ؟ نعم لأن الروح القدس أى الله الأزلى هو الكاتب الحقيقى للكتاب وهو الذى أوحى بكل كلمة لكتبة الوحى .

ثانياً : الكتاب **يرى** عجباً ! «والكتاب إذ سبق **فرأى** أن الله بالايمان يبرر الأمم سبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم» (غلا٣:٨) .

ثالثاً : الكتاب **يغلق** «لكن الكتاب **أغلق** على الكل تحت الخطية» (غلا٣:٢٢) ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون ، كذلك لاننسى المعنى الحرفى وهو بركة قبول التوبيخ من شخص حكيم «ليضربنى الصديق فرحمة وليوبخنى فزيت للرأس . لايأبى رأسى» (مزمور١٤١:٥) .

— خير للانسان من سمع غناء الجهال :

---

* مر١٥:٢٨، يو٧:٣٨،٤٢، ١٩:٢٤،٣٧، رو٤:٣، ٩:١٧، ١٠:١١ ، ١١:٢، غل٣:٨، ٤:٣٠، ١تى ٥:١٨، يع٢:٢٣، ٤:٥ .

أولاً . من هو نبع هذه الأغانى ؟ أليس هو عدو الله وعدو النفوس .
ثانياً . ماهو غرضه إلا أن يثير الشهوات الكامنة فى الطبيعة الساقطة المولود بها الانسان .
ثالثاً . ماهى النتيجة .. أليس لكى يخدع النفوس بأن يقدم لها فرحاً زائفاً وهكذا تتجاهل وتعمى تماماً عن الأبدية التعيسة المؤكدة .

٦ لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال . هذا ايضا باطل (ع٦)

الشوك تحت القدر يُحدث أولاً ناراً سريعاً ماتخمد ولاتنجح فى مهمتها . أى أن هذه الأغانى لن تنجح فى إشباع النفوس وتظل الشهوات كامنة .
ثانياً ، يُحدث صوت قرقعة عالية ويتحول فى النهاية الى رماد ـــ وهذا مايحدث فى ضحك وليمة الأشرار وأغانيهم (راجع وليمة بيلشاصر فى سفر دانيال ص ٥ ، ووليمة هيرودس فى أع١٢).

٧ لأن الظلم يحمّق الحكيم والعطية تفسد القلب (ع٧) .

تحذير لأولاد الله من عنوانين كبيرين موجودين فى العالم : **الظلم** وهو ناتج من أنانية الانسان ومحبته لذاته لذلك ينبغى أن تخلو حياة القديس من الظلم للآخرين فى أية صورة .

وإذ يقع عليه ظلم ينبغى أن يتشبه بسيده الذى إذ ظُلم لم يفتح فاه وكان يسلم لمن يقضى بعدل ، لذلك إذا خرج المؤمن عن هذا المثال الكامل ـــ ربنا يسوع المسيح ـــ الموضوع أمام كل المفديين ، وهو احتمال الظلم بشكر وصبر ، فحينئذ لابد أن تظهر حماقة فى رد المؤمن على أى ظلم يقع عليه .
أما الأمر الثانى وهو **العطية أى الرشوة** التى تفسد القلب ، فينبغى أن يمتلىء قلب المؤمن بالتعفف الذى عاش فيه السيد المعبود كل لحظة من حياته الكريمة ، وهكذا يتحاشى المؤمن الرشوة المقدمة له ، ولايقدم رشوة ، فلا ينزل مستوى سلوك المؤمن الى مستوى أهل العالم المملوء بالفساد .

٨ نهاية أمر خير من بدايته . طول الروح خير من تكبر الروح (ع٨)

هنا درس بالغ الأهمية للقديسين ، درس فى الاحتمال والانتظار والصبر ، فقد يبدو أمر فى بدايته مؤلماً موجعاً ولكن فى النهاية تظهر نتائجه المباركة المفرحة والحكمة الالهية التى قصدها الله منه . وواضح أن هذا دائماً صحيح لأولاد الله لأنهم من لحظة التوبة قد أُخرجوا من تحت سلطان الشيطان والعالم والخطية . وعلى صفحات الوحى الدروس الجميلة التى توضح هذه الحقيقة بالنسبة لأولاد الله ، ففى قصة يوسف أو استير أو الثلاثة فتية أو دانيال ، كل منهم يهتف «نهاية أمر خير من بدايته» وهكذا يهتف الرسول «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو٨:٢٨) لكن فوق الكل ذاك الذى أتى الى المذود ثم عاش حياة الاحتقار والمقاومة ثم تقدم الى الصليب ، لكن فى النهاية قمة المجد عن يمين العظمة فى الأعالى .

ــ «طول الروح خير من تكبر الروح»

طول الروح هو بطء الغضب أى الروح الوديع وهو أحد الكمالات الالهية ، لذلك يقرر الروح القدس عنه أنه كثير الثمن (١بط ٣:٤) وله بركات كثيرة :

أولاً ــ « بطىء الغضب كثير الفهم وقصير الروح معلّى الحمق» (أم١٤:٢٩) .

ثانياً ــ صانع سلام إذ له نعمة خاصة وحكمة وترو وبذلك يستطيع أن يضع بلساناً على الجروح وهكذا يقود كل الأطراف الى السلام «الرجل الغضوب يهيج الخصومة وبطىء الغضب يسكن الخصام» (أم١٥:١٨)

ثالثاً ــ الهدوء والثبات فى العواصف «البطىء الغضب خير من الجبار ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة» (أم١٦:٣٢) .

٩ لاتسرع بروحك الى الغضب لأن الغضب يستقر فى حضن الجهال (ع٩)

أى أن نتائج الغضب من خصام وأمور مُرّة وكلمات جارحة تستقر فى حضن السريع الغضب . ولاننسى أن الوداعة وبطء الغضب مرتبطان تماماً بالتواضع بل هما توأم ولا نجده إلا فى ذاك الذى قال تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب .

١٠ لا تقُل لماذا كانت الأيام الأولى خيراً من هذه لأنه ليس عن حكمة تسأل عن هذا (ع١٠)

هذا اعتراض فى شكل تساؤل مبعثه التذمر على أعمال العناية الالهية التى ترتب

وتدبر كل شيء بحكمة فائقة ، ومعنى هذا التساؤل أن هناك ظلماً فى التوزيع الالهى إذ أوجدنا فى أيام أقسى وأشد من أيام أجدادنا ، وهذا لايدل إلا على الجهل لأن العالم منذ القديم له هذه الصفة «العالم الحاضر الشرير» (غلا١:٥) وأنه «موضوع فى الشرير» (١يو٥:٢٠) .

بكل تأكيد العالم ينحدر اقتصادياً واجتماعياً وأدبياً . وقد أُعلن فى الصحف العالمية أن عام ١٩٨٥ هو أردأ عام بالنسبة لكل التاريخ الحديث فيما سبقه من أعوام من جهة حوادث خطف الطائرات والسفن وحوادث السطو والقتل المرعبة ، لكن لاننسى أبداً الوجه المنير الذى لايراه إلا أولاد الله فى اجتماعاتهم باسم الرب والنهضات الانتعاشية فى كثير من بلاد العالم .

١١ الحكمة صالحة مثل الميراث بل أفضل لناظرى الشمس . ١٢ لأن الذى فى ظل الحكمة هو فى ظل الفضة وفضل المعرفة هو أن الحكمة تحيى أصحابها (ع١١،١٢)

مباينة بين الحكمة والثروة كظل للأحياء الذين يعيشون تحت الشمس ، فكما أن الميراث أو الفضة ظل أو وقاء تحمى أصحابها من الفقر المادى والاحتياج الى ضرورات الزمن . هكذا الحكمة والمعرفة لكنهما ظل ووقاء أسمى وأعظم ، والمفتاح لهذه الأفضلية فى كلمة حلوة وهى «تحيى أصحابها» . فالفضة قد تحمى أصحابها من الفقر المادى لكنها تترك من تحت ظلها فقراء روحياً بل أمواتاً منفصلين عن الله أدبياً وينتظرهم الموت الثانى فى النار الأبدية بلا رجاء . ماأروعها مباينة وماأروعه تحليلاً لأفضلية الحكمة كظل مجيد محيي ، لذلك نسمع الحكمة الأزلى له المجد يقول «أنا الحكمة أنا الفهم ... من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من الرب ومن يخطىء عنى يضر نفسه . كل مبغضى يحبون الموت» (أم٨:١٢ــ٣٦)

١٣ أنظر عمل الله لأنه من يقدر على تقويم ماقد عوّجه ١٤ فى يوم الخير كن بخير وفى يوم الشر اعتبر ان الله جعل هذا مع ذاك لكى لايجد الانسان شيئاً بعده (ع١٣،١٤)

تأمل بفكر متواضع وتسليم كامل لحكمة الله المنزهة . هناك أمور كثيرة فى الطبيعة لانستطيع كشف غوامضها . قد نرى ربوعاً جميلة تحدثنا محاسنها ومنافعها عن

محبة الله ، وإذا بعاصفة من عنده تهب على تلك الربوع فتكتسحها ، ولا تخلف وراءها سوى الخراب . وهنا يحار العقل ويتوقف ، لكن اليقين الكامل فى محبة الله وحكمته يُسرع الى التسليم والانتظار لفهم حكمته السامية ولا يمر وقت طويل حتى نشاهد هذه البقعة التى صارت خراباً ، يتسلمها أحد رجال الأعمال ويقيم عليها مبنى عظيماً يشمل مدرسة وملجأ للأطفال ! .

ياالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ماأبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء .

ويصل الحكيم الى الخلاصة فى ع١٤ ، فى يوم الخير اشكر الرب بالتسبيح له وفى يوم الشر اعتبر أى استحضر نفسك أمام الرب لكى يعطيك حكمة لتفهم قصده المبارك وهو ذات مايقصده يعقوب «أعلى أحد بينكم مشقات فليصل . أمسرور أحد فليرتل» (يع٥:١٣) . ويختم تأمله بالحكمة : إن الله جعل هذا مع ذاك ، أى إنه فى حكمته العالية جعل حياة الانسان مزيجاً من الأمور الحلوة والمُرّة ، والقصد من ذلك لكى لايجد الانسان شيئاً بعده ، بمعنى أنه لايضع رجاءه فى الأيام القادمة وماتحتويه من خير ونجاح . فطالما الأمور تحت الشمس لابد أن الأيام تحتوى الأثنين معاً ــ الحلو والمُرّ ، مايفرح ومايجعل الدموع تسيل ولهذا نسمع التحذير «الرجاء المماطل يمرض القلب» (أم١٣:١٢) . لكن هناك رجاء أفضل بما لايقاس ، جعل بولس وهو يجتاز أقسى الأيام يهتف «فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا» (رو٨:٣٧) ويقرر الرسول يوحنا «وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر» (١يو٣:٣) .

١٥ قد رأيت الكل فى أيام بطلى قد يكون بار يبيد فى بره وقد يكون شرير يطول فى شره (١٥)

طالما هناك التأمل فيما تحت الشمس فهى أيام باطلة ، وقد توضح فى فصول سابقة المباينة الشاسعة بين أيام سليمان وبين أيام الرسول بولس العظيمة الثمر لمجد سيده ، والسبب أن نظر بولس وقلبه وحواسه ، الكل يهتف لذاك الذى فوق الشمس .

فى هذه الأعداد من ع١٠ يتعرض الحكيم للأمور العويصة التى واجهها تحت الشمس . ففى ع١٠ تعرّض لتدهور حالة العالم وموقف أولاد الله وهو التسليم لحكمة

ومحبة السيد والتأمل فى الوجه المنير ، ثم فى ١٣، ١٤ تعرّض لمشكلة أصعب وهى سياسة الله العميقة التى تبدو للجاهل كأنها معوجة . أما هنا فى ع١٥ يتعرّض لمشكلة صعب تفسيرها بحسب الذهن الطبيعى . فالبار الذى له الوعد بطول الأيام على الأرض والغنى والراحة (راجع مز١٢٨) قد يسمح الرب بإنهاء حياته فى ريعان شبابه ، كما حدث لهابيل ونابوت وأوريا ويوشيا ،وكانت لإلهنا حكمة سامية فى كل واحد منهم فى أخذه مبكراً . ففى هابيل ليظهر من بداءة التاريخ البشرى على الأرض ماهو الطابع للمدرستين والعائلتين الموجودتين على الأرض بعد السقوط . ففى هابيل مدرسة الايمان والاحتماء فى دم الحمل وتظهر فى من احتموا فى دم الحمل إستعـــدادهم لاحتمال الألم حتى الموت لأن لهم اكليل الحياة . أما المدرسة الأخرى — مدرسة قايين ، وهى مدرسة الأعمال واحتقار الذبيحة كالطريق الوحيد للاقتراب الى الله وفيهم تظهر شراسة الشيطان وقسوته لدرجة سفك دم البرىء .

أما فى نابوت فهناك درس آخر وهو أن مدرسة الايمان والاحتماء فى دم الحمل ليس فقط طابعها الوداعة واحتمال الألم حتى الموت كما ظهر فى هابيل ، لكن فى نابوت يظهر عنصر آخر مجيد ، وهو التمسك بالحق وعدم التفريط فيه ولو أدى هذا الى إنهاء الحياة لأجل الحق . وقد كان أمام نابوت إغراء بثمن غال لقطعة الحقل وكان أمامه التهديد بوحشية إيزابل الشريرة المفترسة لكنه وضع نفسه فى كفه لأجل حق كتابى خاص بميراث آبائه المعين له من الله .

أما فى أوريا الحثى فهناك الدرس الثالث وهو أن مدرسة الايمان والاحتماء فى الدم تدوس الرغبات الجسدية وترى أن مجد الله فى المعركة مع العدو ينبغى أن يكون له الاعتبار الأول . وسر قتل أوريا أنه رفض أن يدخل الى بيته لأن قلبه مرتبط بالمعركة القائمة بين الرايتين ، راية مجد الله وراية العدو ، ولم يحتمل أن يكون لجسده أى تمتع طالما هذه المعركة لم تنته بعد .

كلمة عن هذا القديس العظيم الذى من أصل أممى (بنى حث) لكنه ارتبط بشعب الرب وأصبح ضابطاً من القواد الثلاثين فى جيش داود ، وواضح من رده على

داود أنه يقدّر جلال تابوت الرب واسم الرب العظيم ورأى فى موازين تكريسه للرب أنه لايليق به أن يتمتع بلذاته الجسدية العادية طالما لم يتحقق الانتصار بعد فى المعركة .
هل نقدّر نحن التابوت الحقيقى وهل نقدّر المعركة الحقيقية بين الأسم الكريم وبين رئيس هذا العالم .

أما فى يوشيا فهناك الدرس الرابع وهو أن الرب سمح بإنهاء حياة هذا القديس العظيم لأن وقت القضاء على الأمة كان قد جاء وبعد وفاته بثلاثة أشهر بدأ القضاء بصعود ملك مصر ثم بعد ذلك وقع القضاء الكامل بواسطة نبوخذنصر البابلى أى أن الرب ضم حبيبه يوشيا من وجه الشر .

١٦ لا تكن باراً كثيراً ولا تكن حكيماً بزيادة لماذا تخرب نفسك . ١٧ لا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلاً لماذا تموت فى غير وقتك ؟ . ١٨ حسن أن تتمسك بهذا وايضا أن لاترخى يدك عن ذاك لأن متقى الله يخرج منهما كليهما (ع١٦ـــ١٨)

واضح من أسفار كثيرة من الكتاب أن هناك براً عملياً فى العهد القديم بحسب النور المعطى لهم من الله وكثيرون ساروا فيه باستقامة قلب لإرضاء الله إلههم ومحبوبهم أمثال نوح وابراهيم وأيوب ، ولكن الحقيقة تنكشف فى العهد الجديد أن هناك براً إلهياً مُعطى من الله على أساس دم المسيح «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء بر الله بالايمان بيسوع المسيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق» (رو٣: ٢١ـــ٢٣)..

أى أن الأتقياء فى العهد القديم ، أعطاهم الله فى نعمته الولادة من فوق أى أصبحوا أولاد الله ، وهكذا أعطاهم بره أى أصبحوا أبراراً أمام الله ، وكل هذا على حساب دم المسيح الذى كان فى حكم المستقبل بالنسبة لهم ، لكن أمام الله من الأزل والى الأبد ، وهذا واضح فى رو٣: ٢٥،٢٦ حيث تتكرر كلمة «لإظهار بره» أى أن ذبيحة المسيح هى التى تُظهر استقامة الله ، وحساب الله لهم أنهم أبرار هو ذات حسابه لنا ، فهم ونحن على ذات القاعدة التى هى ذبيحة ربنا يسوع المسيح ، وهذا يوضح لنا أن البر الالهى لايمكن التلاعب فيه لا زيادة ولا نقصاناً، الغنى لايكثر والفقير

لايقلل» (خر ٣٠:١٥) ـــ «إيماناً مساوياً لنا» (٢بط ١:١) لأن أساسه موت وقيامة ربنا يسوع المسيح ، وذبيحته لها كمالها المطلق أمام الله .

وهنا يتضح قصد سليمان عن البر الكثير ـــ أى مظاهر البر الذاتى الكاذب مثل التظاهر بالصوم أمام الناس دون ولادة من الله وشركة حقيقية مع الله فى الصلاة مع الصوم ودراسة كلمة الله والشركة مع القديسين فى السجود والعبادة ، وهذا كله يؤدى الى حياة القداسة والبر العملى .

أما المظاهر فتخرب نفس الانسان ويظن أنه «أقدس من الآخرين» وأنه «حكيم بزيادة» فى عينى نفسه ، وهذا ماغرق فيه الفريسيون إذ حسبوا أنفسهم أصحاب الحكمة وحدهم عن طريق الصيامات والتدقيق فى العشور (لو١٨) .

ـــ «لا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلاً لماذا تموت فى غير وقتك ؟»

لايقصد الاعتدال فى الشر والجهل ، لكن الى أن يتجاوب قلبك مع نعمة الله التى تنتشلك من سلطان الظلمة ، إحذر من التوّرط فى الحماقات التى تقضى على حياتك فتموت فى غير وقتك . وهذا طبعاً كلام يوجه الى الانسان الخاطىء قبل الايمان .

ـــ «حسن أن تتمسك بهذا وايضا أن لاترخى يدك عن ذاك لأن متقى الله يخرج منهما كليهما» .

لنتذكر أن هذا مارآه سليمان فى أيام بطله (ع١٥) ألّا تكون باراً كثيراً ولا شريراً كثيراً . .

لكن ماأروع مقياس العهد الجديد للمولودين من الله «امتنعوا عن كل شبه شر» (١تس ٢٢:٥) ، «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية» (يع١٧:٤) ، «كل ماليس من الايمان فهو خطية» (رو٢٣:١٤)

١٩ الحكمة تقوّى الحكيم أكثر من عشرة مسلطين الذين هم فى المدينة (ع١٩)

فى ع١١،١٢ ذكر فضل الحكمة على الفضة ، وهنا يذكر فضلاً آخر ونعمة أخرى للحكمة وهى القوة التى لايعرف سرها العالم وينحنى أمامها متعجباً . وفى

التاريخ المقدس عينات لاتحصى ، وعلى سبيل المثال فى أيام مظلمة جداً كانت تسلط فى اسرائيل قوة غاشمة وهى آخاب ومعه كل الجبابرة أعوان ايزابل ، وفى هذا المشهد الغاشم «قال ايليا التشبى .. لآخاب حىّ هو الرب إله اسرائيل الذى وقفت أمامه أنه لايكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى» (١مل ١٧: ١،٢) .

كان من الممكن لايليا أن يوّصل هذه الرسالة لأى واحد من وكلاء آخاب ، لكن يُظهر الرب مدى القوة التى يمنحها لمن يقف أمامه ، وايضا لكى يصل الصوت الى قلب آخاب شخصياً ، لأن الله قبل أن يكون دياناً ، هو الله المحب الذى يريد أن ترجع النفس اليه . وهناك الثلاث فتيان أمام نبوخذنصر ، ومردخاى أمام هامان . ولكن فوق الكل باستمرار ، الانسان الثانى الرب من السماء . ماأروع القوة ، ماأروع الهدوء ، ماأروع الاتزان والوقار أمام الفريسيين المناقضين ، ماأروع شهادة المعمدان عنه «يأتى بعدى من هو أقوى منى» (مت ٣: ١١) ، وشهادة بطرس أمام كرنيليوس قائلاً : «يسوع المسيح هذا هو رب الكل . كيف مسحه اله بالروح القدس والقوة» (أع ١٠) .

وكم كانت قوته مذهلة أمام حنان وقيافا وبيلاطس ، لذلك شبع به رسله . ماأروع موقفهم «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» (أع٤: ٣٣) .

ماأروع الترتيب ، فالحكمة أولاً تعطى حياة لمن هو تحتها ، وإذ تصل الحياة الى النفس ، تحتاج طول الطريق الى القوة من ذات الحكمة التى أوجدت فيها ينبوع الحياة وواضح أن الحكمة هو أقنوم الابن الأزلى له المجد الذى قال «أنا الحكمة لى المشورة والرأى أنا الفهم لى القدرة .. من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من الرب ومن يخطىء عنى يضر نفسه» (أم٨: ١٢—٣٦) وهذه هى مدرسة المسيح ، الحياة أولاً لمن هم أموات ، ثم يأتى دور القوة «وعد الحياة التى فى يسوع المسيح .. فتقوَّ أنت ياابنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع» (٢تى ١: ١،٢: ١) ، «وأحيانا مع المسيح وأقامنا ... أخيراً ياإخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته» (أف ٢: ٥،٦: ١٠)

٢٠ لأنه لا إنسان صدّيق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطىء (ع ٢٠).

ماأروع دقة الكتاب المقدس :

أولاً لم يقُل لا إنسان صدّيق فى الأرض فقط ، لأن الله أمين لذاته واستحالة أن يترك نفسه بلا شاهد ، بل له شهود كثيرون هنا على الأرض ليشهد من خلال ضعفهم عن ذاته المجيدة . ظن ايليا فى غفلة أن الجميع تركوا عبادة الرب وأنه هو وحده الأمين للرب «وبقيت أنا وحدى» فجاءته الكلمة «قد أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل» (امل ١٩، رو١١:٤) . ماأروع الاجابة «**أبقيت لنفسى**» كما يقول ايضا «أنا أنا هو الماحى ذنوبك **لأجل نفسى**» (إش ٢٥:٤٣) أى أن الغفران والفداء الالهى وإن كانا بركة عظيمة لنا لكن هما أولاً لأجل ذات الله ليشهدا لكمال صفات الله .

ثانياً ــ لم يقُل «لا إنسان فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطىء» لأن عمل الصلاح استحالة مطلقة بالنسبة للانسان ابن آدم ، وتقرير الكتاب «ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز١٤، ٥٣ ؛رو٣:٢٣) وهذا التقرير يبدأ بهذا الوصف «الرب من السماء أشرف لينظر بنى البشر هل من فاهم طالب الله» فهو إذاً خاص ببنى البشر أولاد آدم أما أولاد الله فهم خليقة جديدة ، ومن هنا تأتى الإمكانية لعمل الصلاح «بالنعمة أنتم مخلصون بالايمان .. لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها» (أف ٢:٨،١٠)

ثالثاً ــ مايقرره الروح القدس إن هذا الصدّيق الذى صارت له النعمة أن يعمل الصلاح ، هو غير معصوم . وإن لم يكن فى حالة اليقظة فلابد من الزلل . لكن من الجهة الأخرى مع وجود هذه الزلات فى حياة المولود لكن استحالة أن يعيش فى الخطية «نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها» (رو٦)

٢١ ايضا لاتضع قلبك على كل الكلام الذى يُقال لئلا تسمع عبدك يسبك . ٢٢ لأن قلبك ايضا يعلم أنك أنت كذلك مراراً كثيرة سببت آخرين (ع٢١،٢٢) .

هنا وجه آخر من وجوه القوة التى تمنحها الحكمة لمن تحبها ، وهى الرفعة فوق كلام الناس وحكمهم حتى إن وصل الى السب ، لكن النظر مثبّت على حكم الرب

وإرضاء الرب «الآب لم يتركني وحدى لأنى فى كل حين أفعل مايرضيه» (يو٨:٢٩)
قال هذا له المجد فى وسط الكلمات القاسية الموجهة اليه .

ع٢٢ وجه آخر لهذه القوة التى تمنحها الحكمة ، وهو الاحتمال والصفح وإن كان عن طريق درس مُذِل لكنه لأزم فهو يذكرنى بزلات لسانى فى حق الآخرين فأتضع ولكن لنا فى نور العهد الجديد درس أسمى من هذا ، وهو حتمية الصفح : أولاً لأن هذه هى طبيعة إلهى الذى صيّرنى ابناً له (مت ٥:٤٥) ، ثانياً لقد سومحت بالكثير جداً أفلا أصفح عن القليل ؟ «محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم ايضا» (كو٣:١٣)

٢٣ كل هذا امتحنته بالحكمة قلت أكون حكيماً أما هى فبعيدة عنى . ٢٤ بعيدٌ ماكان بعيداً والعميق العميق من يجده . ٢٥ دُرت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون (ع٢٣ــ٢٥)

أولاً : لقد حصل سليمان على الكثير من الحكمة حتى أنه كتب ٣٠٠٠ مثل وكانت نشائده ألفاً وخمساً ، وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان الى الزوفا النابت فى الحائط ، وتكلم عن البهائم والدبيب والسمك ، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا كلام حكمته لأنه كان أحكم من جميع الناس ومن حكماء عصره ــ إيثان الأزراحى وهيمان وكلكول ودردع بنى ماحول . ولكنه أمام ذات الله وصفاته ومخططه العظيم وأعماله التى يتعامل بها مع الخليقة ، هاهو يعترف أنه كطفل ساذج ، والله فى حكمته بعيدٌ جداً وعميق عميق جداً . وهو ذات إقرار صوفر قبل سليمان بألف سنة «ألى عمق الله تتصل أم الى نهاية القدير تنتهى هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل» (أى ١١:٧) وهو ذات هتاف إشعياء بعد سليمان ب ٣٠٠ عام «من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان .. هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تُحسب . كل الأمم كلا شيء قدامه من العدم والباطل تُحسب عنده» (اش ٤٠:١٢،١٣) .

لكن اللهَ لم يترك هذه الفجوة فى الإعلان عن ذاته ، وهاهو له المجد متجسداً وواقفاً وسط الناس يخاطب الآب «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال . نعمْ أيها الآب لأنه هكذا صارت المسرة أمامك وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له . تعالوا الىّ ياجميع المتعبين .. وأنا أريحكم» (مت ١١:٢٥ــ٢٨) فليس هناك حل لهذه الفجوة إلا فى الإقبال اليه والإرتماء عند قدميه .

ع٢٥ بقيت نقطة هامة فى إقرار سليمان وهى بما أن الانسان تافه جداً أمام الله فى ذاته وحكمته وأمام عجلة أحكامه التى تدور بكل حكمة لتنفذ كل قصد من مقاصده الكريمة هنا على الأرض ، إذاً ماذا يكون الشر والحماقة التى يعيش فيها الانسان ، هذا ليس إلا جهالة وجنون . تصوّر إنساناً يضع نفسه فى طريق قطار سريع لكى يوقفه ، هذا قمة الغباء والجنون ، لكن العاقل يسأل أين المحطة التى يقف فيها القطار ليأخذ مكانه فيه فى إطمئنان وهدوء ، ويبتهج بكل وسائل الراحة فيه . هكذا قطار مقاصد الله وحكمته الأزلية يسحق ويدوس كل من يعترض هذه المقاصد ويريد أن يوقفها . ولكن العاقل يأتى الى المكان الوحيد حيث يأخذ نصيبه المفرح فى هذه المقاصد الالهية .

إن صليب ربنا يسوع المسيح هو المكان الوحيد الذى يتلاقى فيه الله القدوس مع الانسان الخاطىء لأننا فيه وجدنا المُصالح الذى يضع يده على الله ويده الأخرى على الانسان (أى ٩:٣٣) ووجدنا فيه الوسيط الوحيد بين الله والناس الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع (١تى ٢:٥) .

٢٦ فوجدت أمرّ من الموت المرأة التى هى شباك وقلبها أشراك ويداها قيود . الصالح قدام الله ينجو منها أما الخاطىء فيؤخذ بها (ع٢٦).

بعد أن وصف الخطية بأنها جهالة وجنون ، هاهو يصفها بإمرأة منحرفة (وهو ماأفاض فيه فى أمثال ٧) وهنا ثلاثى رهيب : شباك وأشراك وقيود . فالشبكة ظاهرة لكن بها طُعم يجذب السمك ، وهذا يشير الى المغريات الظاهرة وكل فنون الأزياء

لإظهار مفاتن الجسد التى تحرك الشهوات الكامنة فى القلب ، لكن الشرك تدبير مخفى لكى يسقط فيه الرجل غير المحصن أى غير الحكيم ، أما الأمر الثالث المرّ هو اليد تقبض من حديد على الفريسة .

وكم نشكر الله لأجل التقرير : أن الصالح قدام الله ينجو منها ، هذا هو المولود من الله المحصن بعرش النعمة باستمرار والمتسلح بالكلمة باستمرار «باطلاً تنصب الشبكة فى عينى كل ذى جناح» (أم١:١٧) وأجنحة المؤمن هى الشركة العميقة مع الرب فى الصلاة وكلمة الله ، والشركة مع القديسين وحضور الاجتماعات .

لكن من الناحية النبوية ، المرأة الشريرة فى الكتاب تشير الى المسيحية الأسمية ، والتى وصفها الرب بفمه الكريم فى رؤ٣:٢٠ بإيزابل التى تقول أنها نبية حتى تعلّم وتغوى عبيدى أن يزنوا ويأكلوا ماذبح للأوثان . كما يصورها ايضا فى رؤ١٧:١ بالزانية العظيمة الجالسة على مياه (شعوب) كثيرة ، كما يصورها ايضا فى رؤ١٨:٢ ببابل العظيمة التى هى مسكن للشياطين ومحرس لكل روح نجس .
وعجيب انطباق الثلاث صفات المُرّة عليها ، فهى شباك وقلبها أشراك ويداها قيود . فكم من اختراعات تقليدية طقسية مزيج من اليهودية والوثنية تملأ هذه الكنيسة الأسمية وهى بها تغوى النفوس للانحراف عن الرب يسوع المسيح الى عبادة الملائكة والقديسين . أما القيود فهى واضحة فى سلطان التقليد على ملايين النفوس وهنا يأتى التقرير : الصالح قدام الله ينجو منها أى الذى اغتسل بدم الحمل وأصبح فيه خليقة جديدة (رؤ١:٥ ، ٢كو٥:١٧)

٢٧ أنظر . هذا وجدته قال الجامعة واحدة فواحدة لأجد النتيجة . ٢٨ التى لم تزل نفسى تطلبها فلم أجدها . رجلاً واحداً بين ألف وجدت . أما إمرأة فبين كل أولئك لم أجد (ع٢٧،٢٨) .

كان المخرج الوحيد من شباك وأشراك وقيود المرأة الشريرة هو الرجل الصالح قدام الله ، ولهذا إجتهد الحكيم وذهب يفتش فى كل وادى عن هذا الرجل الصالح الذى يريح فؤاده ، فوجد فقط واحداً من ألف وهذا التعبير فى العبرى يُقصد به شخص لا مثيل له ولا يدانيه أحد . ويرد فى الوحى المقدس ثلاث مرات ، مرتين فى سفر أيوب

وهنا الثالثة .

فى أيوب ٣٣:٢٣، ٢٤ «إن وجد عنده مرسل وسيط واحد من ألف ... يتراءف عليه ويقول إطلقه عن الهبوط الى الحفرة قد وجدت فدية» فهو الوسيط الوحيد الفريد الذى يمكن أن يقف فى الثغرة بين الله والناس ، فى اللاهوت هو الابن الأزلى المعادل للآب ، فى الناسوت الانسان الكامل يسوع المسيح ، لذلك يقرر الآب المبارك أنه قد وجد الفدية التى تتناسب مع كل كمالات الله لذلك يمكنه أن يطلق الانسان المذنب فلا يهبطه الى الحفرة . ثم فى أى ٩:٢ «فكيف يتبرر الانسان عند الله إن شاء أن يحاجه فلا يجيبه عن واحد من ألف» أى استحالة مطلقة أن يبرر الانسان نفسه أمام الله «لكى يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله» (رو٣:١٩) .

فأين المخرج إذاً ؟ يأتى الهتاف «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء بر الله بالايمان بيسوع المسيح» (رو٣:٢١، ٢٢) . ففى الأولى ص٣٣ إستحالة الوساطة والفداء إلا به وفيه ، وفى الثانية ص٩ إستحالة التبرير إلا به — وفيه فى موته وقيامته المجيدة .

أما هنا فى تقرير سليمان فقد وجد الرجل الصالح الواحد من ألف ، الذى هو المخرَج الوحيد من المرأة الشريرة أى من الخطية . أليس هذا هو تقرير الكتاب كله «إسمه يسوع **لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**» ، «وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر .: قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص» (أع٤:١٢)أما إنه لم يجد إمرأة بين ألف ، يقصد لم يجد فى البشر لأن هذا هو تقرير الكتاب «ليس بار ولا واحد ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو٣:١١)

وقد ورد فى العهد القديم مرات كثيرة عن الأمة اليهودية أنها مشبهة بزوجة مرتبطة بالرب يهوه الله العظيم إله آبائهم ، أى أن سليمان بمنظار النبوة وجد فى الرجال رجلاً واحداً بين ألف الذى هو ربنا يسوع المسيح ، ولكنه عندما نظر الى الأمة كلها المرتبطة بالله كرجلها ، لم يجد أى صلاح ، وهو مايشير اليه أنه لم يجد إمرأة بين ألف .

ومايُقال عن الأمة يُقال عن كل البشر .

٢٩ أنظر . هذا وجدت فقط أن الله صنع الانسان مستقيماً أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة (ج٧: ٢٩)

يرجع بنا الحكيم بإملاء الوحى الى الجذور العميقة لكل ماتراه فى العالم من أمور محزنة ، فهو يرجع بنا أولاً الى المنظر الجميل الرائع «ورأى الله كل ماعمله فإذا هو حسن جداً» (تك١: ٣١) «أين كنت حين أسست الأرض .. عندما ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بنى الله» (أى ٣٨: ٤ــ٦) . والانسان نفسه الذى هو تاج الخليقة ، المخلوق العاقل المفكر الواعى الناطق «نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٦) .

ونرى فى تك ٢ المنظر الجميل حيث وقف آدم وعبرت أمامه كل البهائم والزحافات والطيور على أجناسها ، وهو بعقله الكبير يعطيها الأسماء بحكمة من فوق وبالارتباط مع الخالق . حقاً ماأروع التقرير «الله صنع الانسان مستقيماً» فمن أين إذاً جاءت تلك الطبيعة الساقطة الرهيبة ؟ واضح أنها من الشيطان نفسه ، لأن أبوينا الأولين بمعصية كلمة الله سقطا فى يد ابليس كسيد لهما فغرس فيهما ذات طبيعته ، وبالتالى فى كل الجنس البشرى «هأنذا بالاثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى» (مز ٥١: ٥) .

ليت الفلسفات المملوءة بالجهل تتعقل وترجع الى المكتوب وتتراجع عن هذه الخرافات وهى أن الانسان به كل بذار النبل والشرف والاستقامة ، لكن البيئة والمجتمع هما العلة فى ظهور كل هذه المفاسد والشرور . ماأدق تقرير الخالق إذ تجسد ووقف فى وسط الناس وأعلن أنه «من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل» (مر٧: ٢١) والخلاصة أن قلب الانسان الفاسد هو الذى خرّب المجتمع وليس المجتمع هو الجانى على الانسان لذلك مأبعد الفارق فى إتجاه العلاج ، فالاتجاه الأعوج كله لعلاج المجتمع ــ جمعيات منع المسكرات ومكافحة المخدرات ومنع انحراف الأحداث ، بينما العلاج الالهى

الصحيح هو استجابة الأنسان لجهاد الروح القدس للتوبة والايمان بفداء ربنا يسوع المسيح فيصبح فى المسيح خليقة جديدة ٢كو٥:١٧ .

أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة : وهى كل ماينتج من الطبيعة الساقطة .

أولاً فى **السلوك العملى** فى الكلام والتصرف كلها تنطق بالانحراف عن الله : خبث ومكر وكذب ورياء .

ثانياً فى **العبادة** باختراع طرق أرضية شيطانية ، بها يوهم الانسان نفسه أنه يرضى الله «يعلمون تعاليم هى وصايا الناس» (مت ١٥) ، «.. تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين» (١تى٤) .

ثالثاً **اختراعات الملذات والشهوات النجسة** «يحسبون تنعم يوم لذة» ، «يحملون الدف والعود .. ويقولون لله أبعد عنا وبمعرفة طرقك لانسّر» (أى٢١) لكن شكراً لله لأجل عمل النعمة فى المفديين فصارت طلبة قلوبنا :

أولاً : الرب نفسه «اطلبوا الرب مادام يوجد» (اش ٥٥:٦) ، «اطلبوا الرب فتحيوا» (عا٥:٦) وكانت هذه أول طلبة لنا إذ أنار هو قلوبنا .

ثانياً : نطلب «أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لنا» (مت ٦:٣٣)

ثالثاً : نطلب وجه الرب أى رضاه ويقين حضوره وعنايته وملء القلب بسلامه (مز٢٧:٨)

رابعاً : عندما نشعر بأن السلام من أى وجه سوف يتكدر نطلب السلام ونجّد فى أثره (١بط ٣) .

خامساً : منتظرين وطالبين سرعة مجىء يوم الرب (٢بط ٣:١٢) .

الأصحاح الثامن

١ من كالحكيم ومن يفهم تفسير أمر ؟ حكمة الانسان تنير وجهه وصلابة وجهه تتغير (ع١)

تتميز كتابات سليمان بإبراز الحق فى صورة أسئلة مباركة تجذب إنتباه القارىء السامع ، فمثلاً فى نشيد ٣،٦،٨ يشد انتباهنا بثلاثة أسئلة الى ثلاثة مناظر للعروس

لكى نرى إنعكاس عمل المسيح على الصليب عليها وإنطباع كمالاته فيها . وهنا يشد انتباهنا الى الانسان الذى بنعمة الله انتقل الى فريق الحكماء أمام الله ، أى امتلك الحكمة السماوية التى هى شخص المسيح نفسه تبارك اسمه الى الأبد . وقد وضح سليمان بإملاء الروح القدس فى أم٤:٧ «الحكمة هى الرأس فاقتن الحكمة وبكل مقتناك اقتن الفهم» — وهذا هو قصد الروح القدس أن الانسان بدون المسيح الحكمة الرأس هو بلا عقل «أما الرجل ففارغ عديم الفهم وكجحش الفرا يولد الانسان» (أى١١:١٢) .

وهنا يظهر سؤال سليمان على حقيقته : مَنْ بين البشر كالحكيم الذى امتلك المسيح الحكمة الأزلى ؟ وهذا هو امتياز العذارى الحكيمات على الجاهلات (مت ٢٥) . ومن يفهم تفسير أمر ، هذه أول بركة يتمتع بها الحكيم أنه يفهم أمور الله ، يفهم مقاصد الله الأزلية من جهتنا فى ربنا يسوع المسيح ، يفهم معاملات الله معه ، وماأروع ما يطلبه الرسول المغبوط للمؤمنين «لكل غنى يقين الفهم» (كو٢:٢) أى غنى فى الفهم مع يقين راسخ ، مثلاً قضية الخلاص التى تتخبط فيها الرياسات الدينية فى المسيحية الأسمية ، نراها واضحة تماماً لكل من احتمى فى دم الحمل وله اليقين أنه خلاص أبدى وكامل لأن حمل الله سدد للعدل الالهى كل مطالبيه .
البركة الثانية حكمة الانسان تنير وجهه ، ووجه الانسان المعبر عن شخصيته أى أن شخصية المؤمن أصبحت منيرة فى كل مجال يتحرك فيه «كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور فى الرب» (أف ٥:٨)
البركة الثالثة صلابة وجهه تتغير «أنزع قلب الحجر وأعطيكم قلب لحم» (حز٣٦:٢٦) أى الطبيعة الجديدة التى لها أحشاء المسيح وايضا الاستعداد القلبى للصفح .

٢ أنا أقول احفظ أمر الملك وذلك بسبب يمين الله (ع٢) .
٣ لاتعجل الى الذهاب من وجهه لاتقف فى أمر شاق لأنه يفعل كل ماشاء . ٤ حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان ومَنْ يقول له ماذا تفعل ؟

يوصى الجامعة بصفته الشخصية كحكيم مختبر ، أن يخضع الانسان في ولاء كامل وأمانة صادقة للملك «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله» (رو١٣:١،٢) .

ـــ «ولاتعجل الى الذهاب من وجهه» ـــ أى لاتفكر فى عصيانه أو التمرد عليه أو تدبير الشر له ، ولا تقف فى أمر شاق ـــ أى إحذر من أن تكون على صلة بمؤامرة ضده ، لأن هذا أمر صعب عليك فى نتائجه الوخيمة .

ـــ لأنه يفعل كل ماشاء ، وكلمته مقترنة بالسلطان ، وله القدرة على الانتقام ولايستطيع أحد أن يعارضه لأنه : مَنْ يقول له ماذا تفعل ؟ .

بقيت كلمة تحتاج الى توضيح «إحفظ أمر الملك وذلك بسبب يمين الله» . قد يفهم البعض أنه ذلك القسم الذى يؤديه الملك أمام ممثلى الأمة فى لحظة تتويجه وهذا حق وجميل ولكن عندما نرجع الى الأصل نجد أن القسم هنا يعود على الله ذاته تبارك اسمه المعبود . هل الله أقسم ؟ نعم ! هناك فى مزمور المسيا كالملك والكاهن «قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك .... أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق» (مز١١٠:١،٤) يالها إذاً من كلمة عجيبة ، إحفظ أمر الملك الذى أقسم له الله ، فكل مقاصد الله تدور حول تمجيد ذاته الكريمة بالارتباط ببركة الانسان ، وأقنوم الابن هو الذى إستطاع بتجسده وعمله الكفارى أن يحقق هذه المقاصد . وهذا مؤسس على وعد وقسم بين أقنوم الآب وأقنوم الابن . وهنا يأتى السؤال : ماهو أمر هذا الملك المجيد الذى أقسم له الله ؟ هذا الأمر يتجه الى دائرتين ، الأولى للخطاة «توبوا وآمنوا بالانجيل» (مر١:١٥) ـــ «كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به» (عب ٢:٣) ، والثانية للمؤمنين «إحملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيرى هيّن وحملى خفيف» (مت ١١:٢٩) .

٥ حافظ الوصية لايشعر بأمر شاق وقلب الحكيم يعرف الوقت والحكم (ع٥) .

حالتنا الروحية عملياً تحدد موقفنا من الكلمة ، إن سلكنا بالاستقامة فإننا نفرح بالكلمة ونرى فيها الطريق الوحيد المأمون فى هذا العالم ونراها مملوءة بالمواعيد المباركة لنا ، ولا نرى أية صعوبة فى تنفيذ كل مايأمر به الملك المعبود «أليست أقوالى صالحة نحو من يسلك بالاستقامة» (مى ٢:٧) ، «نصيبى الرب قلت لحفظ كلامك» (مز١١٩:٥٧) ولأهمية هذا الأمر بالنسبة لحالة أولاد الله فى هذا العالم نرى الرسول يوحنا يربط محبة الله بحفظ وصاياه ويجعلهما أمراً واحداً «فإن هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياه ووصاياه ليست ثقيلة» (١يو٥:٣) . لكن إذا كان السلوك معوجاً فالكلمة لاتُحتمل لأن الانسان سيرى فيها ضربات موجعة ونخسات منبهة لضميره . على سبيل المثال عندما طلب يهوشافاط نبياً للرب يتكلم بكلمة الرب كانت إجابة آخاب الشرير «بعدُ رجل واحد لسؤال الرب به ولكننى أبغضه لأنه لايتنبأ علىّ خيراً بل شراً كل أيامه وهو ميخا بن يمله» (٢أى١٨:٧) .

«وقلب الحكيم يعرف الوقت والحكم» : قلب المؤمن السالك باستقامة يستطيع أن يميز ماهو الوقت المناسب المعيّن من إلهه لأى أمر فى تفصيلات حياته ، لأن الحكمة عملياً هى وضع كل شيء فى مكانه الصحيح . والوقت له أهميته فى حياة المؤمن الأمين كما قال رجل الله داود «فى يدك آجالى» أى أوقاتى ، أى إننى أخاف على هذا الوقت المعطى لى من محبتك ، لذلك أسلمه لك لكى تحفظه أنت وترتبه لى بحسب حكمتك (مز٣١:٥) وهو ذات تحريض الرسول «مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (أف٥) أى الحرص عليه بكل اجتهاد ، وهو وقت لطلب الرب (هو١٠:١٢) أى نطلب وجهه باستمرار لكى يحكّمنا ويعلمنا .

ووقت عمل للرب (مز١١٩:١٢٦) أى وقت ليُعمل فيه للرب ، ووقت استيقاظ وسهر وصحو ولبس أسلحة النور (رو١٣ ، ١تس٥:٨) .

٦ لأن لكل أمر وقتاً وحكماً (ع٦)

لقد رسم الرب فى كامل صلاحه ومحبته وحكمته المخطط المبارك لحياة كل واحد من أولاد الله . فكان هناك وقت للآلام فى حياة يوسف ، لكن كان هناك وقت للرفعة

والمجد ، وكان هناك وقت لأليصابات لكي تظل عاقراً ، لكن جاء الوقت لاستجابة الطلبة . ليتنا ننتظر الرب فى ثقة وتواضع .

٦ لأن شر الانسان عظيم عليه for the misery of man ٧ لأنه لايعلم ماسيكون لأنه من يخبره كيف يكون (ع٦،٧)

لأن تعاسة الانسان كامنة فى أنه يرسم لنفسه ويرتب ويخطط وهو لايعلم كيف تصير الأمور فى المستقبل ، وكيف تكون الأوضاع . سر تعاسة هامان أنه رسم وخطط إنتقاماً عظيماً يتناسب مع غروره بعظمة مركزه ، وماأعجب الكلمة «لأنه لايعلم ماسيكون لأنه من يخبره كيف يكون» . كيف تغيّرت الأوضاع الى تعظيم مردخاى ، ويُلغى المرسوم ويُصلب هامان على ذات الخشبة التى أعدها لمردخاى . ليت كل انسان يتعقل أمام هذه الكلمة «لأنه لايعلم ماسيكون لأنه من يخبره كيف يكون» ، «لاتفتخر بالغد لأنك لاتعلم ماذا يلده يوم» (أم٢٧:١) «أنتم الذين لاتعرفون أمر الغد» (يع٤:١٤) .

٨ ليس لإنسان سلطان على الروح ليمسك الروح ولا سلطان على يوم الموت ولا تخلية فى الحرب ولا ينجى الشر أصحابه (ع٨) .

١ ــ ليس لأى إنسان سلطان أن يتحكم فى طريقة خروج روحه منه لأن هذا أمر محدد من الخالق جابل روح الانسان فى داخله . واحدٌ فقط رسم لنفسه الكريمة طريقة خروجه من هذا العالم :

أولاً له المجد رسم لنفسه طريقة خروج روحه من جسده القدوس (يو٣:١٤ ، يو١٢:٣٢، يو٨:٢٨، مر٢٢:١٦) هو النازل من فوق فى محبة مضحية ليعترض الانسان فى إندفاعه الجنونى وراء أمور العالم ، هو النازل من فوق ليصلب إرادة الطبيعة الساقطة (غل ٢:٢٠،٥:٢٤،٦:١٤) ، هو النازل من فوق ليموت وبالموت يُبطل الخطية وكل نتائجها (٢تى ١:١٠) عب٩:٢٦)

ثانياً رسم لنفسه طريقة خروج جسده وروحه معاً بالصعود من جبل السلام .

٢ ــ ليس لأى إنسان سلطان لكى يعرف متى يموت (يو١٢:٢٧، ١٣:١،١٧:١)

٣ ــ ليس لأى إنسان قدرة على الخروج من النزاع الذى فى العالم إلا بالركض السريع الى رئيس السلام (مز٣٤:١٤، ١بط ٣:١١) .

٤ ــ ليس لأى إنسان القدرة على الخروج من مآزق وضيقات هذا العالم إلا بالركض السريع الى صخر الدهور (أم١٨:١٠،أى٣٦:١٦،١٨:٥،١بط ٥:٩،١٠)

٩ كل هذا رأيته إذ وجهت قلبى لكل عمل عُمل تحت الشمس وقتا يتسلط إنسان على إنسان لضرر نفسه . ١٠ وهكذا رأيت أشراراً يُدفنون وضُموا والذين عملوا بالحق ذهبوا من مكان القدس ونُسوا فى المدينة . هذا ايضا باطل (ع٩،١٠) .

يتابع الحكيم التأمل فى مناظر الذات البشرية الساقطة المملوءة بالأنانية وهى مدرسة العدو وقد غرسها فى جنسنا الآدمى فى لحظة السقوط فى عدن ، وهى بضد مدرسة الله وطبيعته تماماً التى عنوانها المحبة الباذلة المضحية بكل شيء وأغلى شيء فى سبيل غبطة وراحة الآخرين «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣:١٦) .

لقد تأمل الحكيم فى ص٣:١٦ فى الظلم الغارق فيه العالم وهو نابع من الأنانية الساقطة كما سبقت الأشارة ، وخرج بالنتيجة أن الله لابد أن يقضى وينصف الصدّيق كما أنه يدين الشرير . وتأمل بعد ذلك ص٤:١ فى النتيجة الظاهرة فى العالم نتيجة الظلم وهى دموع لا حصر لها فى كل مكان . لكن هنا يصف نتيجة أخرى عجيبة للظلم وهى أن الظالم أولاً يضر نفسه . لقد ظُلم يوسف بقسوة من إخوته وكانت النتيجة تلك المواقف المفزعة التى تعرّضوا لها . لقد ظُلم دانيال من عظماء مملكة فارس وأدى ذلك الى أكبر كارثة لهم إذ أكلتهم الأسود هم وزوجاتهم وأولادهم . ماأرهب التقرير «يتسلط إنسان على إنسان لضرر نفسه» .

لكن النتيجة الثانية التى يصل اليها فى ع١٠ وهى أن الموت وضع يده على الفريقين ، الأشرار الظالمين والأبرار المظلومين ، وهكذا ضمهم النسيان فى هذا العالم وهذا ايضا باطل والمفتاح فى ع٩ «تحت الشمس» . ولكن عندما نرفع عيوننا الى ذاك الذى فوق الشمس ، النموذج الكامل دائماً ، نراه وقد عومل فى أرضنا بأقسى أنواع

الظلم مع أن كل خطوة منه كان فيها الاحسان للآلاف فى كل مجالات نتائج الخطية من عمى وشلل وبرص وحمى وموت ، وهو وحده الذى عمل بالحق بل جاء مملوءاً نعمة وحقاً وذهب من مكان القدس أى المحاكمة أمام حنّان وقيافا ، الممثلين للقدس فى ذلك الوقت ، الى الجلجثة خارج أورشليم . لكن هل حقاً نسى فى المدينة ؟ هذا ماقصده قواد الأمة . لكن هاهى لمحة من مجد قيامته جعلت الجنود الرومان حرّاس قبره كأموات ، فتأتيهم فضة الرشوة مع التقرير الكاذب «قولوا أن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام» (مت ٢٨:٤،١٢) .

هل نجح إذاً قصدهم ونُسى فى المدينة ؟ شكراً لله لأجل انتصاره المجيد «دُفع الىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ... إذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها» (مت ٢٨:١٨، مر١٦:١٥) .
وحتى الذين ارتبطوا به واحتموا فى دمه الكريم وعملوا بالحق فى حياتهم وحوكموا أمام المحاكم الدينية اليهودية (مكان القدس) وعاملهم العالم بذات الظلم وقبلوا أن تُبذل حياتهم لأجل اسمه ، هل نُسوا فى المدينة ؟

هاهو الانجيل فى كل مكان فى العالم يعلن رسائل بولس وبطرس ويوحنا وباقى كتبة الوحى فى العهد الجديد والاذاعات المقدسة التى تنادى على مدى ٢٤ ساعة تردد أسماءهم جميعاً تحت راية الأسم المجيد المعبود .

١١ لأن القضاء على العمل الردىء لايجرى سريعاً فلذلك قد امتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر (ع١١)

لماذا يتأنى الرب كثيراً على الأعمال الرديئة التى تصدر من الأشرار ، وهذا يملأهم بالتصلف والتمادى فى فعل الشر ؟ قد نجد الأجابة فى بعض إعلانات الوحى المقدس :
أولاً — الدينونة والقضاء على الانسان أمر غريب على قلب الله لأن طبيعته محبة . والأمر الطبيعى جريان هذه المحبة بفيض غامر نحو الانسان الكائن العاقل المفكر الذى يستطيع أن يميز هذه المحبة ويفرح بها «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً»

(١يو٤:١٩) .

لكن لأن الشر هو تطاول على حق الله وكرامته ، لذلك لابد من إدانته ، وهذا هو الأمر الغريب على طبيعة الله «يقوم الرب .. يسخط ليفعل فعله فعله الغريب وليعمل عمله عمله الغريب» (إش ٢٨:٢١) لذلك نرى مشاهد تأنى الله فى القضاء (لو١٣:٨،رو٢:٤،أى٣٣:١٤) .

ثانياً ــ طول أناة الله فى توقيع القضاء كانت سبباً فى خلاص كثيرين وتحولهم الى أوان عظيمة خدمت مقاصد الله كما يقرر الرسول المغبوط «لكننى لهذا رُحمت ليظهر يسوع المسيح فىّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية» (١تى ١:١٦) .

ثالثاً ــ طول أناة الله على الأشرار تخدم مقاصده فى جعل أولاده يلتصقون به أكثر فيزداد إيمانهم وتتعمق شركتهم وتنتقى حياتهم ، لأن عرش النعمة هو الملاذ الوحيد لهم من الأشرار .

رابعاً ــ طول أناة الله على الأشرار ليغرس فى قلب أولاده احتمالاً أكثر وصبراً أكمل بل يدربهم على الصلاة بلجاجة لأجل الأشرار والتأنى عليهم فى رجاء توبتهم وخلاصهم .

مثلاً فى وليمة أستير الأولى كان فى إمكانها القضاء على عدوها لكن ماأروع انتظارها لليوم التالى . كذلك بولس وسيلا جاءت الفرصة للقضاء على السجان عدوهم بذات سيفه بعيداً عنهم ، لكن أحشاء مخلصهم التى ملأت قلوبهم «لاتفعل بنفسك شيئاً رديئاً» (أع١٦:٢٨) .

١٢ الخاطىء وإن عمل شراً مئة مرة وطالت أيامه إلا إنى أعلم أنه يكون خير للمتقين الله الذي يخافون قدامه (ع١٢)

يفترض الحكيم أن حاكماً شريراً يجرى ظلماً مئة مرة ، وبناء على أناة الله المقررة فى ع١١ هكذا طالت أيام شره وطغيانه ، فلا يجب أن نخور ونفشل ، لأن الخير فى الله مضمون للذين يتقونه ويسلكون بالأمانة قدامه . وماأروع لغة اليقين «إنى أعلم» التى تملأ كل أوانى الوحى «إنى أعلم بمن آمنت» (٢تى١:١٢) ، «وأما أنا فقد علمت أن

ولبى حى» (أى ١٩ :١٥) وآخر أوانى الوحى يقرر ٧ مرات «نحن نعلم» (راجع رسالة يوحنا الأولى) .

١٣ ولايكون خير للشرير وكالظل لايطيل أيامه لأنه لايخشى قدام الله (ع١٣).

كما هو موقن بالخير لمتقى الله ، هو ايضا موقن أن الشرير لايحصد إلا الشر الذى زرعه ، لأنه هكذا أعلنت وأنذرت كلمة الله «الزارع إثماً يحصد بلية» (أم٢٢ :٨) «لاتضلوا الله لايُشمخ عليه فإن الذى يزرعه الانسان إياه يحصد ايضا» (غل٦ :٧) .

ـــ «وكالظل لايطيل أيامه» قرر فى ع١٢ أن الشرير قد تطول أيامه ؛ لكن أحياناً أخرى كثيرة يتهور الشرير ، ويكون هذا الشر ذاته سبباً فى القضاء عليه «الشرير تأخذه آثامه وبحبال خطيته يُمسك . إنه يموت من عدم الأدب وبفرط حمقه يتهور» (أم٥ :٢٢) ، «ولا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلاً لماذا تموت فى غير وقتك» (جا٧ :١٧) .

والخلاصة التى يريد أن يقررها فى ع١٢، ١٣ أنه لايوجد خير حقيقى للانسان إلا فى مخافة الرب أى التقوى التى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة (١تى٤ :٨).

١٤ يوجد باطل يجرى على الأرض أن يوجد صديقون يصيبهم مثل عمل الأشرار ويوجد أشرار يصيبهم مثل عمل الصديقين فقلت أن هذا ايضا باطل (ع١٤).

هذه ملاحظة متعبة وقد أتعبت أولاد الله فى كل العصور وهى المعاملات الالهية التى تبدو ظاهرياً بأنها متساوية ، وكأنها تحدث خبط عشواء . فالصديقون تنهال عليهم البلايا التى هى من تصيب الأشرار . ومن الناحية الأخرى تتهاطل العطايا على الأشرار ويكون النجاح رفيقهم . وهذا ماأتعب رجل الله آساف فى بادىء الأمر ـــ مز٧٣ :١ـــ١٠ ، ولم يكن هناك ملاذ يهرب اليه إلا مقادس الله ، حينئذ انكشفت الحقيقة «حقاً فى مزالق جعلتهم أسقطتهم الى البوار» ع١٧ ، الى أن وصل الى الخلاصة «كحلم عند التيقظ» وكأنه يقول لكل الأجيال الأمور المنظورة كلها حلم ، ومسكين وبائس من يبنى حياته على الأحلام .

أما بعدَ أن كُشفت له الحقيقة فى معية الرب وفيها كل الحكمة فى القيادة «برأيك تهدينى» وايضا اليقين الكامل فى وصوله للمجد «وبعد الى مجد تأخذنى» ــ ع٢٤ ، لهذا هتف فى ع٢٥ «من لى فى السماء (إلا أنت) ومعك لاأريد شيئاً فى الأرض» .

١٥ فمدحت الفرح لأنه ليس للانسان خير تحت الشمس إلا أن يأكل ويشرب ويفرح وهذا يبقى له فى تعبه مدة أيام حياته التى يعطيه الله إياها تحت الشمس (ع١٥).

ماأروع كلمة الله فى قيادتها للقلب الراغب فى الاستقامة ، أمام هذا المنظر المتعب ظاهرياً وفيه كأن الأوضاع مقلوبة إذ المصائب من نصيب القديس والنجاح والتوفيق فى جانب الأشرار .

لذلك نرى الحكيم يأخذ منطق العقل البشرى والتفكير الانسانى بدلاً من الدخول بهذه المشكلة الى الأقداس كما عمل آساف ، وهو ليس بالضرورة ماعمله سليمان نفسه كما كتب الرسول بولس اختبار رو٧ . فنرى فى كلام الحكيم ، طالما الأوضاع مقلوبة والأحداث بلا ضابط ، فالتفكير البشرى هو انتهاز كل فرصة للفرح والأكل والشرب طالما الكوارث فى طريقها الى القديس مهما دقق فى سلوكه ! فماذا كانت النتيجة ؟ نراه يقرر أمرين محزنين جداً :

أولاً :ــ

ع١٦ لما وجهت قلبى لأعرف الحكمة وأنظر العمل الذى عمل على الأرض وأنه نهاراً وليلاً لايرى النوم بعينيه .

أى أنه فقد كل سلام ، ونهاراً وليلاً لايرى النوم بعينيه ، يالها من حالة مُرّة للمولود من الله المقرر له السلام من رب السلام نفسه الذى يعطى أحباءه دائماً السلام من كل وجه (٢تس ٣:١٦) . وأما هذا الوضع فهو لأعداء الرب «لا سلام قال إلهى للأشرار» (إش ٤٨:٢٢)

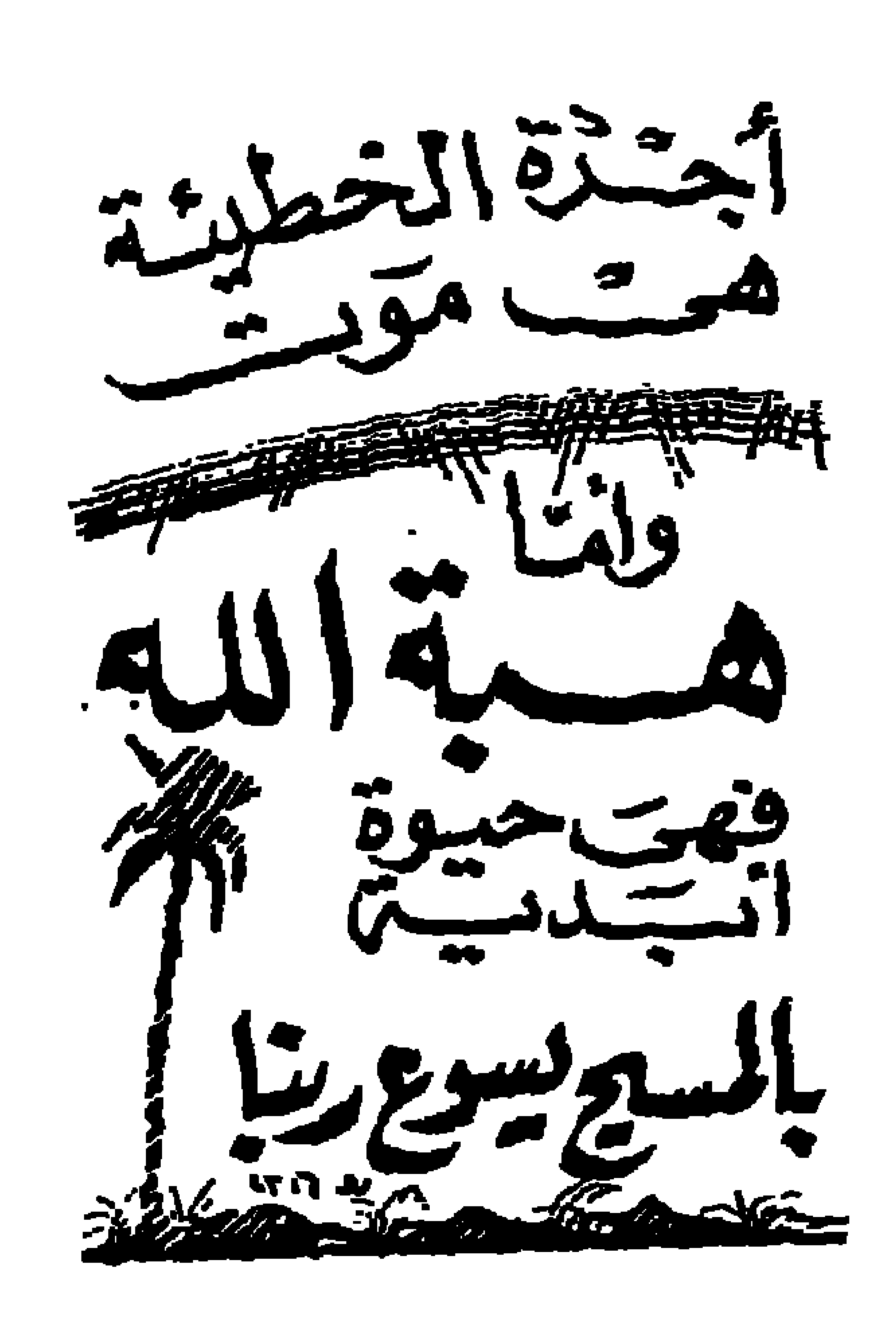
ثانياً :ــ

ع١٧ رأيت كل عمل الله أن الانسان لايستطيع أن يجد العمل الذى عمل تحت الشمس مهما

تعب الانسان فى الطلب فلا يجده والحكيم ايضا وإن قال بمعرفته لايقدر أن يجده .

أى أنه لن يجد الحل للمشكلة مهما طلب بحسب الحكمة الانسانية فتظل قائمة قاتمة تخيم على تفكيره تحجب عنه شمس محبة سيده ونور الشركة معه . ماأروع هتاف آساف إذ طرح المشكلة أمام الرب ، وماأروع هتاف الرسول المغبوط بولس «وفى هذه كلها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا» (رو٨:٣٧)





الأصحاح التاسع

١ لأن هذا كله جعلته فى قلبى وامتحنت هذا كله أن الصديقين والحكماء وأعمالهم فى يد الله . الانسان لايعلم حباً ولا بغضاً . الكل أمامهم (ع١).

يستمر الحكيم فى بحث المشكلة بكل فكره وبلا هوادة ليلاً ونهاراً ، وكيف تكون الأوضاع كأنها مقلوبة ، فالصديق يتألم والشرير ينجح . ويخرج من بحثه بنتيجة أكثر ظلاماً ، وهى أنه لايمكن معرفة من يحبه الله ومن يبغضه ! وكل هذا ثمر البحث الذاتى بدون طرح المشكلة أمام الرب فى الأقداس . وتأمل هادىء فى نور كلمة الله كان أنهى المشكلة فى الحال «حبيب الرب يسكن لديه آمناً يستره طول النهار وبين منكبيه يبيت» (تث ٣٣:١٢) ، «الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت» (مز٩١:١) ، «من هو الانسان الخائف الرب . يعلمه طريقاً يختاره . نفسه فى الخير تبيت نسله يرث الأرض» (مز٢٥:١٢،١٣) ، «ماأعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك وفعلته للمتكلين عليك تجاه بنى البشر» (مز٣١:١٩) .

لكن ماأروع الاعلان من فم ذاك الذى من عند الآب خرج وأتى الينا فداء لنا وبرأ وخلاصاً وحياة أبدية لايسود عليها الموت . إسمعه وهو يقول «كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا أثبتوا فى محبتى» (يو١٥:٩) ، ونسمعه فى صلاته العجيبة على مسمع من تلاميذه فى ليلة آلامه «كانوا لك وأعطيتهم لى .. وأحببتهم كما أحببتنى» (يو١٧:٦،٢٣) .

لهذا يكشف الرسول المغبوط أن كل مايتعرض له أولاد الله من ضيق وآلام ينبغى أن نتأمل ذاك القدوس الذى فى محبته احتمل مالايوصف سواء من البشر أو من العدل الالهى ، وفى الحال نهتف من أعماق القلب «نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو٨:٢٨) .

٢ الكل على ماللكل . حادثة واحدة للصديق وللشرير للصالح وللطاهر وللنجس للذابح وللذى لايذبح . كالصالح الخاطىء ، الحالف كالذى يخاف الحلف (ع٢) .

بداءة هذا العدد تُقرأ هكذا «كل الأشياء تأتى متشابهة على الكل» كان البحث فى العدد السابق صعوبة معرفة من هم محبوبو الله أمام الأحداث الجارية تحت الشمس . وقد توضح لنا أن محبة الله هى الوسادة المريحة لهم والمنعشة لنفوسهم وخاصة بعد ظهور ابن محبة الآب وإعلانه عن هذه المحبة ببذل حياته كفارة لأجلنا .

لكن فى هذا العدد ينتقل الحكيم الى نقطة أخرى وهى أنه أمام الأحداث الجارية للبشر تحت الشمس لايمكن إدراك ماهى بركة التعبد للرب والسجود له وتوقير اسمه . فالبلايا تأتى للصديق الصالح الطاهر الذى يقدم ذبائح للرب بكل مواظبة ، كما يوقر الاسم الكريم فيخشى الحلف . كما أنها تأتى للشرير النجس الذى لايعرف معنى الذبائح ويستهين باسم الرب ويحلف به باطلاً ! لكن كأى مشكلة لا حل لها إلا عند قدمى الرب فى الكلمة :

أولاً : هل مقاصد العدو التى تريد أن تبتلع القديس الأمين للرب وتمحوه عن الأرض ، هل يستطيع أن يُنزل بلاياه عليه بلا ضابط ؟ هل هذا القديس ألعوبة فى يد الفخاخ التى يخططها له العدو ؟ هل الظروف تلعب بالقديس ، تجذبه هنا وتطرحه هناك ؟ :

هلم بنا الى نور محضر الرب فى كلمته المنيرة «فتح كلامك ينير يعقّل الجهال» (مز١١٩: ١٣٠) . فنجد فى أقدم سفر فى الكتاب المقدس فى الأصحاح الأول من سفر أيوب ، نرى أيوب القديس الأمين للرب الرجل الكامل .. وبكل مواظبة كان يقدم المحرقات والذبائح للرب يومياً ، وإذا بالعدو يضع نظره عليه ، ويتحرّق تلهفاً لكى يمحوه عن الأرض . فيأتى الى الرب ، والرب يرى مافى قلبه «هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ؟» — فتأتى الشهادة من فم العدو «أليس أنك سيّجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية ؟ باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض ؟» (أى ١: ٨، ١٠) فجاءت الساعة التى فى فكر الرب ليتزكى فيها ايمان هذا القديس ، ويكون مثلاً للصبر فى كل الكتاب المقدس (يع٥: ١١) فيخرج الأمر من فم الرب بالحساب الدقيق «هوذا كل ماله فى يدك وإنما اليه لا تمد يدك» (أى ١: ١٢) .

ثانياً : هل فى مشهد فوضى العالم وتشويشه والسهام الطائشة الناتجة من تهور الانسان

هل هناك ضبط وحماية كافية للقديس من هذا التهور والجنون ؟ نعود الى المرجع الأمين فى ٢أخ ١٨:٢٨ ـــ حادثة عجيبة جداً ، القديس يهوشافاط ملك يهوذا فى غفلة يوجد فى ارتباط مع آخاب الشرير ملك اسرائيل . وفى خبث ومكر يدخل آخاب متنكراً الى المعركة ضد أرام فى الوقت الذى يطلب من يهوشافاط أن يدخل المعركة لابساً الثياب الملكية . وتصدر الأوامر من ملك أرام الى ضباطه وجنوده أن تكون غايتهم الوحيدة قتل ملك اسرائيل . وما كان فى ذهن آخاب تم فعلاً ، إذ التفوا حول يهوشافاط ظانين أنه هو ملك اسرائيل ، لكن ماأروع اليد القديرة الحافظة التى يستحيل أن يفلت الزمام منها ، إذ مكتوب أنه صرخ والرب ساعده وحولهم الله عنه .

لكن القصد الالهى لايقف عند هذا الحد ، فإذا بسهم طائش غير متعمد يقذفه أحد جنود أرام ! فمن يتحكم فى هذا السهم الطائش ؟ هنا ايضا يد القدير تتحكم ويُحمل الى مابين أوصال درع آخاب فى عمق تنكره . وذلك لكى تتم نبوة ايليا وهى أن الكلاب التى لحست دم نابوت القديس شهيد الحق ، هى ذاتها التى تلحس دم آخاب مهما تنكر وتحفظ لنفسه . حتى وإن جعل يهوشافاط هو الظاهر فى الصورة .

ماأمجد إلهنا «هو حكيم القلب وشديد القوة من تصلّب عليه فسلم» (أى٩:٤) لذلك يقرر المرنم «لاتخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار ولا من وبأ يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك . اليك لايقرب» (مز٩١:٥ـــ٨) إذاً لا مخططات العدو الموجهة حتماً ولا طيش الانسان وجنونه وتهوره ، يمكن أن يفلت من يد الرب . إذاً ليس العابد الملتصق بالرب كذاك المتجاهل إلهه ، ليس الذى يوقر الاسم الكريم ، كمن يستهزىء به «يذخر معونة للمستقيمين . هو مجن للسالكين بالكمال» (أم٢:٧)

٣ هذا أشر كل ماعُمل تحت الشمس أن حادثة واحدة للجميع وايضا قلب بنى البشر ملآن من الشر والحماقة فى قلبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون الى الأموات (ع٣).

ينتقل الحكيم الى أمر آخر مشترك لكل البشر وهو الموت . فى ع١، ٢ كان

تأمله فى البلايا والخسائر التى تصيب الكل قديسين وأشراراً وجعلته يتحير : أين هم محبوبو الله وماهى بركة مخافة الرب وعبادته ؟ ، لكن هنا يتأمل فى ذلك الحادث الذى ينهى حياة الكل وهو أمر مقرر لا محالة «وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو٥:١٢) «وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عب٩:٢٧)

ومع أنه أمر مقرر ويعترف به الكل ، لكن أشر مارآه الجامعة أن البشر بالاجماع يتجاهلونه ، وبكل وسيلة يبعدونه عن أذهانهم «الذين يتكلون على ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون باطنهم أن بيوتهم الى الأبد مساكنهم الى دور فدور» (مز٤٩:١١) . وكما قال ذلك الغنى «.. أقول لنفسى لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة» فجاءه الصوت «.. ياغبى هذه الليلة تُطلب نفسك منك» (لو١٢:١٦) . وهنا يأتى السؤال لماذا يتجاهل البشر هذه الحقيقة المقررة وتملأ المشهد بلا توقف ليلاً ونهاراً ؟ :

أولاً : لأن الموت له شوكة التى هى الخطية (١كو١٥:٥٦) وبدون الفداء الالهى والغفران تظل هذه الشوكة مزعجة مقلقة للانسان ، ولكن بتمتع النفس بالغفران على أساس الفداء يتغير الموقف ويصبح الموت خادماً للمؤمن «لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح» (فى ١:٢١ — قارن أى١٨:١٤،اش٤٨:٢٢ ، مع ٤٤:٢٢ ؛لو٢:٢٩؛١كو٣:٢٢) .

ثانياً : لأن الموت سيُنهى كل آماله ومخططاته وسعيه ورجاءه وأنشطته هنا على الأرض التى هى كل شيء له لأنه من الأرض ويسعى للأرض وكل رجائه فى الأرض .

ثالثاً : لأن الموت سيفقده كنزه العظيم الذى تعب فيه هنا على الأرض ، وهو الكنز الوحيد له لأنه لايعرف شيئاً عن كنوز السماء . فهو لايتصور أنه فى لحظة يفقد كل ماتعب فيه هنا ، كل ماجاهد لأجله ، كل ماعصر فيه ذهنه . لذلك تحذير الرب لأحبائه «لاتكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ... لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضا» (مت ٦:١٩).

٤ لأنه من يُستثنى . لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحى خيرٌ من الأسد الميت (ع٤) .

هنا ينبّر الحكيم على السبب الآخر الدافع للناس لكى يتجاهلوا حقيقة الموت وهو الرجاء الذى وضعه العدو أمام البشر فى الحياة هنا على الأرض ، فيعيش الانسان بعيداً عن المسيح وكل آماله منحصرة فى الأرض فيشبه الكلب الحى (الحيوان المكتوب عنه إنه يعود الى قيئه ـــ ٢بط ٢:٢٢) وهو فى نظر هؤلاء الناس خيرٌ من الأسد الميت ماأتعس هذا الرجاء ، فالكلب مهما عاش سيظل كما هو ، لن يتحول فى يوم من الأيام الى حمل طاهر يشق الظلف ويجتر (لا ١١) لكن إذ يظهر فى المشهد رئيس الحياة ورأس الخليقة الجديدة فإنه يهب للانسان الميت بالذنوب والخطايا المنفصل عن الله ، حياة أبدية ، ويعطيه طبيعة جديدة طاهرة مقدسة «خليقة جديدة فى المسيح يسوع» (٢كو٥:١٧) . وهكذا يتحول القلب الى الرجاء الحى ، الرجاء الصالح ، الرجاء المبارك .

٥ لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نُسى . ٦ ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد الى الأبد فى كل ماعُمل تحت الشمس (ع٥،٦) .

فى هذين العددين تتوضح دائرة الجهل تحت الشمس ، وهو ماذا بعد الموت .
وفى إعلان العهد القديم كان النور محدوداً بخصوص هذا الأمر :
أولاً : كانت أفكارهم أن الحمد والتسبيح للرب يتوقف بإنتهاء حياة الصديق «لأنه ليس فى الموت ذكرك (ذكر الرب) فى الهاوية فى القبر من يحمدك» (مز٦:٥) ، «ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى أرض السكوت» (مز١١٥:١٧)
ثانياً : يتوقف رجاؤهم فى أمانة الله «لأن الهاوية لاتحمدك ، الموت لايسبحك لايرجو الهابطون الى الجب أمانتك» (اش ٣٨:١٨)
ثالثاً : يتوقف تفكيرهم (جا٩:٥)
رابعاً : تموت عواطفهم (جا٩:٦)

لكن بظهور الله فى الجسد جاء النور الكامل بأن الموت أو الرقاد خاص بالجسد وليس بالروح والنفس وهذا يعنى الوجود الواعى وعياً كاملاً بعد الموت لنفوس

الأبرار فى الفردوس ولنفوس الأشرار فى العذاب فى هاوية الجحيم . وهذه الحقيقة توضحت تماماً بفم الرب نفسه فى قصة الغنى ولعازر — لو١٦ :

أولاً : الملائكة حملت روح لعازر الى حضن ابراهيم .

ثانياً : تقرير ابراهيم أن لعازر يتعزى فى الوقت الذى فيه يتعذب الغنى .

ثالثاً : ابراهيم الذى رقد من آلاف السنين يتكلم بوعى كامل وفهم حقيقى لذات فكر الرب ومخططه الكريم معلناً :

١ — أنه لا علاج ولا تخفيف مطلقاً لحالة المرار التى يذهب اليها كل غير مولود من الله بعد الموت .

٢ — كما أنه لايمكن تكدير نفس القديس بعد رقاده بإرساله الى الجحيم ليرى ويسمع الأمور المرعبة هناك .

٣ — كما أنه لايمكن تكدير نفس المؤمن بإرساله الى العالم مرة أخرى .

٤ — وأن أعظم المعجزات ، قيامة ميت من الأموات ثم ذهابه للناس ليكرز لهم لن يخلّص واحداً بكرازته طالما الكتاب المقدس مرفوض .

ماأروع الكلمة «عندهم موسى والأنبياء» ، «من ازدرى بالكلمة يخرب نفسه» (أم١٣:١٣) — أى أنه لا وسيلة لخلاص الانسان الخلاص الأبدى قبل موته إلا بقبوله كلمة الله فى القلب «إذاً الايمان بالخبر والخبر بكلمة الله» (رو١٠:١٧) .

رابعاً : تصريح الرب فى لو٢٠:٢٤ أن ابراهيم واسحق ويعقوب أحياء عند الله أى أنهم بأرواحهم ونفوسهم فى وعى كامل أمام الله فى الفردوس .

خامساً : تصريح الرب بفمه الكريم للّص التائب أنه فى ذات اليوم سيكون معه فى الفردوس ، أى سيتمتع بوعى كامل بالمسيح فى الفردوس (لو٢٣:٤٣)

سادساً : تصريح الرسول «أننا نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب» (٢كو٥:٦) وايضا «لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح» (فى١:٢١) .

سابعاً : تصريح الرسول عن أرواح المؤمنين الذين رقدوا «أرواح أبرار مكملين» (عب ١٢:٢٣) أى فى كمال الادراك والوعى والتمتع .

٧ إذهب كُلْ خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيّب لأن الله منذ زمان قد رضى عملك (ع٧)

لكل تعليم قاعدة يرتكز عليها ، فتعليم الكتاب أن ترجع النفس للرب فيحررها من الغرق فى الشهوات وهكذا تحيا لإرضائه هو ، «ناموس الرب كامل يرد النفس (أى يحولها رجوعاً للرب)» (مز١٩:٧) «لتكن أقوال فمى وفكر قلبى مرضية أمامك يارب صخرتى ووليى» (مز١٩:١٤) — هذه هى قاعدة تعليم الوحى المقدس ، لكن هناك المدرسة الأخرى الرهيبة ، وهى ماأشار اليها الحكيم ع٤،٥،٦ التى تنادى بأن كل الرجاء فقط فى هذه الحياة . إذ أن الموتى يفقدون الوعى والادراك ، وهو كما توضح جهل عميق . فمن هذا المنطلق وبناء على هذا التعليم الخبيث يسجل الحكيم بإملاء الروح القدس ، ماينبع من هذه المدرسة ، وهو السعى وراء الملذات فى هذه الحياة ، وواضح فيها هذه العناصر الرهيبة :

أولاً — كل خبزك بفرح ، التمتع بالأطعمة والفرح بها ، بينما تعليم الكتاب أننا نتقبل الأطعمة من معطيها لنا — إلهنا المحب — بالشكر له «وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع١٤:١٧) ، «وليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس» (رو١٤:١٧) .

ثانياً — إشرب خمرك بقلب طيب ، لا غرابة فى هذا التحريض ، طالما المدرسة هى التمتع بأكبر قسط من الملذات فى هذه الحياة ، لأنها هى كل شىء للانسان ولا تفكير فى الأبدية ، والروح والنفس ذاهبتان الى إنعدام الوعى والادراك !! لكن لنسمع تعليم الكتاب من جهة الخمر :

(١) «ليس للملوك .. أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر لئلا يشربوا وينسوا المفروض ويغيّروا حجة كل بنى المذلة» (أم٣١:٤) . إذاً الكتاب المقدس يعلم بأن الخمر تفقد الانسان الوعى الصحيح بما تفرضه مبادىء كلمة الحق المستقيمة بل تجعله ينساها تماماً وهكذا تكون الأحكام معوّجة .

(٢) «لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن إزمهرار العينين للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج» .

(أم٢٣: ٢٩) .

وهنا نرى تحذير الكتاب من ١٢ نتيجة مدمرة ، نفسية جسدية عقلية اجتماعية وأول دائرة هي البيت نفسه ، وكل هذا تحت راية عبودية مُرّة .

(٣) «المخترعون لأنفسهم آلات الغناء ... الشاربون كؤوس الخمر والذين يدّهنون بأفضل الأطياب .. لذلك الآن يُسبون في أول المسبيين» (عا٦: ٥،٦)

(٤) في شريعة النذير — سفر العدد ص٦ — النهي القطعي لكل عنب مخمر من البذرة الى القشرة ، وواضح أن كل مؤمن حقيقي في العهد الجديد هو نذير لله ربنا يسوع المسيح «بذل نفسه لأجلنا ليطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة» (تي٢: ١٣) .

(٥) «لاتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل إمتلئوا بالروح» (أف٥: ١٩) .

ثالثاً — لأن الله منذ زمان قد رضي عملك

هذا هو كمال الضلال ، وأول مخترع لمدرسة إرضاء الله بعمل يعمله الانسان ، هو أول قاتل أي قايين الذي رفض الاحتماء في دم الذبيحة ، مع أنه كان واضحاً أن الذبيحة هي الطريق الوحيد المرسوم من الله لكي يُقبل الانسان أمام الله — «إن أحسنت أفلا رفع وإن لم تحسن فعند الباب خطية (ذبيحة خطية) رابضة ..» (تك ٤: ٧) .

وواضح من سفر اللاويين أن مقدم الذبيحة ليس أمامه إلا تلك الكلمة الحلوة «للرضى عنه» ، وماأجمل تكرار الكلمة «رائحة سرور للرب» ١٧ مرة في السبعة أصحاحات الأولى من السفر . وأول عمل لنوح بعد خروجه من الفلك «قدم محرقات ... فتنسم الرب رائحة الرضى» (تك٨: ٢١) .

ثم النور الواضح في العهد الجديد «ليس من أعمال كي لايفتخر أحد» (أف٢: ٩) «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا» (تي٣: ٧) .

٨ لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن (ع٨).

واضح الارتباط : فالثياب البيضاء تعبر عن الفرح والدهن هو أطايب العالم

ومعها التلذذ بالرغبات الجسدية . لكن ماأروع المعنى للمؤمن الروحى الذى ينظر الى رئيس الايمان ، فهو يحرص باستمرار على نقاوة السلوك وطهارة الخطوات والكلمات المعبر عنها بالثياب البيضاء وكل هذا نابع من الامتلاء بالروح القدس ، ولا يعوز رأسك الدهن .

٩ إلتذ عيشاً مع المرأة التى أحببتها كل أيام حياة باطلك التى أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك لأن ذلك نصيبك فى الحياة وفى تعبك الذى تتعبه تحت الشمس (ع٩)

لازالت القاعدة الموضحة فى ع٤،٥،٦ هى التى تملأ المشهد ، فلا وعى ولا إدراك ولا تمتع إلا فى هذه الحياة . لكن شكراً للرب لأجل توضيح الكتاب والرّد على هذه الجهالات «برأيك تهدينى وبعد الى مجد تأخذنى» أى أن رجاءه هو التمتع بالمجد فى السماء مع إلهه «من لى فى السماء ومعك لاأريد شيئاً فى الأرض» لذلك يحتقر ويدوس كل تمتعات الأرض (مز٧٣:٢٤،٢٥).

«**لأن ذلك نصيبك فى الحياة**» — «ماأعمق الجهل ، لكن ماأسمى تقرير أولاد الله «نصيبى هو الرب قالت نفسى من أجل ذلك أرجوه» (مرا ٣:٢٤) ، «نصيبى الرب قلت لحفظ كلامك» (مز١١٩:٥٧)، «اختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها» (لو١٠:٤٢) .

١٠ كل ماتجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب اليها (ع١٠)

ياله من تهور ناتج من ظلام الرؤيا بل إنعدامها ، فالأبدية عند قدمى صاحبها (اش ٩:٧، ار١٠:١٠) هى الرؤيا الوحيدة الصادقة المنيرة لذلك نقرأ فى أم٢٩:٨ «بلا رؤيا يجمح الشعب» أى أن سر التعقل هو الرؤيا الحقيقية التى من الله ، التى تضع القلب أمام الأبدية وأمام صاحبها الذى بيده نسمة حياة كل إنسان «قد جمح اسرائيل كبقرة جامحة» وماهو السبب ؟ «هلك شعبى من عدم المعرفة» (هو٤:٦،١٦) لذلك نرى هنا الاندفاع «كل ماتجده يدك لتفعله فافعله بقوتك» — أين التعقل وانتظار الرب «من قبل الرب تتثبت خطوات الانسان وفى طريقه يُسرّ» (مز٣٧:٢٣) «تفكرت

فى طرق ورددت قدمى الى شهاداتك» (مز١١٩:٥٩)

مقدمة لنهاية الأصحاح التاسع ع١١ـ١٨

هل يُترك المنظر القاتم والظلام يغشى الأذهان بهذه الكيفية الرهيبة ؟ حاشا ، هاهى الأعداد التالية تضع البشر : أولاً أمام الحقيقة لا الخيال ، ثانياً أمام الأبدية لا الزمان . ثالثاً أمام الله ويده الكريمة المستقيمة بدلاً من الانسان ويده الملتوية ، لذلك نرى فى هذه الأعداد هذه اليد الكريمة القديرة فى ثلاثة مناظر

١١ فعدت ورأيت تحت الشمس أن السعى ليس للخفيف ولا الحرب للأقوياء ولا الخبز للحكماء ولا الغنى للفهماء ولا النعمة لذوى المعرفة لأنه الوقت والعرض يلاقيانهم كافة (ع١١)

هذا هو المنظر الأول ، اليد الكريمة القديرة وحدها لها السلطان على كل شىء وهى المحركة ـــ دون أن تُرى ـــ وهى الضابطة وتتدخل فى الوقت المعيّن بطريقة مذهلة لتحقيق المقاصد العالية الجيدة .

أولاً : السعى ليس للخفيف . من المعروف أن الذى يفوز فى السباق صاحب القدرة على الجرى أى له قدمان خفيفتان ، لكن عجباً فى مواقف معينة لقصد وحكمة وخطة إلهية نرى الموقف يتغير ، على سبيل المثال ، كان هناك سباق فى اختيار ملكة بدلاً من الملكة المعزولة وشتى (أس ١) ووقع الأختيار على سبعة فتيات عذارى جميلات من أعلى عائلات فارس ، فقط واحدة منهن يتيمة الأبوين من شعب اليهود المسبى فى مملكة فارس . وهنا يأتى السؤال : كيف تدخل هذه فى مثل هذا المجال ؟ ليس إلا اليد القديرة فمن ياترى يفوز فى هذه الجولة العالية التى تتجه اليها كل أنظار مملكة فارس التى كانت تحكم العالم فى ذلك الوقت ؟ عجباً ! هى تلك اليتيمة الفقيرة أستير التى ليس لها أى مؤهل كالباقيات سوى جمال أُعطى لها من الخالق مُبدع الكون ، شكراً لك يارب . إذاً السعى ليس للخفيف .

قِس على ذلك فوز يعقوب بالبكورية مع أنه الثانى الضعيف وليس الأول الأقوى عيسو .

ثانياً ـــ «ولا الحرب للأقوياء» ، هنا ايضا مبدأ مقرر ، الأقوى هو الذى يفوز فى

الحرب ، لكن عجباً ماأكثر مشاهد الكتاب كان الانتصار فيها من نصيب الضعيف بل مَنْ لا قوة له . ففى مشهد تحدى جليات الفلسطينى القائد المحنك رجل الحرب من صباه والمسلح من أسفل قدميه الى رأسه ، لكن ماأروع دخول داود الغلام بمقلاعه ويرمى الحجر فيستقر فى جبهة جليات الجبار ، وإذ يسقط على الأرض يركض داود وبذات سيف جليات يقطع رأس ذلك المجدف على اسم الله الحى . قِس على ذلك انتصار يشوع على جبابرة عماليق ، وانتصارات جدعون ويفتاح وصموئيل ويهوشافاط لكن دائماً القمة والمقياس الكامل فى رب داود ، ربنا يسوع المسيح إذ دخل الى معركة الصليب أمام رئيس هذا العالم وكل رياساته وسلاطينه فجرّد الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً ظافراً بهم فى الصليب ، وأباد بالموت رئيسهم الذى له سلطان الموت . شكراً لك يارب من كل القلب .

ثالثاً — «ولا الخبز للحكماء ولا الغنى للفهماء ولا النعمة لذوى المعرفة» . هنا يأخذنا الروح القدس الى قلب الكتاب المقدس فنرى قصد الله أن يسعد الانسان بالخبز الحقيقى والغنى الحقيقى والنعمة الحقيقية ، وهنا تبطل الحكمة البشرية والفهم والمعرفة الانسانية ، ولايحصل على هذا الثلاثى العظيم الأبدى إلا من يجيء متضعاً منكسراً كطفل أمام الله عند قدمى صانع الفداء وصانع الخلاص ربنا يسوع المسيح — هنا فقط يحصل الانسان الخاطىء على الخبز الحقيقى ، خبز الله النازل من السماء الواهب حياة للعالم . وإيضا يحصل على الغنى الحقيقى الدائم «عندى الغنى والكرامة قنية فاخرة وحظ» (أم٨:١٧) ، «لى أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لايستقصى» (أف ٣:٨) .

«ولا النعمة لذوى المعرفة» «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة» (يو١:١٤) .

«لأنه الوقت والعَرَضُ [but timè ànd Chàncè] يلاقيانهم كافة» أى أن الفريق الذى يحصل على تأييد اليد القديرة يفوز فى السباق وفى الحرب ، والفريق الآخر له ذات الفرصة للحصول على بركة يد القدير !

إذاً ماالذى ميّز فريقاً على فريق ؟ هنا يجيب الوحى «يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (١بط ٥:٥، يع٤:٦)

هلم بنا الى المنظر الثانى لليد الكريمة القديرة فى ١٢ع :

١٢ لأن الانسان ايضا لايعرف وقته كالأسماك التى تؤخذ بشبكة مهلكة وكالعصافير التى تؤخذ بالشرك كذلك تقتنص بنو البشر فى وقت شر إذ يقع عليهم بغتة (ع١٢)

الانسان مع كل ماأُعطىَ له من الله ، من فهم وإدراك لكن أُخفى عنه هذا الثلاثى الخطير وهو : متى ، وكيف ، وأين تنتهى حياته ؟ وذلك لحكمة إلهية ، لكى يتعقل الانسان ويعلم أنه غريب وضيف على هذه الأرض ويستعد للقاء إلهه (عا ٤:١٢) . وماأكثر النداءات الألهية فى كل الكتاب التى تدعو الانسان لكى يتصالح مع الله الآن لأنه «لايعرف وقته» كما يقول الجامعة هنا فى ١٢ع «ولايعلم أمر الغد» (أم٢٧:١،يع٤:١٤) وحياته ليست إلا بخاراً وغباراً وأشباراً (مز٣٩، ٩٠) .

لكن ماأروع التصوير : فالأسماك تسبح فى المياه وفجأة تؤخذ بالشبكة المباغتة والانسان ايضا فى تيار مشغوليات هذا العالم ومباهجه وملذاته يسبح ، وفجأة يؤخذ بشبكة الموت . ولكى تكمل الصورة نراه كالعصافير التى ترتفع عالياً وفجأة تؤخذ بالشرك ، هكذا الانسان فى كل تصوّرات قلبه يرتفع متشامخاً وفجأة يُقطع .

ليت كل نفس تتعقل أمام الأبدية التى لا نهاية لها وترجع للرب الآن فتحصل على الخلاص من المخلّص الوحيد الذى ليس بأحد غيره **الخلاص** — ربنا يسوع المسيح (أع٤:١٢) .

١٣ هذه الحكمة رأيتها ايضا تحت الشمس وهى عظيمة عندى . ١٤ مدينة صغيرة فيها أناس قليلون فجاء عليها ملك عظيم وحاصرها وبنى عليها أبراجاً عظيمة . ١٥ ووُجد فيها رجل مسكين حكيم فنجى هو المدينة بحكمته وما أحد ذكرّ ذلك الرجل المسكين (ع١٣-١٥)

هنا نرى اليد الكريمة القديرة فى المنظر الثالث وهى تدبر العلاج الحقيقى لمشكلة الانسان ، أى الفداء . لذلك فى هذه المرة يقرر الحكيم هذه الكلمة الهامة «وهى عظيمة عندى» نعم . وهل هناك عظمة نظير ذاك الذى ليس لعظمته

إستقصاء ، يأتى الينا لكى يصنع بنفسه تطهيراً لخطايانا .

وهذه المدينة ليست إلا كوكبنا أى الكرة الأرضية التى هى فعلاً أمام الكواكب الأخرى ليست إلا شيئاً صغيراً لايُذكر . ماأروع كلمة الله وماأعجبها ! فالطائرات تطير فوق الكرة الأرضية ساعات بل أيام لتعلن عظمة هذا الكوكب ومدى أبعاده ، لكن الأبحاث الفلكية أثبتت أن الكرة الأرضية لا شيء أمام المجرّات الفلكية الأخرى .

ماأروع تقرير الكلمة «مدينة صغيرة» ثم «فيها أناس قليلون» ، وهذه هى قصة أبوينا الأولين حيث لم يكن على كوكبنا إلا هما فقط ..

وهنا يظهر فى المشهد ذلك المخرِّب الأكبر — ابليس ، الذى فى تاريخه كان ملاكاً عظيماً ، لذلك يقول عنه «ملك عظيم» وبغوايته لحواء وسقوطها جذبت رأسها ورجلها وراءها . وهكذا وضع ذلك العدو يده على كل العائلة البشرية ممثلة فى رأسها الأول آدم . لذلك يأتى هذا التقرير من فم السيد نفسه له كل المجد «أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا» (يو٨:٤٤)

«وحاصرها وبنى عليها أبراجاً عظيمة» :

هناك برج المكاسب والاندفاع فى الجرى وراء المال مع استحالة الشبع «من يحب الفضة لايشبع من الفضة ومن يحب الثروة لايشبع من دخل» (جا٥:١٠) . وكم من أناس أفنوا حياتهم وخسروا أبديتهم فى هذا البرج الرهيب ولفظوا أنفاسهم الأخيرة وأعناقهم مسحوقة تحته — راجع قصة عاخان وكيف رُجم وبلعام وكيف قتلوه بالسيف وجيحزى وكيف مات بالبرص ويهوذا كيف خنق نفسه . .

وهناك برج الكرامة وتعظيم الذات وكم من ملايين تحطمت حياتهم تحت هذا البرج (راجع قصة هامان ، سفر استير ص٣—٦) ، وهناك برج الشهوات الجسدية الفاسدة وكم من كثيرين انتهت حياتهم تحت هذا البرج (راجع قصة أمنون المخزنة — ٢صم١٣)

وهناك برج التدين عن طريق الأعمال الصالحة وعن طريق الصيامات والتقشف ، وكم من ملايين خدعوا أنفسهم وخسروا بل دمروا أبديتهم تحت هذا البرج . وهناك برج الزينة وكم من نساء العالم يعبدون هذا الصنم ، وهناك أبراج أخرى كثيرة

أقامها هذا العدو لهلاك هذا الجنس البشرى يعوزنا الوقت أن نخوض فى تفاصيلها ، لكن شكراً لله لأجل تقرير الروح القدس فى ع١٥ «ووُجد فيها رجل مسكين حكيم فنجى هو المدينة بحكمته» — ماأروع هذا الرجل وماأروع صفاته وماأروع خلاصه :

أولاً : هو الرجل الحقيقى أمام الله لأن الانسان بالسقوط صار هذا التقرير عنه «أما الرجل ففارغ عديم الفهم وكجحش الفرا يولد الانسان» (أى١١:١٢) لذلك كان لابد من إنسان «شريف الجنس» لو١٩:١٢ — «الانسان الأول من الأرض ترابى الانسان الثانى الرب من السماء» (١كو١٥:٤٧) ، هو الانسان الوحيد الذى يوصف بهذا الوصف «رجل رفقة الله» (زك١٣:٧) الذى يستطيع أن يفهم كل مشورات الله ومقاصده ، وليس ذلك فقط بل الذى استطاع أن يتممها «أنا مجدتك على الأرض العمل الذى أعطيتنى قد أكملته» (يو١٧:٣)

ثانياً : مسكين ! هنا تذوب قلوبنا «الذى له السموات والأرض» ماأعجب المنظر والصورة ! «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (فى٢:٦) لذلك نسمعه فى صلاته بروح النبوة قبل تجسده «صلاة لمسكين إذا أعيا وسكب شكواه قدام الله» عنوان مزمور ١٠٢ ، ونسمعه فى مزمور الصليب «ثقبوا يدىّ ورجلىّ .. يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون» (مز٢٢:١٦،١٨) وإذ يترنم عن القيامة «أخبر باسمك إخوتى وفى وسط الجماعة أسبحك .. لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه» (مز٢٢:٢٢،٢٤) .

ثالثاً : حكيم ، فهو الحكمة الأزلى متجسداً «أنا الحكمة أنا الفهم» (أم٨:١٢) .

وماأروع التقرير «فنجى هو المدينة بحكمته» لأنه بذاته يهوه الأزلى لذلك لا تُقال هذه الكلمة «هو» إلا عنه تبارك اسمه الى الأبد — «لتعرفوا وتؤمنوا بى وتفهموا إنى أنا هو . قبلى لم يصوّر إله وبعدى لايكون» (اش ٤٣ : ١٠) ومن غيره كان يستطيع أن ينجى وينقذ ويحرر ؟ وماأجمل الكلمة «بحكمته» لأن الحكمة تضع كل شىء فى مكانه الصحيح . ومن غيره استطاع أن يعطى للعدل الالهى مكانه ووضعه اللائق به واعتباره الصحيح كباقى صفات الله ؟ ومن غيره استطاع أن يجمع بين محبة الله وقداسته فى

مشهد تعدينا على الله ؟ «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء» (١كو١: ٣٠) .

لكن ماذا كان موقف المدينة (العالم) من هذا الخلّص ؟ «وماأحد ذكَرَ ذلك الرجل المسكين» ! عجباً ، فكم من دول يُدعى عليها اسمه ، ولكنها تتنكر له وتتجاهله لكن شكراً لله لأنه لايترك نفسه بلا شاهد ، فهناك نفوس لاتحصى متفرقة فى هذا العالم تجتمع الى اسمه لتتعبد له الى أن يأتى وينهى هذا المشهد المظلم .

١٦ فقلت الحكمة خير من القوة أما حكمة المسكين فمحتقرة وكلامه لايسمع (ع١٦)

هنا يسترجع الروح القدس تاريخ العالم ، فهناك مراكز القوى العظيمة التى ظهرت فى التاريخ ، وكم كانت جبارة الدولة البابلية ثم الفارسية ثم اليونانية وأخيراً أقواها الدولة الرومانية ، لكن فيها كلها تم قول الكتاب أنهم جميعاً عبيد الخطية والشيطان . ويكتب الرسول بولس فى رو١: ١٦ «لست أستحى بانجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن» نعم ، لقد خلص بانجيل نعمة المسيح كل من آمن به ، لكن عموماً على مستوى دول العالم يصح هذا القول : «أما حكمة المسكين فمحتقرة وكلامه لايسمع» أى لايسمعون صوت صاحب الانجيل .

١٧ كلمات الحكماء تُسمع فى الهدوء أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال (ع١٧)

حتى ع١٦ نسمع عن حكيم واحد نجّى هذه المدينة بحكمته تبارك اسمه الى الأبد ، لكن هنا ع١٧ نسمع حكماء يتكلمون فى هدوء وكلامهم يُسمع أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال . من أين أتى هؤلاء الحكماء ؟ ليس إلا من ذلك الحكيم الوحيد ، وهذا يأخذنا الى سفر أعمال الرسل فنرى رسل ربنا يسوع المسيح يتكلمون فى ذات هدوئه وإتزانه وقوة كلامه وحكمته «فلما رأوا ــ رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة ــ مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا ، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع» (أع٤: ١٣، ١٤) .

١٨ الحكمة خير من أدوات الحرب أما خاطىء واحد فيفسد خيراً جزيلاً (ع١٨)

هنا يتقدم بنا الروح القدس الى ذلك الغزو المقدس فى ذهاب الرسل الى العالم أجمع ليكرزوا بالانجيل للخليقة كلها ، كما قال لهم سيدهم . والنصف الثانى لسفر أعمال الرسل يوضح كيف استطاع الأناء المغبوط بولس هو وسيلا معه أن يفتتحا كل أوربا بحكمة حق الانجيل ، وانهارت كل الأعمدة الوثنية أمام هذين الرسولين ، ولم يكن لديهما علاقة إطلاقاً بأدوات الحرب بل كان لديهما الاستعداد لتحمل كل أنواع الاهانات من ضربات وسجون واضطرابات والأخطار من كل نوع وهما يذيعان حكمة حق الانجيل ، انجيل مجد الله المبارك ، انجيل المسيح الذى هو قوة الله للخلاص ، حقاً الحكمة ــ حكمة الله فى الانجيل ــ خيرٌ من أدوات الحرب . ماأجمل النتائج «وكان اسم الرب يتعظم» أين ؟ فى أفسس مقر ومعقل الوثنية فى كل أوربا حيث الهيكل العريق لأرطاميس معبود كل آسيا الصغرى وأجزاء كثيرة من أوربا «وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» (أع١٩: ١٧ــ٢٠) .

أما خاطىء واحد فيفسد خيراً جزيلاً : باستمرار نرى تحذير الروح القدس لكل نفس رافضة حكمة الانجيل فى الخلاص فهى تفسد الخير الجزيل المقدم لها من غفران وتبرير وبنوية وتحرير .

الى آخر لحظة ، كان الرب يسوع يقدم المحبة والنعمة لخاطىء واحد وسط تلاميذه الأثنى عشر ، ألم يغسس رجلى يهوذا ، ألم يجعله شريكاً فى ذات الصحفة بل بيده الغالية يقدم له اللقمة ، وحاشا له لم يتركه بدون الانذار الشديد «إن ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويلٌ لذلك الرجل الذى يُسلِّم ابن الانسان كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مر١٤: ٢١) كم من الخير الجزيل أفسده لنفسه ذلك الخائن وكل خاطىء رافض اليد الكريمة المقدمة له الخلاص مجاناً على حساب دم حمل الله .



الأصحاح العاشر

في الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار . جهالة قليلة أثقل من الحكمة ومن الكرامة (ع١)

ماأروع تصوير الروح القدس للمؤمن بالعطار أي يبيع للناس العطور الكريمة التى هى خلاصة زهور ونباتات وأشجار عطرية ، أوجدها الله فى الخليقة لتشهد عن ذات كمالاته ، وأنه هو وحده الذى حوى كل الاستقامات الأزلية العطرة ، القداسة المطلقة ، الطهارة المعصومة ، الصدق والأمانة المنزهة ، المحبة الفائضة الفائقة ، العدل المطلق . وواضح أن أقنوم الكلمة المعلن عن الله هو الذى فيه الكفاءة الذاتية أن يعلن هذه العطور الكريمة الأزلية ، وذلك فى تجسده وظهوره وسط البشر «لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق» (نش ١:٣) وفى كل مجال أظهرنا رائحتنا الكريهة بينما ظهرت رائحته العجيبة الفائقة حتى أنها من قوة فاعليتها ، محت تماماً الرائحة الكريهة وغطتها مطلقاً ، ولم يبق فى المشهد إلا رائحة أدهانه العطرة الكريمة . وأمامنا ثلاث عيّنات ، على سبيل المثال ، الأولى (يو٤) فى مشهد فسادنا ونجاسة شهواتنا ، كانت المرأة السامرية تنشر شهوة النجاسة لكنها إذ تقابلت مع المخلص ، غمرتها تماماً رائحة قداسته وطهارته العطرة ، فأصبحت فى الحال إناءً مقدساً للرب ، واشتمّ أهل مدينتها فيها رائحة المسيح الذكية أى القداسة والطهر والتعفف .

الثانية (لو١٩) فى مشهد ظلمنا ومحبتنا للمال ، كان زكا ينشر فى كل مكان رائحة مال الظلم والأنانية ، وفى لحظة غمرته تماماً رائحة سيده العظيم رائحة البذل والتضحية بكل شيء لأجل إسعاد الآخرين ، وهكذا فى الحال أصبح زكا عطاراً عظيماً ينشر رائحة أدهان سيده المحبوب .

علمنى فى قلبى حسابك العظيم كيف أبذل نفسى لأجل الآخرين
فأنت الباذل وحدك ونحن الغانمين وكلنا هتاف للدم الكريم

الثالثة (لو٢٣) كان ذلك اللص فى كل حياته ينشر أعمال العنف ، والسرقة والقتل ، وكم هى رائحة مكدرة رهيبة ، وفى مشهد الصليب ظهرت الرائحة العجيبة

الفائقة الادراك والوصف «ياأبتاه إغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون» عجباً ياسيدنا ! فأنت ابن الآب المبارك الذى لك السماء والأرض ، تقبل هذا الوضع لأجل الخطاة وأكثر من ذلك تطلب الغفران والمسامحة لصالبيك ! ففى الحال غمرت هذا اللص التائب رائحة سيده وأصبحت طلبته الوحيدة «أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك» (لو٢٣:٤٢)

بحق وبكل إجلال نهتف له أنت العطار الأعظم الذى فى رائحة أدهانك الطيبة التى ظهرت فى الصليب وقيمة ذبيحتك الفريدة ، وجدنا التغطية الكاملة المطلقة لكل رائحتنا الكريهة ، وها نحن لحظة بعد لحظة بعد أن ولدتنا الولادة الثانية نستمد كل عطورك الكريمة لنقدمها للناس (٢كو٣:١٨) .

لايكن فى قلبى إلاك ياحبيبى ولتكن فى قلبى كنزى وطيبى
وللبعيد عطراً يفيح وللقريب ويسأل الجميع من هو حبيبى

ولاننسى ايضا أنه «الفخارى الأعظم» الذى يُدخل كل واحد منا الى دولابه الالهى العجيب ليخرج من كل واحد منا «إناءً للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح» (٢تى٢:٢٤) .

وهو ايضا «البنّاء الأعظم» الذى بروحه القدوس قطعنا من محجر هذا العالم ، وجعل من كل واحد منا «حجراً حياً» فى بيت روحى عظيم وجعلنا كهنوتاً مقدساً كريماً ذبائح روحية مقبولة عند الله فى شخصه المحبوب (١بط ٢:٥) .

نعود الى تحذير الروح القدس «الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار» ــ الذبابة حشرة قذرة جداً وموطنها وأماكن توالدها فى الأماكن العفنة جداً ، لكنها تطير وتدخل الى المنازل وتستقر أقدامها على الأطعمة وهكذا تنشر الأمراض الخطيرة ، وايضا تطير الى محل العطور وتستقر فى الأوانى فتغوص وتموت هناك لكنها تنتن وتخمر الطيب العطر .

وهذا هو الدرس العظيم لنا ، أقل فكر شرير أو ميل غير مقدس ، نسمح له أن يستقر فى أذهاننا أو عواطفنا ، لابد من الرائحة الكريهة بدلاً من رائحة أدهان سيدنا

العطرة ، ولابد من الأمراض الروحية الفتاكة التى تفتك بحياتنا الروحية وشركتنا مع سيدنا «لايقُل أحد إذا جُرِّب إنى أجرَّب من قبل الله لأن الله غير مجرَّب بالشرور وهو لايجرِّب أحداً ولكن كل واحد يجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته لأن الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يع١:١٢) وقد أدرك رجال الله هذا الحق فصرخ أحدهم «لتكن أقوال فمى وفكر قلبى مرضية أمامك يارب صخرتى ووليِّى» (مز١٩:١٤) .

نأتى الى باق الآية «جهالة قليلة أثقل من الحكمة ومن الكرامة» وهى تأتى بمعنى «هكذا تفعل جهالة قليلة بمن اشتهر بالحكمة والكرامة » ، باستمرار يعطى الكتاب تحذيراً من الاستخفاف بالأمور الصغيرة أو القليلة : فالثعالب الصغار تفسد الكروم ، والخميرة الصغيرة تخمر العجين كله ، والنار القليلة تحرق وقوداً كثيراً ، والنوم القليل يأتى بالفقر والعوز ، وهنا الجهالة القليلة تفسد الحكمة والكرامة (شواهد هذه الأمور الصغيرة تجدها بحسب الترتيب فى نش ٢، ١كو٥،يع٣،أم٦،جا ١٠) ، لذلك تحذير الروح القدس لنا «امتنعوا عن كل شبه شر» (١تس ٥:٢٢)

٢ قلب الحكيم عن يمينه وقلب الجاهل عن يساره (ع٢)

اليمين فى الكتاب المقدس مكان الكرامة والإعزاز والقوة «قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز١١٠:١) وقيل عنه له المجد «جلس فى يمين العظمة فى الأعالى» (عب ١:٤) . أى أن عواطف الحكيم مضبوطة تماماً «بطىء الغضب خيرٌ من الجبار ومالك روحه خيرٌ ممن يأخذ مدينة» (أم١٦:٣٢) وايضا «إن كان أحد لايعثر فى الكلام فذاك رجلٌ كامل قادر أن يلُجم كل الجسد ايضا» (يع٣:٢) . وهى أسمى حالة روحية يعيش فيها المؤمن وله سيطرة تامة بقوة الروح القدس ، على كل ميوله وأفكاره وكلماته ، لكى يكون فى الاتزان والوقار والصحو الكامل لِما فيه مجد السيد فقط كما عبَّر الرسول المغبوط «فى طهارة فى علم فى أناة فى لطف فى الروح القدس فى محبة بلا رياء فى كلام الحق فى قوة الله ، بسلاح البر لليمين ولليسار بمجد وهوان بصيت ردىء وصيت حسن» (٢كو٦:٦) . أما قلب الجاهل

عن يساره فى مكان الضعف ، فهو ضعيف أمام الانفعالات فيثور بعنف ومن الجهة الأخرى ضعيف ايضا أمام الميول والشهوات والأفكار التى تلعب بذهنه .

٣ ايضا إذا مشى الجاهل فى الطريق ينقص فهمه ويقول لكل واحد إنه جاهل (ع٣) .

الطريق بكل اختباراتها تكشف حقيقة الجاهل فيذيع جهالته على رؤوس الملا وكلماته وخطواته تعلن لكل واحد أنه خالٍ من الحكمة «الجاهل ينشر حمقاً» (أم١٣: ١٦) ، وليس ذلك فقط لكن العجيب أنه ينقص فهمه ، بمعنى أنه يتقدم الى أردأ ، والنور الذى عنده يؤخذ منه (مر٤: ٢٥) .

٤ إن صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك لأن الهدوء يسكن خطايا عظيمة (ع٤) .

الخضوع للسلطات العليا المرتبة من الله (رو١٣) ، وليس التمرد عليها ، هو طابع الحكمة الحقيقية . وكم كانت غاشمة ظالمة السلطة العليا فى أيام بولس الرسول ، لكنه يوصى بالخضوع لها طالما لاتتعرض للشهادة لاسم ربنا يسوع المسيح والتعبد له وإلا فالاستشهاد هو طريق الحكمة حينئذ ، وترك المكان تعبير يدل على التمرد ، حيث سمع عن الملائكة الذين تركوا أماكنهم «لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام» (يه٦) — أى أنهم انحدروا فى هوة حماقة التمرد ضد العلى . فالقديس مُطالب حسب كلمة الله «بعدم ترك المكان» أى الخضوع الكامل للسلطات فى كل المجالات ، فى قواعد المرور ، فى الضرائب ، فى التأمينات الاجبارية . ومأروع مشهد ربنا يسوع المسيح إذ كانت هناك مؤامرة لكى يوجدوه فى وضع التمرد على السلطات فسألوه «أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا فعلم يسوع بخبثهم وقال لماذا تجربوننى يامراؤون .. أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله» (مت ٢٢: ١٧—٢٢) .

لكن هناك ايضا معنى آخر فى هذا العدد ، وهو التعبير على الهدوء الكامل فى حالة الاعتداء والظلم ، وواضح مكان الحكيم الذى يوصى بعدم تركه ، ليس إلا المثول القلبى العميق أمام الرب «جعلت الرب أمامى فى كل حين لأنه عن يمينى فلا أتزعزع» (مز١٦: ٧) . وكم ظهر هذا فى رأسنا المبارك فى أقسى معاملات الأهانة والاعتداء على

شخصه المحبوب المجيد . كم كان هادئاً متزناً بالوقار المذيب للقلب ، ليتنا تتمثل به فيتم فينا القول «إحرصوا على أن تكونوا هادئين» (١تس ٤: ١١) «بالرجوع والسكون تخلصون . بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (اش ٣٠: ١٥) .

٥ يوجد شر رأيته تحت الشمس كسهو صادر عن قِبل المتسلط . ٦ الجهالة جُعلت فى معالى كثيرة والأغنياء يجلسون فى السافل . ٧ قد رأيت عبيداً على الخيل ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد (ع٥-٧) .

يشير الجامعة الى المتسلط أو الحاكم نفسه فى كثير من الأحيان ليس خلواً من الجهالة وهذا واضح من السهو أو الخطأ الذى طالما يصدر منه . فالأوامر التى يصدرها والمراكز التى يرتبها ، ليست دائماً بحكمة نازلة من فوق ، بل بحسب نظرته القاصرة وميوله وأهوائه . ونتيجة لذلك ع٦ إذ نرى الجهالة وقد جُعلت فى معالى كثيرة بمعنى أنه يضع الجهلاء فى المناصب العالية ، بينما الأغنياء — فى الحكمة والعقل — يوضعون فى المناصب الدنيا ، وع٧ استمرار لذات الغباوة الصادرة من صاحب السلطة العليا فيرفع عبيداً ليجلسهم على الخيل بينما الشرفاء ماشون على الأرض كالعبيد .

لكن ع٦، ٧ لهما المعنى العميق ، إذ أن القديسين قد مسحوا ملوكاً وكهنة لله على حساب عمل المسيح على الصليب وجلوسه فى المجد ، تراهم الآن محتقرين من العالم «وكأنهم» هم العبيد بينما عبيد الخطية والشيطان لهم اليد العليا فى هذا العالم «كفقراء ونحن نغنى كثيرين كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء» (٢كو٦: ١٠) .

لكن هذا المنظر سوف يتغير الى العكس تماماً ، فالمفديون سوف يُظهرون مع ربنا يسوع المسيح متى جاء (على السحاب بقوة ومجد كثير) ليتمجد فى قديسيه ويتعجب منه فى جميع المؤمنين (٢تس ١: ١٠) . وماأمجد كلمته هو «لاتخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرّ أن يعطيكم الملكوت» (لو١٢: ٣٢) لذلك مسئوليتنا العظيمة الآن «ونحن قابلون ملكوتاً لايتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى» (عب ١٢: ٢٨) .

٨ من يحفر هوّة يقع فيها ومن ينقض جداراً تلدغه حية . ٩ من يقلع حجارة يوجع بها ،من يشقق

حطباً يكون فى خطر منه (ع٨٬٩)

هذه الأعداد النبوية لها المعانى الحرفية والروحية والنبوية .

أولاً : الأعمال الزمنية تعرّض صاحبها لأخطار من ذات العمل نفسه ، لأن هذا هو الوضع تحت الشمس ، فالحفار فى غفلة يسقط فى حفرة هو نفسه قد حفرها كذلك من ينقض جداراً ، قد تخرج عليه أفعى وتلدغه ، كذلك من يقلع حجارة قد يسقط عليه حجر منها ، كذلك من يشقق حطباً قد تصيبه الجروح .

أى أن كل عمل زمنى له أخطاره طالما الأمر تحت الشمس ، وكم من ملايين أصابتهم أضرار بالغة بسبب عملهم الزمنى والانهماك فيه ، والمفتاح لهذا كله مدرسة الانسان تحت الشمس بالاستقلال عن حكمة الله . لاننسى أن العمل الزمنى بركة من الله للانسان (ج٣١) ، لكن الوضع المرتب من الله هو أن يمارس العمل الزمنى فى جو الشركة مع الرب وتحت راية مخافة الرب وفى اعتماد كامل عليه ، والغرض هو مجد اسمه العظيم فى حياة الانسان . كم تمجد الرب فى ذات العمل الزمنى المعطى لدانيال وللكثيرين من رجال الله فى الكتاب ، وايضا فى التاريخ جورج واشنطون والملكة فيكتوريا واسحق نيوتن .

ثانياً : المعنى الروحى ، كل تخطيط لأجل ذات الانسان ورفعتها على حساب سحق الآخرين غالباً مايؤول الى سحق الانسان نفسه . تأمل قصة هامان ومادبره لمردخاى وشعب اليهود والمرازبة ومادبروه لدانيال النبى (استير ص٣—٧ ودانيال ص٦) .

ثالثاً : المعنى النبوى رباعى يصور لنا مافعلته ايزابل الزانية العظيمة المذكورة فى رؤ١٧ التى هى الكنيسة الأسمية :

الأول — ابتدعت تعليماً يقسم الشعب الى فريقين ، اكليروس هم وحدهم الذين لهم حق الاقتراب الى الله ثم عامة الشعب الذين لايقترب أحد منهم الى الله إلا عن طريق الاكليروس ، وهكذا صنعت هوة عظيمة بين الشعب وبين الرب المحبوب الفادى ، الذى فى كل نداءاته الكريمة يوجه النفوس اليه هو مباشرة ، للالتصاق به هو شخصياً والثبات فيه بالايمان القلبى بذبيحته وعمله الكفارى الكريم على الصليب .

وماهي نتيجة هذه الهوة الرهيبة التي حفرتها ايزابل ؟آلاف لاتحصى من هذا الشعب الذي يدعى عليه اسم المسيح ، نراهم الآن يتركون الأسم الكريم ليتنسبوا لديانات أخرى .

الثاني — من ينقض جداراً تلدغه حية ، الجدار هنا يشير الى السور الذى يحيط بالمدينة ليفصلها عما حولها ، وهذا ايضا مافعلته روما فنقضت سور الانفصال الذى ينبغي أن يفصل الكنيسة عن العالم «أنا عارف أعمالك وأين تسكن حيث كرسى الشيطان» (رؤ٢) إذ انهار السور تماماً ودخل العالم ورئيسه الشيطان الى الكنيسة . كم ينبغى أن نفهم نحن المؤمنين ، أن قصد الله باستمرار من جهة شعبه أن يكون جنة مغلقة عيناً مقفلة ينبوعاً مختوماً (نش ١٢:٤) ، «هوذا شعب يسكن وحده وبين الشعوب لايحسب» (العدد ٩:٢٣) .

الثالث — من يقلع حجارة يوجع بها : الحجارة كانت تستخدم فى القديم فى تحديد التخوم فى ملكية الحقول والأراضى . وهناك تحذير إلهى مستمر من عدم إحترام هذه التخوم وخاصة حقول اليتامى والأرامل «لاتنقل تخم صاحبك الذى نصبه الأولون» (تث ١٤:١٩، ١٧:٢٧) «ملعون كل من ينقل تخم صاحبه» (تث ١٧:٢٧) وفى الأمثال يقول «لاتنقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك» (أم٢٨:٢٢) وناقل التخوم هو لص سارق يستوجب القضاء الالهى «صارت رؤساء يهوذا كناقلى تخوم فأسكب عليهم غضبى كالماء» (هو١٠:٥) .

وإزالة أو نقل التخوم والمعالم فى العهد الجديد هو التلاعب فى تعاليم الكتاب التى هى ميراث شعب الرب فى تدبير النعمة الحاضر . وبكل أسف من القرن الرابع المسيحى ، تلاعبت ايزابل الزانية العظيمة فى كل مجالات الحق الالهى وأدخلت وسطاء وشفعاء كثيرين بجانب الوسيط الوحيد للخطاة ، والشفيع الوحيد للمؤمنين .

الرابع — من يشقق حطباً يكون فى خطر منه :

جاءت الاشارة الى الحطب كثيراً فى الكتاب ، فهو أول نوع من الأصنام التى انحرفت اليها الأمم ، وثانياً قطع الخشب مرتبط بالعبادة كما قال يشوع للجبعونيين إذ

انكشفت حيلتهم «فالآن ملعونون أنتم فلا ينقطع منكم العبيد ومحتطبو الحطب ومستقو الماء لبيت إلهي» (يش ٩:٢٣) ، وهو ذات المعنى الذى أشار اليه الرسول عندما وصف المسيحية بالبيت الكبير الذى يحتوى على آنية ذهب وفضة وحجارة كريمة وخشب وخزف ، فالثلاثة الأولى تمثل المؤمنين.أوانى الكرامة أما الخشب والخزف تشير الى المسيحيين بالاسم عبيد الخطية ، وثالثاً الخشب يشير الى مبدأ الأعمال كطريق للاقتراب الى الله وإرضائه ، كما أشار الرسول الى احتراق الخشب والعشب والقش أمام كرسى المسيح لأنه لايثبت إلا الذهب والفضة والحجارة الكريمة أى البر الإلهى المؤسس على فداء المسيح وكمالاته (١كو٣:١٤) ، فالأصنام والعبودية والأعمال هى العناوين الكبيرة لكنيسة روما وأتباعها .

١٠ إن كلَّ الحديد ولم يسنن هو حده فليزد القوة ، أما الحكمة فنافعة للانجاح (ع١٠)

المقصود هنا الآلات الحديدية القاطعة كالسكين أو المخرطة أو المنشار وهى آلات نافعة جداً ولكن يجب أن تُسَنّ .

أولاً لكى تكون قاطعة وإلا فلابد من استخدام مجهود عضلى بمضاعف (فليزد القوة) وكثيراً مايتشوه العمل بإستخدام آلة غير مسنونة . وهذا له التطبيق العملى الجميل للمؤمنين الذين هم آلات فى يد الرب يستخدمها له المجد بفاعلية وقوة الروح القدس . فإن لم يُسَنّ المؤمن أولاً بأن عند تقدمى الرب بسكب القلب بحرارة ، لكى يكون إناءً مملوءاً من الروح القدس تصل كلماته الى الأعماق وتنخس القلوب ، كما كان بطرس فى أعمال ٢ واستفانوس فى أعمال ٧ والرسول المغبوط بولس فى أع١٣ . ولكن إن أهمل استخدام المسّن فحينئذ نستخدم قوتنا الذاتية ومناتعبها وماأكثرها فشلاً «ليس بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود» (زك٤:٦) .

١١ إن لدغت الحية بلا رقية [beforeenchantment] فلا منفعة للراقى (ع١١)

الرقية نوع من السحر يكون فيه الانسان آلة طيّعة فى يد العدو . والرقية عبارة عن تعويذة يتمتمها الراقى فيسيطر بها بقوة الشيطان على الثعابين ، فتأتمر بأمره . والشيطان يقوم بعمل هذه الأمور كأنها خدمة للانسان ، لكنها ليست إلا طعماً فى

مقابل سيطرته على الانسان وإبعاده تماماً عن الله . وكل نفس تلجأ لهذه الأمور تسقط فى هذا الفخ ، لذلك جاءت التحذيرات الحاسمة « لاتتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم .. ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب» (تث ١٨:٩)

فما هو إذاً قصد الحكيم من قوله هنا ، أنه لا قيمة ولا نفع من رقية الراقى بعد أن تكون الحية قد لدغت فريستها ونفثت سمها فيها ؟ هو تصوير للّسان الخبيث الذى يلدغ كما تلدغ الحية تماماً . والمؤمن الحكيم يمكنه بالشركة مع الرب بقوة الروح القدس أن يمنع هذه الألسنة السامة ويوقفها عند حدها ، ويجعلها تصمت .

لكن هناك معنى أعمق ، وهو أن الانسان مولود بلدغة الحية القديمة (تك٣ مز٥١،اش٤٨) ولا فائدة من كل المحاولات والجهود التى تبذل تحت الشمس لإيقاف سُم الخطية الذى تسرب الى كل الجنس البشرى «من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو٥:١٢) .

لذلك كل المحاولات هى فى الحقيقة جهود شيطانية لإبعاد النظر عن العلاج الجذرى الحقيقى الذى هو من فوق «الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع .. والذى يأتى من السماء هو فوق الجميع . وماراه وسمعه به يشهد» (يو٣:٣١) وماذا كانت كلماته له المجد ؟ «وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الانسان لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣:١٤) .

١٢ كلمات فم الحكيم نعمة وشفتا الجاهل تبتلعانه (ع١٢)

كم من رجال أفاضل امتلأت قلوبهم من السيد نفسه الذى لما ظهر فى الجسد أتى الينا مملوءاً نعمة وحقاً (يو١:١٤) .

على سبيل المثال كلمات داود لشاول بعد أن أبقى على حياته للمرة الثانية (١صم٢٦) وكلمات أبيجايل الكرملية التى أوقفت غضب داود ومنعته من الانتقام لنفسه

(١صم٢٥) .

لكن هناك العيّنة الأخرى المحزنة وهى شفتا الجاهل اللتان كثيراً ما كانتا السبب فى القضاء عليه . كم كانت كلمات رحبعام ابن سليمان تحت هذه الراية المحزنة «إن خنصرى أغلظ من متنى أبى .. أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب» (١مل١٢:١٠) فكانت هذه الكلمات هوة سحيقة ابتلعت المملكة وذهبت بعشرة أسباط لتكوّن المملكة الشمالية . ماأكثر تحذيرات الكتاب من خطايا اللسان «غبى الشفتين يُصرع» (أم١٠:٨) لذلك جميل بنا كمؤمنين أن نصلى باستمرار كما صلى داود «اجعل يارب حارساً لفمى احفظ باب شفتىّ» (مز١٤١:٣) .

١٣ ابتداء كلام فمه جهالة وآخر فمه جنون ردىء (ع١٣) .

أوضح مثل لهذه الحقيقة المُرّة هو كلام العدو عندما سقط فكانت أول كلماته جهالة «أصعد الى السموات» ثم ازداد الجهل «أرفع كرسيى فوق كواكب الله» وهكذا اقترب من الجنون «أجلس على جبل الاجتماع فى أقاصى الشمال» لأن الملائكة ليس لهم كراسى يجلسون عليها ثم هم أرواح خادمة . وأخيراً وصل الى الجنون الردىء «أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلى» (اش١٤). وهذا بالضبط ماحدث فى سقوط أبوينا الأولين فكانت كلماته الأولى جهالة وهى التشكيك فى أقوال الله «أحقاً قال الله» ؟ ثم إنتهت بالجنون الردىء فى تكذيب أقوال العلى الخالق القدير المهوب ، فى قوله «لن تموتا» .

١٤ والجاهل يكثر الكلام لايعلم انسان مايكون وماذا يصير بعده مَنْ يخبره (ع١٤)

هنا نرى أمرين ظاهرين فى حديث الجاهل ، الأول هو كثرة الكلام وهذا مايحذرنا منه الروح القدس كثيراً «كثرة الكلام لاتخلو من معصية . أما الضابط شفتيه فعاقل» (أم١٠:١٩) «قول الجهل من كثرة الكلام» (جا٥:٣) .

والأمر الثانى الحديث عن المستقبل وكثرة التكهنات بما سيحدث لأنه مملوء بغرور الذات وكل متكله ذراعه التى يتوهم أنها تستطيع أن تفعل كل مايدور فى ذهنه الباطل .

والوحى المقدس يقدم لنا عينات ، فأحدهم يتكل على سلطانه وقدرة ملكوته فيتكلم وكأنه خالد الى الأبد «أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها .. بقوة اقتدارى وجلال مجدى» . لكن ماأروع تقرير الكتاب «والكلمة بعد فى فم الملك وقع صوت من السماء .. أن المُلك قد زال عنك» (دا ٤:٣٠) .
وآخر يتكلم عن غناه (لو١٢:١٩) فيأتيه الصوت «هذه الليلة تُطلب نفسك منك»

١٥ تعب الجهلاء يعييهم لأنه لايعلم كيف يذهب الى المدينة (ع١٥)

هنا التعبير على أمرين : الأول ، التعب الباطل وهذا ماقرره الحكيم فى بداءة هذا السفر ، بينما التعب لأجل الرب يجدد القوة ويملأ القلب بهجة بالرب نفسه علاوة على المكافآت الأبدية ــ «منتظرو الرب يجددون قوة ..» (اش ٤٠:٣١) ، «مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب» (١كو١٥:٥٨) .
الأمر الثانى ــ التخبط فى الخطوات لأن أمامه مدن كثيرة وكل رغبة قلبه المدينة التى تجلب الربح الأعظم «رجل ذو رأيين هو متقلقل فى جميع طرقه» (يع١:٨) ، «عينا الجاهل فى أقصى الأرض» (أم١٧:٢٤) .

١٦ ويل لك أيتها الأرض إذا كان ملكك ولداً ورؤساؤك يأكلون فى الصباح (ع١٦) .

الولد هنا تعبير عن الطيش وعدم الخبرة وعدم تقدير المسئوليات ، وليس بالضرورة أن يكون ولداً فى السن إذ ربما تقدمت به الأيام ولكن فى عقله واختباراته وتصرفاته مملوء بالرعونة والجهل والحماقة والاندفاع . وقد يكون حدثاً فى السن ولكنه متدرب عند قدمى الرب على الاتزان والوقار والهدوء والحكمة ، كما قال الرب لارميا الشاب الصغير «لا تقُل إنى ولد .. لاتخف من وجوههم لأنى أنا معك» (ار١:٧،٨) .

لكن باستمرار الروح القدس يرفع قلوبنا الى النموذج الكامل فى كل شيء الذى إذ كان بعد فى حداثة سنه (١٢ سنة) كان فى الهيكل وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بُهتوا من فهمه وأجوبته ، ثم كلمات الحكمة التى عالج بها أفكار العذراء المطوبة (لو٢:٤٦ــ٤٩) . لذلك لما جاء الى رسله بعد القيامة ، عند بحر طبرية ، وكانوا قد تركوا مكانهم وإرساليتهم ورجعوا لصيد السمك ، نراه يوبخهم

التوبيخ الرقيق «ياغلمان» little Children يو ٢١ : ٥ . ليتنا ننمو فى النعمة وفى معرفة شخصه المحبوب فيتم فينا تحريض الرسول المغبوط «إسهروا اثبتوا فى الايمان كونوا رجالاً تقووا . لتصر كل أموركم فى محبة» (١كو١٦ : ١٣) .

«رؤساؤك يأكلون فى الصباح» :

الصباح هو الوقت المخصص للقضاء والنظر فى الدعاوى ورعاية شئون عامة الشعب ولاسيما المظلومين «اقضوا فى الصباح عدلاً» (ار٢١ : ١٢) لذلك نرى العبد الفريد الرب يسوع يشير اليه الروح القدس أين كان يبدأ يومه — اش٥٠ : ٤ — لذلك كان اليوم كله «يجول يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليس» وماأروع ماقيل عنه «ولم تتيسر لهم فرصة للأكل» (مر٦ : ٣١)

١٧ طوبى لكِ أيتها الأرض إذا كان ملكك ابن شرفاء ورؤساؤك يأكلون فى الوقت للقوة لا للسكر (ع١٧)

المباينة واضحة بين سيادة الشرير وسيادة البار ، فهنا نرى ابن الشرفاء أى ابن الأفاضل ، والشرفاء والأفاضل فى مقاييس كلمة الله هم الذين لهم علاقة حقيقية بالله «القديسون الذين فى الأرض والأفاضل كل مسرتى بهم» (مز١٦ : ٣) وحينئذ يكون التطويب والغبطة للأمة كلها ، وقد تحقق هذا فى التاريخ المقدس أيام مُلك داود وسليمان ويهوشافاط وحزقيا ويوشيا. لكن لكل منهم ضعفاته وصفحات يتمنى لو تُمحى ، أما ذاك الذى سيملك على كل الأرض ويكون هو وحده واسمه وحده (زك ١٤ : ٩) فسوف يقضى وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل ولا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد (اش٢) .

«ورؤساؤك يأكلون فى الوقت للقوة لا للسكر» :

حيث يكون الرأس سليماً لابد أن يأتى بالثمر المبارك فى كل دوائر الحكم ، لذلك نرى الرؤساء ، أى الذين فى مناصب رئيسية ، ليسوا مستعبدين للشهوات ولهم الحكمة والتمييز ، ولكل شىء عندهم وقتٌ وحكم ، ولا علاقة لهم بالمسكر .

١٨ بالكسل الكثير يهبط السقف وبتدلى اليدين يكِفُ البيت (ع١٨)

يشبّه الحكيم المملكة بالبيت المبنى من الطوب ، فإن لم يسهر صاحب البيت على سلامة الجدران والسقف وذلك بالترميم السريع ، فلابد أن يهبط السقف . والبيت يكِفُ أى يتساقط شيئاً فشيئاً حتى ينهار نهائياً بسبب الكسل وعدم العناية . هكذا ايضا بكسل المسئولين وتراخيهم فى واجباتهم ، لابد أن يتطرق الانحلال الى المملكة .

الوكف هو الماء السائل قليلاً قليلاً من السقف غير المحكم بعد انتهاء المطر ينتج عنه رشوحات بالسقف والجدران ، وهذا يؤول الى انهيار البيت . ولنا فى هذا تعليم هام . وهو حرصنا وسهرنا ضد تجمع أمطار العالم فوق سقف البيت كعائلة أو ككنيسة . والسقف هو الجزء الواقى من فوق ، والجدران هى الواقية من الجوانب ، فالأول يشير الى التعليم الصحيح الواقى لنا من البدع التى يهاجم العدو بها الأذهان. أما الجدران فتشير الى تمكين المحبة الأخوية حتى لانعطى ابليس مكاناً .

ولانسى تقرير الرسول أن الأساس الوحيد الذى يقوم عليه كل البناء هو صخر الدهور «فإنه لايستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح» (١كو٣:١١) الذى بدونه لابد من السقوط العظيم .

١٩ للضحك يعملون وليمة والخمر تفرح العيش أما الفضة فتحصّل الكل (ع١٩)

يوضح الحكيم هنا سبب الانحلال الذى أشار اليه فى الأعداد السابقة ، فإن الحكام يستخدمون بركات الله فى ملذاتهم الخاصة ، ويصرفون وقتهم ونشاطهم فى الانغماس فى شهواتهم مستخدمين الخمر لاصطناع الأفراح . والفضة هى التى تمكنهم من صنع هذه الولائم الخمرية الضاحكة . ولكن على صفحات الوحى نرى كيف انقلب كثيرٌ من هذه الولائم الى رعب وفزع والقضاء الالهى وقع فى الحال (راجع وليمة بيلشاصر لعظمائه الألف ــ دا٥ ، ووليمة هيرودس ــ مت١٤) لكن ماأسمى وماأمجد وأثبت الوليمة التى ينشئها الروح القدس فى القلب بدخول ابن الله كالمخلص والفادى «وإن كنتم لاترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لاينطق به ومجيد» (١بط ١:٨) فهى الوليمة الحقيقية والخمر الدائم والفضة الالهية التى هى الفداء .

٢٠ لا تسب الملك ولا فى فكرك . ولا تسب الغنى فى مضجعك لأن طير السماء ينقل الصوت

«وذو الجناح يخبر بالأمر (ع ٢٠)

أمام حياة المجون التى تظهر فى بعض الحكام ، قد يتفوه الانسان بعبارات سب لهم ، ويلعن تصرفاتهم . لكن هذا لايتفق مع خوف الله الذى أقامهم (ص ٨: ٢، رو١٣: ١) . فضلاً عن أن ذلك ليس من الحكمة لأنه يعرّض صاحبه للعقاب ، أما المؤمن فهو مدعو للشكر فى كل الظروف مهما كان نوع الحاكم «افرحوا كل حين . صلوا بلا انقطاع . اشكروا فى كل شيء لأن هذه هى مشيئة الله فى المسيح يسوع من جهتكم» (١تس ٥: ١٦، ١٧، ١٨) . بينما طابع غير المولود من الله ، هو التذمر والشكوى من كل شيء هؤلاء هم «مدمدمون متشكون سالكون بحسب شهواتهم وفمهم يتكلم بعظائم» (يه١٦) .

«طير السماء ينقل الصوت» : مَثَلٌ مألوف ، وهو كلام مجازى مؤداه أن مايقوله الانسان مهما يكن فى السر ، سرعان ماينتقل بطريقة لايظنها ويعرّض صاحبه للانتقام هكذا الوصية الالهية «لاتسب الله (ايلوهيم أى القضاة باعتبارهم ممثلين لله) ولا تلعن رئيساً فى شعبك» (خر٢٢: ٢٨) ، ايضا «إكرموا الجميع أحبوا الأخوة خافوا الله إكرموا الملك» (١بط ٢: ١٧) .

* * * * * * * * *

لاتخف لأني فديتك

دعوتك بإسمك انت لي

اشعياء ١:٤٣

الأصحاح الحادى عشر

١ إرم خبزك على وجه المياه فإنك تجده بعد أيام كثيرة (ع١)

مدرسة العالم هى الجمع والتخزين استعداداً لليوم الشرير ، وواضح أنها لاتعرف الايمان والثقة فى الله الذى بيده كل الأمور . ولكن ماأروع مدرسة الله ، حيث الراية العظيمة ، راية رئيس الايمان ومكمله الرب يسوع ، وهى مدرسة البذل لأجل الآخرين . «متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع٢٠:٣٥) وايضا «بيعوا مالكم وأعطوا صدقة . إعملوا لكم أكياساً لاتفنى وكنزاً لاينفذ فى السموات حيث لايقرب سارق ولا يبلى سوس» (لو١٢:٣٣) .

والخبز هو قوام الحياة ، أى إرم معيشتك . وقد يبدو من التعبير «على وجه المياه» أنه بذل وتضحية ضائعة لأنك لاتعرف نتائجه وأبعاده ، لكن لاتخف إرمه. بشجاعة لأنك تستودعه بين يدى ذاك الذى لايُفقد منه شيء ، حتى كأس ماء بارد يُقدم باسمه لايضيع أجره . والمستقبل ولو بدا بعيداً ومرت عليه أيام كثيرة لكنه من المؤكد أن سيقدم لك حصاداً وفيراً لما زرعته .

عجيبة هى موازين الرب إذ أن إطعام المحتاجين من قطيع الرب كأنه إطعام الرب نفسه «لأنى جعت فأطعمتمونى» (مت ٢٥:٣٥) ، «ومن يرحم الفقير يُقرض الرب وعن معروفه يجازيه» (أم١١:٢٥)

٢ إعط نصيباً لسبعة ولثمانية ايضا لأنك لست تعلم أى شر يكون على الأرض (ع٢)

كن سخياً فى العطاء كريماً فى التوزيع مدخراً لنفسك أساساً حسناً للمستقبل (١تى٦:١٨) .

رقم ٧ هو رقم الكمال وهو تعبير عن أقصى حدود الطاقة البشرية ، إذ أن الانسان يعمل ستة أيام وفى اليوم السابع يستريح ، والوصية هنا لا لسبعة بل ايضا لثمانية كما هو مكتوب عن كنائس مكدونية «أنهم أعطوا فوق الطاقة» (٢كو٨:٣) .

«لأنك لست تعلم أى شر يكون على الأرض»: فالمستقبل مجهول وليس من يعلم ماذا يختبىء فيه . فقد يفقد الانسان ثروته وربما عمله ، وحينئذ يجد الانقاذ الالهى حاضراً وعجيباً ومجيداً لأنه لاينسى أى تعب أو أى تضحية للمحتاجين فكم بالحرى الذى يقدم لأجل اسمه المحبوب العظيم .

ونرى توضيحاً جميلاً لهذه الحقيقة فى قصة المرأة الشونمية ، إذ قدمت الى أليشع رجل الله ، الإكرام والضيافة اللائقة فى محبة وسخاء ، وجاءت المجاعة وطبقاً لنصيحة أليشع تغربت عن أرضها وبعد ٧ سنوات عادت لتجد أن الأشرار وضعوا أيديهم على كل حقولها ، فإذا باليد القديرة تتدخل بكيفية رائعة ، فتأتى لتقدم شكواها للملك فى الوقت الذى فيه كان جيحزى يحكى للملك قصتها الجميلة مع رجل الله أليشع ، فيصرخ جيحزى : هذه هى المرأة ، وفى الحال أمر الملك برد كل شىء لها (٢مل٨:٦)

٣ إذا امتلأت السحب مطراً تريقه على الأرض وإذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال ففى الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون (ع٣)

يواصل الروح القدس التحريض على السخاء فى العطاء فيقول أنظر الى الدروس التى أعطاها الله فى الطبيعة ، كما يقول الرسول «أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم ؟» (١كو١١:١٤، أى١٢:٧،٨) . والقصد هنا أن السحب الممتلئة تفرّغ شحنتها من الماء على الأرض الظامئة الناشفة اليابسة ، وبعد أن تكمل بعثة الاحسان والخير هذه بأمر خالقها كما يقول فى أى٣٧:١٢ «فهى (السحب) مدوّرة متقلبة بإدارته (الخالق العظيم) ليفعل كل مايأمر به على وجه الأرض المسكونة» وهكذا تعود السحب وتستعيد من المحيط الكبير الممتلىء نفس المياه التى أراقتها على الأرض «أعطوا تُعطوا كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون فى أحضانكم لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يُكال لكم» (لو٦:٣٨) .

أما درس وقوع الشجرة ، سواء فى الشمال أو الجنوب فإنها حيث تقع تكون لخير وفائدة من يجدها ، وهكذا يجب أن يكون المؤمن لخير الآخرين حيثما أوجده الرب ماأروع موكب الرب وهو الشجرة المثمرة التى يبدأ بها سفر المزامير ، ما من مكان

وُجد فيه ، إلا وكان فعلاً كل الخير الفائض بوفرة لمن حوله . لاق به أن يقرر أن ملوكاً وأنبياء اشتهوا أن يروا يوماً واحداً من أيام ابن الانسان . ماأروعه فى أشد وأقسى ساعات تعرضت لها حياته ، ها هو الشجرة المثمرة أبدياً وزمنياً ، فهناك كان يصنع الفداء لكل المفديين فى كل العصور ، لكن لمن حوله هاهو يعطى الايمان للّص التائب ، ولقائد المئة ، ويدير أمور العذراء مريم الزمنية .

٤ من يرصد الريح لايزرع ومن يراقب السحب لايحصد . ٥ كما أنك لست تعلم ماهى طريق الريح ولا كيف العظام فى بطن الحبلى كذلك لاتعلم أعمال الله الذى يصنع الجميع . ٦ فى الصباح إزرع زرعك وفى المساء لاترخ يدك لأنك لاتعلم أيهما ينمو هذا أو ذاك أو أن يكون كلاهما جيدين سواء (ع٤–٦)

فى هذه الأعداد الثلاثة ينتقل الحكيم بالروح القدس الى وجه آخر لحياة الله فينا ألا وهو الخدمة وإلقاء بذار الكلمة فى كل وقت وفى كلّ مكان . ونرى فى هذا انسجاماً مع كلام الرب المبارك فى أول أمثال ملكوت السموات السبعة فى مت ١٣ حيث يوضح أن طريقة انتشار الملكوت هو إلقاء البذار ، وهنا فى ع٤ ينبر على ثبات القصد فى إلقاء البذار ، والزارع إذا نظر الى حالة الجو ، ممثلة فى الريح والسحب ، فلن يزرع ، لكن بقصد ثابت يحمل البذار الى الحقل . فبالأولى كثيراً نحن الذين نحمل بذار كلمة الحياة «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح ... إكرز بالكلمة أعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب» (٢تى ٤ : ١،٢) . ليتنا نعى أهمية هذا الأمر ونرى كيف أن سيدنا ورأسنا وقائدنا المعبود تركنا فى هذا العالم لهذه المهمة «كما أرسلتنى الى العالم أرسلتهم أنا الى العالم» (يو١٧ : ١٨) .

وفى ع٥ التنبير على أن الولادة من فوق أمر داخلى بين النفس وبين الله ، لأنه تعامل الكلمة بالروح القدس مع القلب لتستحضر النفس تماماً أمام الرب فى الصليب كما أشار الرب له المجد فى الحديث عن الولادة الثانية مع نيقوديموس «لاتتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لاتعلم من أين تأتى ولا الى أين تذهب هكذا كل من وُلد من الروح» (يو٣ : ٧)

ومأأقوى صوت الولادة الثانية فهى فعلاً معجزة إلهية تحول الشرير الى قديس فى لحظة . ويكون هذا واضحاً كل الوضوح بالنسبة للناس المحيطين بالشخص المولود ، ولكن لايعلمون كيف تم هذا ، ومن أين جاءت «تسمع صوتها لكنك لاتعلم من أين تأتى ولا الى أين تذهب» .

لكن الحكيم بالروح القدس يضيف أمراً آخر خاصاً بالولادة وهو تكوين العظام فى بطن المرأة الحبلى ، والعظام هى أعمدة الطفل المولود التى يقوم عليها كل جسمه ، وهكذا أعمدة الحياة الجديدة ، كيف تكونت وقامت فى الحال : صلاة (أى صلة مع الله) ، قراءة كلمة الله (سماع صوت الله) ، محبة الله والمؤمنين من قلب طاهر بشدة ، حضور الاجتماعات (شركة السجود والعبادة) .

ع٦ التنبير على خدمة الرب سواء فى الشباب المُشار اليه بالصباح ، حيث القوة والحيوية والنشاط وقوة الاحتمال . لكن ايضا عندما تغرب شمس الشباب ، لاتتوان ولاتتباطأ متذرعاً بضعف الشيخوخة ، وعلى صفحات الوحى عينات مباركة جداً ، إذ نرى بولس الشاب بعد تجديده ، ملتهباً بمحبة سيده ، والرب استخدمه فى هدم الوثنية فى آسيا الصغرى وأوربا وتأسيس الكنائس المسيحية الأولى بهما . لكن مأأجمل مساء بولس ، لأنه وهو شيخ يخدم سيده ، وهو فى القيود يقول عن نفسه أنه سفير فى سلاسل . ثم مأأروع مأأملاه عليه الروح القدس من رسائل فى شيخوخته وهو فى السجن ، هى بحق ذخيرة مجيدة للكنيسة الى نهاية تاريخها على الأرض .

كذلك ايضا دانيال الشاب المكرس نراه فى شيخوخته الشاهد الأمين لإلهه ، وفى طريق الشهادة يذهب حتى الى جب الأسود .

لكن هناك عينات أخرى تنذرنا وتجعلنا نحترس ، على سبيل المثال سليمان نفسه ، ففى شبابه مأأجمل مازرع لكن فى شيخوخته كان محزناً . وليس له إلا قبض الروح .

٧ النور حلو وخير للعينين أن تنظرا الشمس (ع٧)

فى الستة أعداد السابقة تكلم سليمان مع المؤمنين عن وجهين مباركين للحياة الالهية التى وصلت الينا بالايمان ، وهما البذل والسخاء فى العطاء ، ثم تقديم الكلمة

التى هى بذار الحياة الآلهية ، وذلك للنفوس التى نتعامل معها فى كل ظرف وفى كل مجال سواء كنا شباناً أو تقدمت بنا الأيام .

لكن فى هذه الأعداد يتقدم الى الانسان غير المولود من الله ويوضح له الطريق الخطر الذى يسير فيه بدون توبة ورجوع الى الله . وفى ع٧ يوضح عظمة العطية المعطاة من الله لكل انسان على الأرض ، وهى الحياة العاقلة المفكرة المعبر عنها هنا بالنور ، لأنه بوعى وفهم وذكاء يتمتع بكل جمال الخليقة الذى تظهره أشعة الشمس . والقصد هو ماأعلنه الرسول «لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً» (أع١٧:٢٧)

٨ لأنه إن عاش الانسان سنين كثيرة فليفرح فيها كلها وليتذكر أيام الظلمة لأنها تكون كثيرة كل مايأتى باطل (ع٨)

هنا يوضح الحقيقة الخطيرة وهى أن هذه الحياة المعطاة للانسان مهما طالت لسنين كثيرة ، لكنها لابد أن تنتهى الى هذا الباب المحتوم ألا وهو الموت . «وليتذكر أيام الظلمة لأنها تكون كثيرة» ــ أى ليضع فى قلبه وذهنه أيام الظلمة القادمة «لأنها تكون كثيرة» لا حصر لها ، ولا عدد لها ، لا نهاية لها . هى الأبدية بكل ماتعنيه من رهبة مرعبة .

ماأروع تحذير السيد «لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه ؟» (مت ١٦:٢٦) وكما قال ايضا فى مت ١٢:٨ «فيطرحون فى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» فهو طرح فى ظلام الجحيم ــ قتام الظلام ــ بعيداً جداً عن محضر الله فى انفصال أبدى مطلق عنه «الذين قد حُفظ لهم قتام الظلام الى الأبد» (٢بط ٢:١٧)

٩ إفرح أيها الشاب فى حداثتك وليسرّك قلبك فى أيام شبابك واسلك فى طرق قلبك وبمرأى عينيك وأعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله الى الدينونة (ع٩)

أسلوب تهكمى لاذع ، يحذر الحكيم كل شاب من الحياة المستهترة التى تتجاهل السيد الخالق العظيم المحب . ويلخص هذه الحياة المستبيحة بهذه الأركان

الرهيبة : أولاً ـــ السعى وراء الأفراح والمسرات التى يقدمها العالم كما نسمع فى أى ١٢:٢١ «يحملون الدف والعود ويطربون لصوت المزمار ... فيقولون لله أبعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسّر . من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن التمسناه» .

ـــ الركن الثانى : الركض وراء شهوات القلب الفاسدة التى تجرى وراء نظرات العيون . والوحى المقدس يوضح باستمرار ارتباط الأثنين معاً «لهم قلب متدرب فى الطمع (الشراهة فى الشهوات) أولاد اللعنة لهم عيون مملوءة فسقاً لاتكف عن الخطية» (٢بط ١٤:٢) .

لكن ماأرهب الركن الثالث الذى ينتظرهم «إعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله الى الدينونة» فهو أمر يقينى مؤكد لأن الله المنزه عن الكذب أعلنه فى وحيه المقدس فى كل الأسفار وايضا أعطى فى الطبيعة دروساً عملية توضح أن الذى يُزرع فى الخفاء لأبد أن يُستعلن ويصبح واضحاً تماماً .

١٠ فانزع الغم من قلبك وابعد الشر عن لحمك لأن الحداثة والشباب باطلان (ع١٠)

هنا يكشف الحقيقة ، فالمسرات العالمية والشهوات التى يجرى وراءها الإنسان ليست إلا غماً فى آخرتها تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان (أم٢٣: ٣٢) وهى شر يلصق بلحم الانسان «كل خطية يفعلها الانسان هى خارجة عن الجسد لكن الذى يزنى يخطىء الى جسده» (١كو٦: ١٨) .

أنا الله القدير
سر أمامي
وكن كاملاً

الأصحاح الثانى عشر

١ فاذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر أو تجىء السنون إذ تقول ليس لى فيها سرور (ع١)

هذه المشورة مؤسسة على قدر ماأدركه وميزه سليمان . وهو أن الانسان لابد راحل من هذا المشهد على الرغم منه ، كما قرر فى جا١١:٨ أن الانسان إن عاش سنين كثيرة .. لابد أن يتذكر أيام الظلمة الكثيرة القادمة ، وحتى هذا الرحيل القهرى ليس هو نهاية كل شيء ، فلابد من دينونة تعقب هذه الحياة الحاضرة . كما يقرر الرسول «وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩:٢٧) .

«فاذكر خالقك» ترِد فى الأصل العبرى بصيغة الجمع ، للدلالة على اشتراك الثالوث فى الخلق كما فى كل شيء . وهذه النصيحة للشاب ليذكر خالقيه ــ الله إلوهيم المثلث الأقانيم ، فى طياتها أركان رئيسية هامة .

أولاً : بما أن الله المثلث الأقانيم اهتم بى بهذا المقدار ، فهو أمر يدعو الى الرهبة والتأمل بورع «الله إلوهيم صانعى مؤتى الأغانى فى الليل» (أى ٣٥:١٠) .

ثانياً : بما أن الله هو صانعى ، حتماً هو الذى أنشأنى وتعهدنى فى كل مراحل حياتى من جنين فى بطن أمى الى طفل رضيع الى الشباب ، فهو صاحب الفضل الأول علىّ ألا يقودنى هذا للرجوع اليه .

ثالثاً : بما أنه هو جابل روحى فى داخلى ، إذاً فالنهاية لابد أن تكون اليه حيث تعود الروح الى الذى أعطاها . وهذا يستلزم تصفية الحساب «**استعد للقاء إلهك**» (عا٤:١٢) ولايوجد استعداد إلا بيقينية حصولى على غفران الهى لكل خطاياى «له ــ للرب يسوع المسيح ــ يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا» (أع١٠:٤٣) .

لكن هنا الحكيم يقدم سبباً آخر هاماً للغاية ، وهو تقدم الأيام ومجىء

الشيخوخة ، حيث لايكون هناك التفكير الواعى السليم ، بل كل شىء يرتبك ومن الصعب جداً تمييز صوت الرب الذى هو العامل الأول فى الرجوع والتوبة ، لذلك يسميها أيام الشر ، إذ يفقد الانسان لذته فى كل شىء فى الحياة وتخيم الكآبة المُرّة عليه . وهذا الوصف التفصيلى هو للشيخوخة البعيدة عن الله ، أما الشيخوخة لحياة قُضيت فى الشركة مع الرب وخدمة اسمه المعبود فهى رائعة «تاج جمال شيبة توجد فى طريق البر» (أم١٦:٣١)، «يثمرون فى الشيبة يكونون دِساماً وخضراً ليخبروا بأن الرب مستقيم صخرتى هو ولا ظلم فيه» (مز٩٢:١٤،١٥) .

وكم من أمثلة عملية رائعة يقدمها الوحى لرجال كانت حياتهم فى خدمة السيد المحبوب المعبود ، وهاهو التقرير عن أجسادهم فى شيخوختهم «وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكّل عينه ولا ذهبت نضارته» (تث ٣٤:٧) ، ولنسمع تقرير كالب بن يفنة «فها أنا اليوم ابن خمس وثمانين سنة فلم أزل اليوم متشدداً كما فى يوم أرسلنى موسى كما كانت قوتى حينئذ هكذا قوتى الآن للحرب وللخروج وللدخول» (يش١٤:١٠،١١) .

٢ قبلما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر (ع٢)

يذكر الحكيم ٤ مصادر للنور وهى خاصة بالشباب :

أولاً : الشمس ، حرارة الشباب وحيويته وقوته ونشاطه «كسهام بيد جبار هكذا أبناء الشبيبة . طوبى للذى ملأ جعبته منهم لايخزون بل يكلمون الأعداء فى الباب» (مز١٢٧:٤) .

ثانياً : النور ، الذهن المتقد المملوء بالآمال والطموح والمشاريع .

ثالثاً : القمر ، الجمال قبل أن تأتى التجاعيد وتحفر مجارى عميقة فى الوجه .

رابعاً : النجوم ، الأعمال اللامعة التى تلفت الأنظار . وإذ تذبل هذه المصادر الأربعة لنور الشباب ، لايبقى للنفس إلا الأمر المُرّ وهو الكآبة القاتلة المعبّر عنها بالسحب بعد المطر .

السحب هى الغيوم الكثيفة فى الذهن ، وتوقع الشر فى كل خطوة وفى كل

دقيقة ، وهكذا تسيل الدموع حزناً وخوفاً ، ولأنها ليست أمام عرش النعمة فلا منفعة لها ، وهكذا تأتى السحب مرة أخرى أى الأفكار القاتمة وتدخل النفس فى تلك الحلقة المفرغة بلا انقطاع .

٣ فى يوم يتزعزع فيه حفظة البيت وتتلوى رجال القوة وتبطل الطواحن لأنها قلّت وتظلم النواظر من الشبابيك (ع٣)

تصوير رائع عجيب لانهيار قلعة جسم الانسان أمام عوامل الشيخوخة **فالأيدى** ـــ حفظة البيت ـــ التى عملت كثيراً فى أمور هذا الزمان هاهى ترتعش وتكاد تفشل فى تأدية واجبات الجسم .

والأرجل ـــ رجال القوة ـــ التى طالما ركضت بكل قوة وراء أمور العالم ، هاهى تتلوى وتكاد تفشل فى أقل الخطوات .

والأسنان والضروس ـــ الطواحن ـــ التى كانت تمون هذه القلعة العظيمة هاهى قد تداعت والأطعمة المفرومة والمهروسة هى التى تستعمل .

والعينان ـــ النواظر ـــ التى طالما جالت فى كل مجال وراء الأمور المنظورة ، هاهى لاتكاد ترى الأمور القريبة جداً .

٤ وتغلق الأبواب فى السوق (الشارع أو الطريق) حين ينخفض صوت المطحنة ويقوم لصوت العصفور وتحط كل بنات الغناء (ع٤)

الباب يشير الى الفم كما قال المرنم «يارب اجعل حارساً لفمى احفظ باب شفتىّ» (مز ١٤١ : ٤) أى يثقل الكلام مع أى انسان عابر أى طابع الانطواء (الضيق النفسى). كم كان هذا الباب مفتوحاً فى السوق أو فى الشارع وفى البيت ، كم من كلمات عاطلة باطلة بلا معنى بل هادمة للنفوس ، وقبل أن يستد هذا الفم أمام العرش العظيم الأبيض هاهو يستد فى الشيخوخة هنا ، إذ ينخفض صوت المطحنة ـــ أى الأذن التى هى جهاز الاستقبال التى طالما أسرعت الى أغانى العالم وكل حديث وكل قصة تُقال . وطالما رحبت بكل ماهو هادم للنفس أو فيه تشهير بالآخرين ، وطالما رفضت أن تستقبل بوعى وإدراك وتقدير الصوت الكريم المحيى للنفوس ، هاهى الأذن

يثقل سمعها جداً . ويقوم لصوت العصفور ، وترتبك دورة الدم الخاصة بالمخ وهكذا لايكون تحكم فى المراكز العليا فى المخ . ولذلك يصبح النوم شحيحاً وقليلاً ، وينزعج الانسان لأقل صوت وتحط كل بنات الغناء ــ الحبال الصوتية التى طالما استعملت فى أغانى هذا العالم هاهى تجف ولايكون قدرة على نشيد واحد أو أغنية واحدة التى كلها من إملاء العدو .

ه وايضا يخافون من العالى وفى الطريق أهوال واللوز يزهر والجندب يستثقل والشهوة تبطل لأن الانسان ذاهب الى بيته الأبدى والنادبون يطوفون فى السوق (ع٥)

كم كان النشاط والحيوية والقوة الجسدية ، كله فى طريق متجنب عن حياة الله هاهو الكل ينهار وأمام ضعف عضلات الجسم وضعف عضلة القلب ، يصبح أى مكان مرتفع أمراً صعباً لايحتمل . وكم كانت الجرأة فى الجرى فى كل مكان كما يقول الكتاب «جسورون معجبون بأنفسهم» هاهم يتصورون الأهوال المرعبة فى كل مكان

واللوز يزهر ــ شعر الرأس الذى طالما تلاعبوا به ، تارة يجعلونه مرخياً حتى أنك لاتكاد تفرق الرجل من المرأة ، هاهى شيبة الرأس تقتحم طريقها فى الشيخوخة .
والجندب يستثقل ــ عضلات الساقين طالما حملت أحمالاً ثقيلة ، هاهى ترى أخف شيء أى الجندب ، تراه حملاً ثقيلاً . والشهوة تبطل ، فى الأصل الرغبة تفشل فالشهوات كامنة والرغبات الجسدية موجودة على أشدها لكنها تفشل نتيجة للضعف الجسدى .

لأن الانسان ذاهب الى بيته الأبدى ، كل هذه الأمور المُرّة مقدمات الرحيل من هذا العالم الى ذلك المصير الرهيب الذى لايمكن تصور أبعاد بؤسه وتعاسته فى انفصال أبدى عن الله . بينما النور والمجد والتسبيح والهتاف بفرح غامر لكل المفديين حول الفادى المعبود ربنا يسوع المسيح .
لكن فى مقر الأشرار يصعد دخان عذابهم الى أبد الآبدين هناك يكون البكاء وصرير الأسنان .

والنادبون يطوفون فى السوق ، ماأصعب خاتمة هذه المجموعة ، يتصور الأصوات التى يسمعها فى الشارع أنها ليست إلا مواكب جنازات ، حيث النادبون يلطمون وينوحون ويبكون ، لأنه ذاهب الى النوح والبكاء الأبدى هاهو كل تصوره وتفكيره منحصر فى هذا الأمر .

٦ قبلما ينفصم حبل الفضة أو ينسحق كوز الذهب أو تتكسر الجرة على العين أو تنقصف البكرة عند البئر (ع٦)

هنا ينفرد الحكيم بهذا الوصف الرائع المذهل الدقيق ، لكيفية خروج روح الانسان فى إنتهاء حياته . ولا نجد على صفحات الوحى من يقترب من هذا التسجيل لأنه يتوافق مع سفر الجامعة الذى بحث الكثير من أنشطة الانسان تحت الشمس من يوم الولادة الى يوم الممات (راجع الأصحاح الثالث) .

وهو يصف بطريقة معجزية من الناحية العملية ، ماذا يحدث فى لحظة الوفاة للأعضاء الرئيسية التى تقوم عليها حياة الانسان . وهو أمر ليس بغريب على صاحب الكلمة الحقيقى ، الروح القدس ، الذى جبل الانسان من التراب . وبعد الاتقان المذهل لكل أجهزة الجسم ، فى نعمته نفخ فى أنفه نسمة حياة فصار نفساً حية . وهكذا على ذات الصورة البديعة المذهلة ، يكوّن الأجنة فى أحشاء الأمهات من بدء التاريخ الى الآن ــ «يداك كوّنتانى وصنعتانى كلى جميعاً» (أى١٠:٨) ، «نسجتنى فى بطن أمى» (مز١٣٩:١٣) ، «وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض» (أع١٧:٢٦) .

نتقدم الآن الى وصف سليمان بالروح القدس :

أولاً : ينفصم حبل الفضة . من معجزات القدير فى جسم الانسان مايسمى بالنخاع الشوكى Spinal cord وهو على شكل حبل قطره حوالى ٣ سم يخرج من قاع المخ ويتجه الى أسفل مخترقاً فقرات العمود الفقرى كله فى تجويف دائرى خاص به داخل كل فقرة . وكما أن المخ فى حماية عظام الجمجمة السميكة ، كذلك النخاع الشوكى فى حماية دائرية حوله تحميه من كل جانب بواسطة الفقرات . ومن هذا

النخاع تخرج الأعصاب من جانبيه ، وتتجه فى شكل نصف دائرة الى الأمام .
ماأروعك ياسيدى ماأعجبك ماأحكمك !!

والعجيب أنه مغلّف بغشاء سميك لونه فضى رائع ! والأعجب أنه فى لحظة الوفاة ، يحدث انفجار فى هذا الغشاء لذلك يأتى التعبير «ينفصم» . شكراً لصاحب الكلمة الخالق العظيم الذى تنازل الينا فى نعمة غنية وأعطى لنا هذه الروعة فى كلمته الحية الباقية الى الأبد .

ثانياً : ينسحق كوز الذهب ـــ وهنا روعة أخرى لا تقل عن الأولى ، لأن مخ الانسان وإن كان دائرياً من أعلى لكنه ينسحب اسطوانياً فى أسفله بواسطة الجزء الأسفل منه المسمى بالمخيخ . وماأروع الخالق إذ جعله على شكل كوز مغطى بغشاء سنجابى كأنه من الذهب .

وفى هذا تعليم عظيم لنا ، لأن ألوان الكتاب ومواده تشير الى أمور روحية عميقة فغشاء المخ الذهبى وغشاء النخاع الشوكى الفضى ، فيهما لغة واضحة لكل دارس لكلمة الله . فالفضة تشير الى الفداء بدم الرب يسوع ، والذهب يشير الى تبرير الله للانسان على حساب عمل المسيح . موته له المجد وقيامته لأنه « أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » (رو٤: ٢٥) .

وهكذا فى رسم الخالق العظيم الذى يقصد الخير الأبدى لنا ، أولاً جعل الجهاز العصبى مغلفاً بلونين اللذين يشيران الى بر الله المؤسس على الفداء وهذا مانراه عملياً إذ أن الانسان لن يجد راحته نفسياً وعصبياً إلا بالحصول على هذه العطية مجاناً من الله «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء بيسوع المسيح» (رو٣: ٢٤) .

ثالثاً : تنكسر الجرة على العين ـــ والمقصود هو القلب فى ارتباطه بالأوعية الدموية الكبيرة مشبهاً بجرة تمتلىء من وريدين كبيرين ، الوريد الأجوف السفلى والعلوى وهكذا إذ يمتلىء البطين الأيمن يدفع الدم فى الشريان الرئوى الخارج منه الى الرئتين للتنقية ، ثم يعود الدم النقى الى الأذين الأيسر ومنه الى البطين الأيسر ، وهذا يقوم بدفعه الى الشريان الرئيسى الكبير المسمى بالأورطى .

رابعاً : تتقصف البكرة تحند البئر — فى خروج الدم من البطين الأيمن فى الشريان الرئوى الى الرئتين للتنقية ثم يعود الدم النقى الى الأذين الأيسر ، يكوّن شكل بكرة ، والبئر هى الرئتان اللتان تمتلئان بالدم الفاسد للتنقية ، ويخرج منهما عائداً الى القلب عن طريق الأوردة الرئوية . ياﻟﻬا من دورة عجيبة فائقة مذهلة تُظهر عظمة وحكمة إلهنا الذى أعطى فى أجسادنا دروساً عميقة عن الفداء والتبرير والتنقية وحتمية التنقية قبل التغذية .

والعجيب أن الرئتين تقومان بتنقية غازية ، أى تنقى الدم من ثانى أكسيد الكربون وتزوده بالأوكسجين ، لكن هناك تنقية أخرى كيميائية للدم وذلك بواسطة الكليتين اللتين تستخلصان مادة البولينا وكل المواد السامة الأخرى الناتجة من تحلل الأطعمة . وهناك تنقية ثالثة بيولوجية يقوم بها الكبد إذ يمتص من الدم المواد الناتجة من تفاعل الانزيمات مع الأطعمة كمادة الشيمول على سبيل المثال .

قد نكون خرجنا من دائرة تأمل الحكيم لإظهار لمحات من روعة خالقنا وفادينا المحب المعبود . هلم بنا نرجع الى الحكيم فنراه يختم حياة الانسان بهذا التقرير الخطير : ع٧ فيرجع التراب الى الأرض كما كان (ولكن الأخطر) ، وترجع الروح الى الله الذى أعطاها (ع٧) .

ماأكثر تحذيرات الكتاب المقدس لأنه كتاب الله الذى يحب الانسان ويريد له كل بركة من كل جهة أبدياً وزمنياً .

وفى ع٧ نجد تقريراً واضحاً يرد على تلك الأفكار التى كانت فى قلبه بعيداً عن نور كلمة الله (جا ٣:١٨—٢٠) هنا الفكر الصحيح السليم المؤسس على كلمة الله ، فالكلمة أعلنت من البداءة أن روح الانسان الذى فيه هى نسمة من القدير ، وهذا هو سر خلود الانسان وسر امتيازه على كل الخليقة . ولكنه ايضا أساس وقاعدة مسئولية الانسان أمام محبة الله ونعمته التى جعلت له هذا الاعتبار العظيم . وكل نفس سوف تسمع هذه الكلمة الخطيرة «أعطِ حساب وكالتك» (لو١٦:٢) ، «لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه»

(مت ٢٦:١٦) .

٨ باطل الأباطيل قال الجامعة الكل باطل (ع٨)

أمام هزيمة قلعة جسم الانسان بإزاء عوامل الشيخوخة لم يسع الحكيم إلا أن يصرّح : باطل الأباطيل . هذه القلعة التى طالما أظهرت كل الأنشطة وطالما تمتعت بكل عطايا الله تحت الشمس ، هاهى تنهار تماماً وتتحلل ، وطالما الأمر تحت الشمس لذلك ليس إلا الصرخة المُرّة : باطل ..

٩ بقي أن الجامعة كان حكيماً وايضا علّم الشعب علماً ووزن وبحث وأتقن أمثالاً كثيرة . ١٠ الجامعة طلب أن يجد كلمات مُسّرة مكتوبة بالاستقامة كلمات حق (ع٩، ١٠)

هنا تقرير سليمان عن نفسه بإملاء الروح القدس أنه كان حكيماً . لقد أُعطى من إلهه حكمة فائقة لأنه فضّلها على كل العطايا الزمنية «الحكمة هي الرأس فاقتنِ الحكمة وبكل مقتناك اقتنِ الفهم» (أم٤:٧) لقد ظهرت فى ختام حياته ثغرات محزنة ، لكن فى كل أيام حياته أولاً ، كان قلبه مشتاقاً لجمع الحكمة لكى يوصلها كأمانة بين يديه ، الى شعب الرب . أى توصيل الحق الالهى لهم ، لذلك دُعى الجامعة (راجع أول السفر) . ليتنا نسلك فى ذات الطريق ونعى قول الكتاب «قد هلك شعبى من عدم المعرفة» (هو٤:٦)

ثانياً ، كان شغله الشاغل أن يجد كلمات مسّرة مكتوبة بالاستقامة ، كلمات حق ، فأعطاه الرب أمثالاً موحى بها من الله ناتجة عن اللهج فى كلمة الله . وهنا الحكمة الحقيقية أن تكون أقواله مكتوبة بالاستقامة كلمات حق .

١١ كلام الحكماء كالمناسيس وكأوتاد منغرزة أرباب الجماعات قد أُعطيت من راع واحد (ع١١)

من هم الحكماء ؟ هم الذين استقوا الحكمة من نبعها الواحد ، الحكمة الأزلى يهوه العهد القديم الذى ظهر فى الجسد ربنا يسوع المسيح — وتعلموها منه فانطبعت فى قلوبهم أولاً ومن فضلة القلب يتكلم الفم «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع» (أع٤:١٣) .

خلاصة القول ، الحكماء هم المؤمنون المملوءون بروح المسيح ، هؤلاء فقط تشبّه كلماتهم بالمناسيس (المناخس) وكما أن المناسيس تستخدم لحث الثيران التى تجر المحراث للسير فى استقامة وبدون تراخ فى خط المحراث ، هكذا كلمات الحكماء بقوة الروح القدس تنهض بالنفوس لكى يكون لها السلوك فى الايمان أى الحياة المستقيمة بدون تراخ .

«وكأوتاد منغرزة» أى ثابتة فى الأرض «فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم» (يع١:٢١) وهنا نرى وجهين مباركين لعمل الكلمة الالهية الحية والفعالة والأمضى من كل سيف ذى حدين :

أولاً ــ تنخس القلب «فلما سمعوا نُخسوا فى قلوبهم وقالوا لبطرس ... ماذا نصنع ؟» (أع٢:٣٧) .

ثانياً ــ تغرس الحق فى أعماق النفس فيصبح ثابتاً راسخاً «إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم» (يو١٥:٧) .

«أرباب الجماعات» أى الرعاة بين الجماعات الذين زودتهم النعمة بمواهب قد أُعطيت لهم من راع واحد . ونلاحظ أن الوحى فى العهد القديم يشير الى الرب يهوه كالراعى «وتشددت سواعد يديه من هناك من الراعى صخر اسرائيل» (تك٤٩:٢٤) «الرب راعىّ فلا يعوزنى شيء» (مز٢٣:١) ، «كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات» (اش ٤٠:١١) ، وهو بذاته «الراعى الصالح الذى بذل نفسه لأجل الخراف» (يو١٠:١١)، وهو «راعى الخراف العظيم المُقام من الأموات بدم العهد الأبدى» (عب١٣:٢٠) وهو «الذى صعد .. وأعطى الناس عطايا وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح» (أف ٤:١١،١٢) .

١٢ وبقى فمن هذا ياابنى تحذر لعمل كتب كثيرة لا نهاية لها والدرس الكثير تعب للجسد (ع١٢) .

يقول سليمان الملك : لقد قدمت لكم الكثير من النصائح بخصوص كل

ماانختبرته تحت الشمس ، لذلك يقول يابنى ، إذ كان متقدماً فى الأيام وقدّم خلاصة مارآه فى أيامه ، لكل من هو فى مقتبل العمر ، لذلك يقول تلك الكلمة الحلوة «يابنى» ـــ ماهى هذه النصيحة الباقية ؟ إنه لا نهاية لكتابة كتب تعالج أسرار الحياة وتحاول كشف غوامض الكون ـــ الأمور التى عالجها الحكيم باسهاب فى أقواله السابقة وكثرة الدرس فى هذه الأمور لاتسفر إلا عن تعب الجسد دون الوصول الى نتيجة حاسمة .

فأين إذاً المرجع الواحد الكامل الوافى ؟ «فتح كلامك ينير يعقّل الجهال» (مز١١٩ : ١٣٠) ، «أكثر من كل معلمىّ تعقلت لأن شهاداتك هى لهجى . أكثر من الشيوخ فطنت لأنى حفظت وصاياك» (مز١١٩ : ٩٩، ١٠٠) ووواضح سر التفوق على الشيوخ والمعلمين المهملين لكلمة الله ، ونرى ذلك بكل وضوح فى ع٩٧ «كم أحببت شريعتك اليوم كله هى هجى» .

١٣ فلنسمع ختام الأمر كله : إتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الانسان كله (ع١٣)

هنا قمة النصائح وخلاصتها «ختام الأمر كله» كل البحث الذى بحثه ، وكل الأجتهاد فى كشف الغوامض ، وصل به الى هذا الأمر الواحد الذى فيه كل الحكمة للانسان «إتق الله» أى وضع الانسان المخلوق فى وضع الطاعة والخضوع والولاء والحب والتقدير لله الخالق الواهب الحقيقى لكل شيء صالح ، وهذه هى مخافة الرب . وماأروع قلب إلهنا الذى يقدم لنا هذه الكلمة الهامة ٢١ مرة فى وحيه المقدس * وهنا الحكيم يشير اليها بإملاء الروح القدس «اتق الله» وهنا يتهيأ القلب لحفظ وصاياه .

ولكن من مواضع كثيرة فى الوحى المقدس نتعلم أن القلب البشرى حجرى مملوء بالعناد . لذلك نعود الى المفتاح الحقيقى الصادق الذى وضحه ربنا المعبود لرئيس مجمع اليهود «ينبغى أن تولدوا من فوق» (يوحنا ٣ : ٣ــ١٤) أى أنه يضع الطبيعة الساقطة الموروثة فى حكم الموت ويعطينا طبيعة طاهرة مقدسة سماوية وهذه هى الولادة

---

* مرة فى أى٢٨ : ٢٨ ؛ ٣مرات فى مز١٩ : ٩، ٣٤ : ١١، ١١١ : ١٠ ؛ ٣مرات فى اش ١١ : ٢، ٣، ٣٣ : ٦ ؛ ١٤ مرة فى سفر الأمثال .

الثانية ، الولادة من فوق (١بط ١:٢٣، ٢بط١:٥، يو٣:٣ــ٦، حز٣٦) .

«إتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الانسان كله»

ــ «هذا هو الانسان كله» ــ هذا هو الانسان فى القصد من كل حياته هنا على الأرض ، هذا هو الانسان فى مشورات الله ، لمجد الله فى كل حياته ، وكيف يتم ذلك إلا بالارتباط القلبى العميق بذاك الفريد الذى قال فى نهاية حياته له المجد قبل الصليب «أنا مجدتك على الأرض» (يو١٧:٣) . هنا فقط يتحقق قصد الله المبارك فى الانسان .

١٤ لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة على كل خفى إن كان خيراً أو شراً (ع١٤)

هنا التحذير وإنذار المحبة ، إذ لايمكن أن يكون كتاب الله كاملاً وهو يحدثنا عن محبة الله ورحمته ونعمته فى عمل الفداء العظيم فى صليب ربنا يسوع المسيح ، ويقف عند هذا الحد ، لكن قلب الله المحب يوضح لنا ماهى نتيجة رفض هذا العمل الكريم الجليل ، ماهى نتيجة رفض هذه اليد الممدودة بالمصالحة والغفران والتوبة . لايبقى للانسان إلا حتمية واحدة وهى دينونة الله لكل خطايا الانسان . ماأروع رئيس الحياة له المجد وهو فى أرض الموت يعلن عن حياة الله مقدمة للانسان (يو٥:٢١) «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن ايضا يحيى من يشاء» لكن ماأعجب العدد التالى ــ يو٥:٢٢ «لأن الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن» . عجيب جدا فى مشهد الحديث عن المحبة الالهية التى فى قصدها أن تهب الانسان حياة من الله ، حياة أبدية . حياة الله نفسه تصل الى الانسان ، وذلك بواسطة الابن وفى شخصه المبارك ، عجيب أن فى هذا المشهد يأتى الحديث عن الدينونة ؟ نعم . لكى يوضح مسئولية الانسان أمام هذه المحبة ، لكى يحدد الانسان موقفه من هذه النعمة الغنية «أشهد عليكم السماء والأرض قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة فاختر الحياة لكى تحيا .. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك» (تث ٣٠:١٩، ٢٠)

وماأروع الدروس التى أعطاها له الجد فى الطبيعة . تأتى الخضرة وينبته من ثمار يعجز الانسان عن وصف أنواعها ، وتفيض بعطور حياة الانسان من هذه الثمار

التى لانستطيع أن نحصيها ، لكنها فى ذات الوقت تحمل هذا الطابع وهو صوت الدينونة ، فكل مايُزرع فى الخفاء فى بطن الأرض هاهى الأرض تنبته وتجعلهُ يخرج ويرتفع ويعلن تماماً نوعية مازُرع . أليس هذا مايقوله الوحى المقدس «لاتضلوا الله لايُشمخ عليه فإن الذى يزرعه الانسان إياه يحصد ايضا فإن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية» (غل ٦:٧،٨) وواضح استحالة الزرع للروح إلا بالولادة من فوق بالايمان بربنا يسوع المسيح «لأنكم جميعاً (الكلام موجه الى القديسين فى كنائس غلاطية) أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع» (غل٣:٢٦) ــ «لأن المولود من الجسد جسدٌ هو والمولود من الروح هو روح» (يو٣:٥) .





ملاحظات توضيحية على بعض الكلمات العسرة الفهم

وصايا الله

.. إتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الانسان كله (جا١٢:١٣) . يتخذ السبتيون هذا الشاهد مستنداً يبرر تقديسهم للسبت على اعتبار أنها الوصية الرابعة فى الوصايا العشر .

وواضح أن الوصايا فى الناموس المعطى لموسى فى جبل سيناء هى الوصايا العشر التى تحدد سلوك الانسان الأدبى نحو الله ونحو أخيه الانسان ، أما الفرائض فهى مراسيم الديانة اليهودية التى رسمها الله لهم ، أما الأحكام فهى القوانين الحكومية التى كانت تطبق فى الأحكام والقضايا .

والكتاب المقدس يعلمنا أن الناموس بهذا المعنى هو خاص باليهود وليس بالمسيحيين فى تدبير النعمة ، وإليك بعض الأدلة :

أولاً ، الناموس يسمى بصريح اللفظ «ناموس اليهود» (أع٢٥:٨)

ثانياً ، المسيحى الحقيقى الذى قبِل الرب يسوع بالايمان القلبى الصحيح ليس تحت الناموس بل تحت النعمة (رو٦:١٤)

ثالثاً ، المسيحى الراجع من الأمم لا علاقة له بالناموس إطلاقاً لأن الناموس لم يُعط للأمم بل لليهود (رو٢:١٤)

رابعاً ، المسيحى الراجع من اليهودية مات للناموس وبذلك تحرر منه كما يقول الكتاب «إذاً يا إخوتى أنتم ايضا قد متم للناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى أقيم من الأموات لنثمر لله» (رو٧:٤).

خامساً ، الناموس كان قد أُعطى لبنى اسرائيل كمؤدب أو معلم يقودهم الى المسيح . ولما جاء المسيح بطل الناموس بالنسبة للذين يؤمنون بربنا يسوع المسيح «إذاً قد كان

الناموس مؤدبنا الى المسيح لكى نتبرر بالايمان ولكن بعدما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب» (غل٣: ـــ٢٥) .

ناموس المسيح

ليس معنى «لسنا تحت الناموس» و«متنا للناموس» و«تحررنا من الناموس» أن المسيحى بلا ضابط أى بلا قانون إلهى يسلك بموجبه . لأن الرسول يقول صريحاً «مع إنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح» (١كو٩:٢١) والناموس للمسيح هو تعاليم المسيح .

إن المسيحى الحقيقى لأنه مولود من فوق قد حصل على طبيعة سماوية مقدسة ، لذلك وإن كان ليس تحت ناموس موسى لكن هذه الطبيعة الجديدة بقوة الروح القدس تجعله يسلك عملياً أسمى من المستوى المطلوب فى وصايا ناموس موسى . مثلاً فى ناموس موسى «لاتسرق» لكن فى وصايا تدبير النعمة فى المسيح «لايسرق السارق فيما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج» (أف٤:٢٨) . وأيضا فى الناموس «لاتزن» ، «وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه» (مت٥:٢٨) وكذلك فى الزواج والطلاق (ع٣١،٣٢) .

كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم

اطلبوا تأخذوا

ليكون فرحكم كاملاً

(يو١٦:٢٣،٢٤)


عند
كثرة همومي
في
داخلي
تعزياتك
تلذذ نفسي
مز ٩٤ : ١٩

مطبعة كنيسة الإخوة بجزيرة بدران

رقم الايداع بدار الكتب ٧٥٦٦ / ١٩٨٩

